



كتاب الهلال

شائرون

تأليف

محمود تيمور



لجنة شهرية
تقصد من دار الهلال



كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

العدد ٤٦ - جادى الاولى ١٣٧٤ - يناير ١٩٥٥

No. 46 — January 1955

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

(المتديان سابقا) القاهرة

المكاتب

كتاب الهلال - بوسطة مصر العمومية - مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) - مصر والسودان
٨٥ قرشا صاغا - سوريا ولبنان ١٠٧٥ قرشا سوريا أو
لبنانيا - الحجاز والعراق والأردن وليبيا ١١٠ قروش
صاغ - فى الأمريكتين ٥ دولارات - فى سائر
انحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا أو ٣٠/٩ شلنا

كتاب الهلال

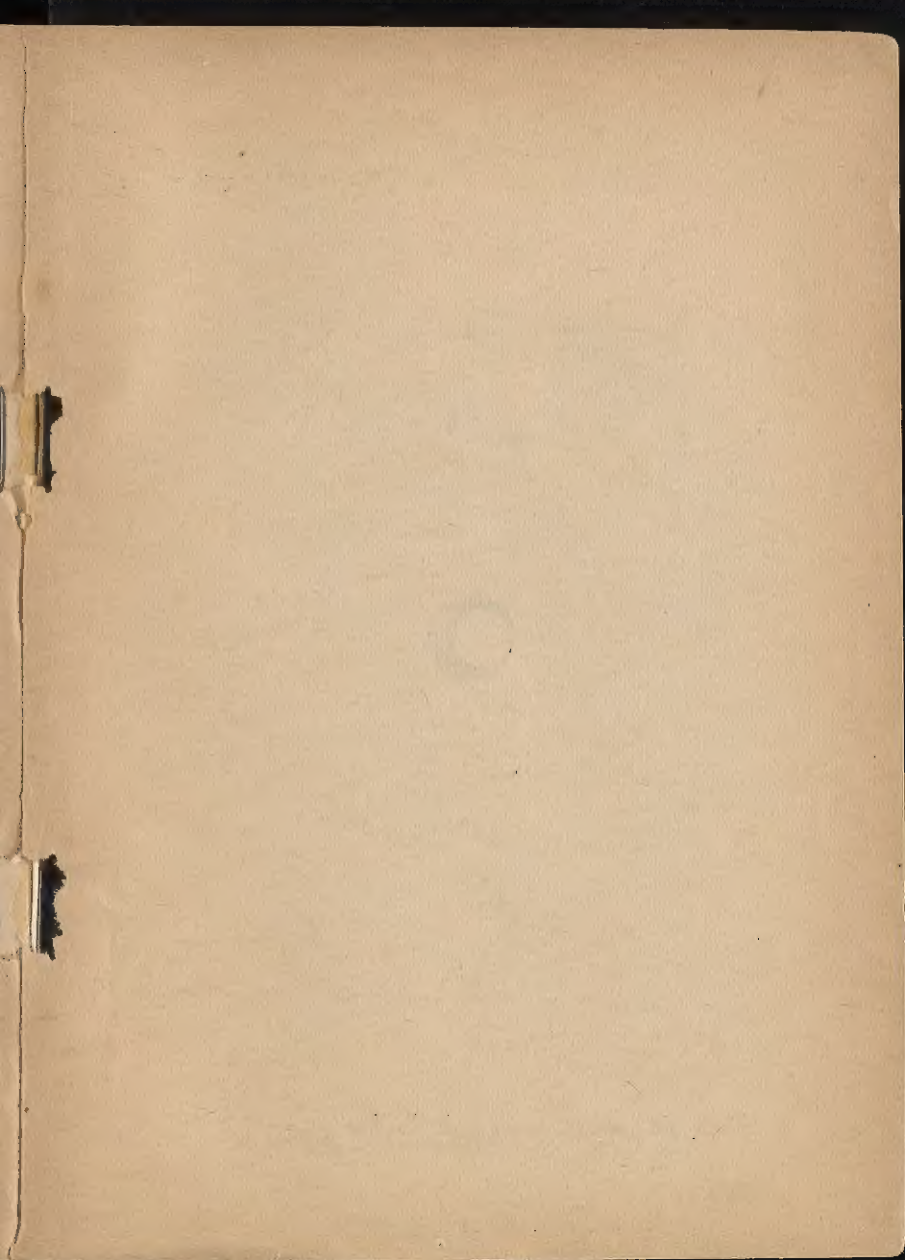
CORNELL UNIVERSITY LIBRARY



3 1924 063 268 746



سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال



ثأرون

تأليف
محمود تيمور

حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال

OLIN

PJ

7864

A98

T24

THAIRUN

مقدمة المؤلف

دارت بين طائفة من الكتاب مساجلات حول الأدب :
هل هو تعبير عن النفس في محيطها الخاص ، أو هو تعبير
عن الحياة في محيطها العام ؟

وعندى أن القول بأن الأدب تعبير عن الحياة قول كله
حق وصدق ، وما أولاه بأن يرتفع عن مدار الجدل والنزاع
ما قيمة الادب اذا لم يكن تعبيرا فنيا بالقول أو بالكتابة
عن الحياة في أوسع معانيها ؟

اذا قال قائل بأن ثمة أدباء يعبرون عن أنفسهم كان في
قوله غلو واسراف ... فالاديب الفنان يستلهم من الحياة
فنه ، ثم يعبر عن الهامه بصيغته الخاصة وطابعه المتميز .
وكلما كان الأديب أعمق تغلفلا في صميم الحياة ، وأصدق
تعبيرا عن الالهام ، كان عمله أقوم وأثمن وأخلد
والادب في ظاهره غاية ، وفي جوهره وسيلة ...

هو غاية، لان الأديب الفنان في أغلب حالاته يعبر عن حياة
تعتلج في نفسه ، لا يملك الا أن يعبر عنها في صراحة وخلص

فالأدب تصوير لانتفاضة نفس الأديب أثناء استجابته للحياة من حوله ، وأنت فقد يسرك شيء فتضحك ، ويحزنك شيء فتبكي ، وما تعبير الأديب الا لون أصيل من ضحكة الطروب أو بكاء الحزين !

من هذه الوجهة يمكن أن نعد الأدب غاية ...

ولكن الأديب يسمو أبدا بمشاعره الى خير الانسانية حين يعمر قلبه الحب الشامل ، وتمتلئ نفسه بفتنة الجمال المطلق ، فهو اذن يرمى - واعيا أو غير واع - الى أهداف معينة ... وطوعا لهذا يكون الأدب وسيلة لاصابة تلك الأهداف على وجه عام ، وهى التسميى بالحياة وبالانسانية الى آفاق اعم خيرا واکرم مثلا ...

على أنه قد يكون الأدب - من زاوية خاصة - وسيلة ظاهرة لخدمة قضية من قضايا المجتمع ، أو لعلاج مشكلة من مشكلاته ، وذلك فى بلد مخصوص ، فى زمن محدود ... وهنا يتوقف النجاح فى العمل الفنى على مدى استجابة الأديب لهذه المشكلة أو تلك القضية ، ومبلغ ما له من صدق التأثر ، وقوة الاداء ... ومتى استطاع الأديب أن يحيا فى صميم القضية الاجتماعية أو المشكلة القومية تيسر عليه أن يعبر عنها تعبيرا فنيا أصيلا يدمج أعراق البشرية ويمزج حقائق الحياة

حتم اذن أن يتوافر بين الأديب وموضوعه تلاؤم وائتلاف فى جو من الحرية الطليقة ، لا فرض فيه على الأديب ولا الزام ...

فكون الادب غاية ، وكون الادب وسيلة ، قولان يترادفان
مادام الأديب موفور الموهبة ، عميق الحس ، صادق الالهام
أقدم هذه الخطرات بين يدي مجموعة من القصص ،
كانت صدى لما تجاوب في نفسى من شئون الحياة التى
تضطرب من حولى ، وأضطرب أنا فى عبابها بقدر قليل
أو كثير ... وكل قصة من هذه المجموعة تمثل جانبا من
هذه الحياة ، وتعبّر عما يجيش به قلب مؤلفها ، مستجيبا
لما فيها من مشاهد وأحداث

ولا يتسع المجال هنا للحديث فى كل قصة من قصص
هذه المجموعة ، ولكن يطيب لى أن أجمل القول فى أولى تلك
القصص ، فهى تصور عصرا من أخطر عصور تاريخنا
الحديث ، عصر « ما قبل الثورة » ...

اولئك فئة من الشباب الحائر ، يحيون فى عهد مظلم
يتسم بالفساد والانحلال ، ولكن جوانحهم تنطوى على
رغبة مستعرة فى انقاذ الوطن مما يعانيه ، وفى نفوسهم
تضطرم روح الثورة ... الاحداث الشداد تنزل بهم
ضربات ، وتيار الفساد يجرفهم فى أمواجه ، فيوشكون أن
يفقدوا نزعته المغالبة والكفاح ، ولكنهم يطاولون الزمن ،
ويضطربون فى الغمار ، تارة نراهم مهزومين متخاذلين ،
وطورا يتناهبون ويتواثبون ، وهم يعدون العدة لخوض
المعركة ، واصابة الاهداف . وأنهم كذلك فى حيرة واضطراب
ترجح بهم الايام ، اذا هم يأنسون ضوءا فى سماء حياتهم ،

رائع القوة والمضاء ، وأن هذا الضوء الوهاج ليعيد اليهم
الثقة بأنفسهم ، فينبعثون للعمل ، مسترشدين بهديه ،
لاقامة صرح الوطن الجديد

وفي بقية القصص صور مختلفة من حياتنا المصرية
تنطوي على أهداف شتى ، وأرجو أن أكون بتقديمها قد
أسهمت فيما هو مفروض على الاديب المعاصر ، من مساهمة
وعى الأمة ، والتعبير عن أهدافها الرفيعة وآمالها الجسام
محمود تيمور



شائرون

فئة من الشباب الخائر ، يحيون في
عهد فساد وأنحلال ، وبين جنوبهم
روح الثورة ، ولكنهم يظلون في
حيرتهم ، حتى يتلقوا ذلك الضوء
الوهاب ، يهدي لأقامة صرح الوطن
الجديد

1
1
0
1

القاهرة ، أول فبراير سنة ١٩٥٢

قبل أيام قصار شب حريق « القاهرة » ، ولسنا ندرى
أى يد آثمة دبرت هذا الحريق المشؤم ؟ ما أكثر الشائعات !
أياما كان الامر فهذا حدث الأحداث فى الحقبة الراهنة .
لقد نبه الاذهان الى أن حالة القلق التى تطبق علينا يجب
أن تكون لها نهاية . هذا نذير ، وانه لنذير جد خطير !

منذ ذلك اليوم النكد ، ونحن نعانى من الهم ما نعانى :
جو خائق يأخذ بالانفاس ، ورهبة جياشة تفعم الصدور ،
وحيرة دائبة تقسو على الاعصاب

الى أين المساق ؟ لقد استبدلت وزارة بوزارة ، وربما
كانت الوزارة الجديدة أرشد من تلك التى تولت ، ولكن ماذا
فى مستطاع الوزراء الجدد أن يفعلوا ؟ أهذا كل مايجب أن
يكون بعد حادث الحريق ؟!

كلما فكرت فيما نحن فيه ، تلبدت فى رأسى من التشاؤم
غيوم ...

لقد مضت شهور ، والبلد كله كأنه مرجل يغلى فوق نار
ثمّة حرب عصايات عن كذب من القنّاة ، موجات
لا تكاد تشتد حتى نراها تترد ، لقد استبد بالناس الحقن ،

والتهبت مشاعرهم ثورة على الاجنبى المحتل ، فلم يكن في مقدورهم الا أن يقضوا مضاجعه ، حتى لا يجد مقيضا من الرحيل . وأنى له البقاء في بلد يمقته فيه أهله ، ويبيتون له أسباب الاقلاق والترويع . ولكن أليست تلك الحرب الخفية الى حين ؟ ألا يسرع اليها الكلال والفتور ؟

شدهما تضاربت الاقاويل في شأن أولئك الفدائيين الاحرار ... كيف تتألب منهم الجماعات ؟ ومن أين تواتيهم الذخيرة والعتاد ؟ وأي امرة ينضوون تحتها في هذا الجهاد ؟ تلك الفاظ لا تنكشف ضمائرها في وضح النهار !

قبل ذلك الحريق كانت كليات « الجامعة » مهوشة يمشون فيها الاضطراب ، ولكنها مفتحة الأبواب تواصل الدرس على اية حال ... كنا نحن الطلاب حشودا في المدرجات أو الساحات ، نخطب أو نناقش ، وربما أفضى بنا خلاف الراى الى مشاتمة وعراك ...

أما اليوم ، فالكليات مغلقة ، والطلاب أشتات ، والحياة جهامة وعبوس ، والقيود الثقيل مفروضة على السهر والتجوال والاجتماع

يا لهذا الضيق الذي يحاصرني من حيثما أتلفت ، يزيد من حدته على أن ينتابني سعال ، سعال خشن تنقض منه الضلوع ، وأمى بجانبى تلزمنى أن أنفذ ما نصح به الطبيب ، وتنهاني أن أريم الفراش ، وتؤنبني كلما لمحت منى بواذر الانطلاق

ألزم فراشى ؟! الطبيب محق ، وأمى على صواب ، ولكن

كيف لى أن أحتمل قيذا جديدا فى هذه الأيام السود ؟ اليس
حسبى ما يكبلنى من قيود ؟ ماذا يراد بى ؟ أأكون خرقة
مهلهلة يوسدونها الفراش ، ويتركونها تبلى على مهل ؟!

— ٢ —

الثانى من فبراير سنة ١٩٥٢

نفثت دما صباح اليوم ، فأخفيت النفثة فى مندىلى ،
ولم أره أمى ، ماذا فى الأمر ؟ أأكون حالتى الصحية لا تبعث
على الطمأنينة ؟ ولكن ألم أنفث دما قبل هذه المرة ؟
أذكر أنى منذ شهر ، كنت اعتلى احد المقاعد ، بين
الطلبة ، مسترسلا فى الخطابة ، فامتلكتنى سعلة ، وأخرجت
المنديل اتفل فيه ، فاذا هو يتلقى نفثة حمراء ، وراعنى
ذلك أول وهلة ، ولكنى تجلدت ، وتابعت القول ، بيد أن
الطلاب ثاروا بى ، ولم يرقهم قولى ، فمجلت من فورى الى
الدار ، متخاذل الاوصال ، وانتحيت بأمى ناحية أريها
المنديل ، وأنا اقول لها ضائق النفس :

— سأموت ... سأموت ... لا خير فى هذه الحياة ...
سأرحل عنها غير آسف !

فأخذت أمى تلاطفنى ، ثم احتضنتنى ، وقبلتنى ، وهى
تقول :

— ما هذا القول يا « يسرى » ؟ أنت تؤثر الموت على
الحياة ؟ لماذا ؟ لأن انحرفا يسيرا ألم بصحتك ، فى مقدورك
الخلاص منه اذا أذعنت لما يقضى به الطبيب ؟ قليل من

الراحة كفيل بأن يرد عليك العافية موفورة كما كنت من قبل

فصحت بأمرى :

— انى أنشد الموت ، لا أجد من حولى شيئا يبعث على الرضا ... انى أختنق ... انى هالك لا محالة !

— كيف ذلك ؟ لقد صدقنى الطبيب فى وصف حالك ، أكد لى الا خوف عليك متى عنيت بنفسك ...

— أخبرينى يا أماه ، ماذا فى الدنيا جدير أن احيا من أجله ؟

— كل شىء فى دنياك جدير بالحياة .. الحياة جميلة يابنى حسبك أن تحيا من أجلى ، لاحتضنك ، لأقبلك ، لأراك تنمو أمامى وتزدهر ، لأشهدك فى قابل أيامك رجلا عظيما ... كأبيك !

— أبى ؟! ... لقد كان عظيما حقا ، وإين أنا منه ؟ لقد كان صلبا مكافحا ، وما حظى من الصلابة والكفاح ؟

— لتكونن مثله ان شئت ... اعلم انى احبك ، لأنك بضعة منه ، لأنك متمم له ، لأنك مثاله .. لأنك هو عينه وتلقت وجهى بين يديها ، وهى تحديق الى بعين متهومة ، وتقول :

— أنت هو ... هو « مجاهد السمري » أبوك ... لا أعده قد مات وأنت على قيد الحياة .. لا تغيب عنى شمس أبيك ما دمت أنت يا « يسرى » مشرقا أمامى !
وتعانقنا معا فى صمت جياش ...

الثالث من فبراير سنة ١٩٥٢

أبى ... أبى ... أكون على غراره ؟ أفى طوقى أن أسير سيرته ، وأحوز بعض أمجاده ؟ أنا الشاب الواهن ، ذو الأعصاب المختلة ، والتفكير المضطرب . أنا الذى أحس الضيق بكل شيء : الضيق بالدرس ، فقد أخفقت فى امتحان العام الماضى ، وهأنذا أعيد السنة الأولى بالكلية ، والضيق بالمطالعة ، فما قرأت من الكتب الا النزر اليسير ، والضيق بمواصلة العمل فى جد ومثابرة ، فما أذكر أنى قمت بشيء أفخر به ...

من اين لى ان اكون مثل أبى « مجاهد السمرى » ، ذلك الذى عمل مع « مصطفى كامل » ، ونفى مع « محمد فريد » . وعاد مكافحا مع « سعد زغلول » ، فعانى مذلة التشريد ، وذاق مرارة الاعتقال ، وأطبقت عليه ظلمة السجن ، ونالت منه طعنات الحراب الانجليزية فى الثورة المصرية سنة ١٩١٩ وظلت هذه الطعنات وسمه بل وساما على جسده بقية ايامه على ظهر الأرض

ما أتعسنى اذ لم تتح لى الأقدار ان أحيا معه الا سنوات لا تزيد على الثمانى ، وقد خلفنا بعد ذلك وهو فى أوج رجولته ، وأنا فى سن غريرة ، والبلد أحوج ما يكون لأمثاله المجاهدين

لست أنساه ... مربع القامة ، مستدير الوجه ، تتألق فى عينيه نظرات نفاذة

كنت أخشاه ... أخشى صوته الجمهورى العريض ،
ولكنى ما زلت أذكر حنانه لى ، وهو يمسح على رأسى ويقبلنى
جالت بخاطرى هذه الافكار والذكريات ، فنهضت من
فورى الى تركة أبى من اضماميم الصحف والمجلات والصور
تلك التى كان يحرص عليها أشد الحرص ، ويعنى بها كل
العناية ، ويرى فيها سجلا للوثبة الوطنية منذ فجرها
الأول ... انها تحوى مواقفه الرائعة ، وخطبه الحافلة ،
الى جانب المواقف والخطب الماثورة عن الزعماء والابطال
جلست الى تلك الذخيرة اتعرف وأتصفح وأقرأ ، ومن
حولى تتكاثر الذكريات وتتداعى ، حتى تألفت منها صورة
كاملة لبطولة الجهاد وصدق الكفاح ...

وفيما أنا على هذه الحال ، اذ سمعت خفق أقدام ،
ورفعت رأسى ، فاذا صديقى « نزهى » يقدم على ، ويبتسم
لى ، فقلت له أحبيه ، وأصافحه ، فابتدرنى يقول :
- أنت بين هذه التلال دائما لا تمل ...

وانكب يشاركنى فى التصفح والمطالعة والتعقيب ، ثم
انشينا نترشف القهوة ، وطفق يقص على ما تساقط اليه
من انباء وأحاديث

السلطات الحكومية جادة كل الجد فى القبض على المشاغبين
الذين تحسب أنهم أسهموا فى الاحراق وما تبعه من سلب
وانتهاب ، انها تجمع منهم العشرات فى اثر العشرات ، وتمهد
طريقهم الى القضاء ... أحقا ان أولئك هم أصحاب الحريق
الأصلاء ، أليسوا هم شرادم من غمار الجمهور ؟ قل انهم

صعاليك ، أو قل ان فيهم صعاليك ، ما كادت تلوح لهم
فرصة الاختطاف والعبث والفوضى حتى أوغلوا ، ولكنهم
على أية حال أفرار ، وهم صرعى ما يكابدون من سوء
العيش ...

أين الرعوس الكبيرة التى دبرت ذلك الشغب الخطير ؟ ان
تلك الرعوس هى التى ترسم الخطط ، وتتيح الفرص ،
وتتخذ من الاوشاب والمستضعفين مخالف القطط ،
ثم تستكن الرعوس بمنجاة من العيون ، وتدع لأولئك الأغمار
والهمل أن يسقطوا فى الشباك والاشراك كما تسقط
الفراشات على ضوء اللهب !

وانبرى « نزهى » يتحدث ، والسخط بالغ منه كل
مبلغ ، وكنت أصفى اليه ، لا أقطع الحديث عليه ، وكان
صديقى هذا طلق اللسان ، قوى المنطق ، يكبرنى بأعوام ثلاثة ،
وهو يعمل فى الصحافة ، تارة يكتب بعض النبذ ، وطورا
يقدم بعض الرسوم الساخرة ، ولم يكن موفقا فى عمله
الصحفى ، ولذلك كان مقترا عليه فى الرزق ، وكثيرا ما أحس
الضنك والعسر ، بيد أنه لا يبالى ذلك كبير مبالاة ، فليس
هو بذى أسرة يعولها ، وليس هو بذى طموح الى كسب
موفور

وقال لى « نزهى » فيما قال :

- اتطيب لك هذه الحياة ؟ أرايت اليهم كيف يزجوننا
فى البيوت عند غيوب الشمس كالأفراخ ؟ كيف أحبس نفسى
سواد الليل كله فى حجرتى المتضايقة ، وقد ألفت أن أسهر

حيث أشاء ؟ أريد أن أتنفس في جو الحرية والطلاقة ، أريد
أن اجتلى الطبيعة في سجوة الليل ... !

— وماذا أنت صانع يا « نزهى » ؟

— لقد دبر لنا « عبد الحكيم » حيلة طريفة ، لعلها تروقك
فنقضى الليل كما نريد في غير محبس

— أين ؟

— في قهوة « السويفى » على مدخل قرية « الهماميل »
... انها أول قرية لا يتناولها قانون حظر السهر خارج
« القاهرة »

وكنت أعلم أن هذه القرية هى مسقط رأس رفيقنا
« عبد الحكيم » ، وقد اصطحبنا إليها في العام الماضى مرات
فذهبنا إليها راجلين ، من طريق « الزمالك » ، وقضينا
هنالك في قهوة « السويفى » بعض الأصائل والأمسيات ،
وكانت هذه القهوة غاية في التواضع ، مشرفة على النيل ،
فاذا أخذنا مجالسنا فيها شرعنا نكرع أقداحا من شراب
الخلبة يجيد صنعها « الحاج محمد السويفى » صاحب القهوة
نفسه ، وكنا نمضى الوقت في نقاش سياسى موصول الحلقات
أو نصفى الى الحديث الشائق الذى كان يمتعنا به « عبد
الحكيم » في شأن مغامراته ومناوشاته أثناء المواقف القومية
على رأس عصابة من أمثاله الوطنيين الأحامس ، والفدائيين
الاحرار . فاذا انخرط في حديثه ، وعلا صوته ، واشتدت
حماسه تجمع من حولنا صاحب القهوة « السويفى » ،
وغلامه « فلافل » ، ومن يتفق حضورهم من أهل القرية

يستمعون إلينا في كثير من الشغف والاهتياج
 وما كاد رفيقى « نزهى » يعرض على فكرة السهر في
 تلك القهوة ، حتى تنفست الصعداء ، وقلت :
 - فكرة طيبة يا « نزهى » ... ولكن متى نذهب إليها
 ومتى نعود ؟
 - نخرج من منطقة « القاهرة » قبيل السابعة ، ونعود
 إليها بعيد الفجر
 ولقينا « عبد الحكيم » عند جسر « الزمالك » ، قبل
 موعد الحظر ، فسايرناه على ضفة النيل ، نترنم ببعض
 الأهازيج
 وكان « عبد الحكيم » عظيم الجرم ، ضخيم الرأس ، حديد
 النظرات . وبينما هو بجانبى يتغنى ، أذ أمسك عن الغناء
 والتفت الى ، مربتا كتفى ، يقول :
 - ما هذا يا « سمرى » ؟ كيف تخرج لقضاء الليل في
 الطريق وانت مريض ؟ كيف طوعت لك نفسك أن تترك
 الفراش ؟
 فأجبتة أتحدى :
 - صحتى حسنة ، أريد أن أتشوق الهواء الطلق
 - انى أحب الشجاعة والاقدام .. ولكن ...
 وانبعثت من فمه ضحكة شوهاء ، فنظرت اليه متفحصا
 فاستكمل قوله :
 - ولكن لا أريد أن أعود بك الى « القاهرة » محمولا
 على عاتقى !

فصحت به ، وأنا أكظم غيظي :

- سنرى اينا يحمل صاحبه ...

فضرب كتفي يقول :

- لا بأس ... عندما تخور قواي ، سأسلق كتفيك

كأني طفل رضيع !

وأرسل ضحكته الشوهاء ، ثم استأنف الغناء

ورفیقنا « عبد الحكيم » أعلننا سنا ، وأوفانا تجربة ...

خبر الدنيا ، وعرك الحياة ، فقد أباه وأمه وما برح في الصبا

الباكر ، وتراخت صلته بأهله ، فلم يكن له من عائل . ومن

ثم شب طليقا لا يخضع في شأنه لأمر أو نهى . وهو فدائي

متمرس ، عمل في حرب « فلسطين » ، ثم عمل في معركة

القناة ، وأصابته جراح كادت تقضى عليه . وقد انقطعت

به سيل التعليم ، اذ حاول النجاح في امتحان الشهادة

الثانوية ، فأخفقت محاولاته ، فثار على المدارس والامتحانات

وأخذ يردد :

- الحياة لا تطلب منا علم الكتب ، وشهادات المعاهد ،

وانما تطلب منا القلب الجسور ، والساعد الأشد ...

واهتدى صاحبنا الى بعض الجماعات السرية ، فانضم

اليها ، وشارك في أعمالها ، ولكنه ما عثم ان انصرف عنها ،

وهو يقول :

- أنا لا أقبل أن أعمل لحساب المستغلين ... اريد ان

أعمل في غير فرض على .. ماذا يظنون بي ؟

ولم يكن يستقر له قرار ، فكان ينظم بعض العصابات ،

وبيث الدعوة هنا وهناك ، ولا يفتأ يعمل بكل سبيل
وعلى الرغم مما فيه من فظاظه وعنجهية ، وما يبدو من
اعتزازه بقوته وسطوته ، كنت أكبر منه الجرأة والتحدى
وأوجد فيه الحماسة والاقتحام

ومن عجب أن ثالوثنا — على تألفه — يجمع بين شخصيات
متنافرة ، الأولى تتميز بالضخامة والتهور ، والثانية
شخصية فنان مفتون بالطبيعة ، يعبر عن أفكاره وأهوائه في
مقالات أو رسوم ، والثالثة الأخرى شخصيتى ... مريض
مهذوم البنية ، يحاول أن يكون شيئا مذكورا في هذه
الحياة !

ولكن هذا الثالوث ، وإن تنافرت مظاهره البادية ، فإن
ثمة رباطا متينا يلم شمله ، ذلك هو أننا جميعا نألم أشد
الآلم لما يتفشى مجتمعنا من اختلال ونقص ، ونرغب أصدق
الرغبة في أن نضطلع بعمل موحد في سبيل رفعة هذا البلد
الأمين

وبغثة سكت « عبد الحكيم » لا يغنى ، ونحن نسير والنيل
فسكتنا معه ، وإذا هو يقف ويظل على صمته لحظات ، وقد
تجهمت ملامحه ، ثم يواجهنا بقوله :

— ما بالنا نغنى ؟ أليس الغناء دليل فرح وارتياح ؟ مالنا
وللغناء ، والبلد في تعاسة وشقاء ؟
فتصدى له « نزهى » يجيبه :

— اننا نتضحك ونتغنى ، خشية أن تتعالى أصواتنا
بالعويل والانتحاب !

فقال له « عبد الحكيم » :

— الانتحاب والعويل ؟ أى انتحاب وأى عويل ؟ أتسوغ
لنفسك أيها الفنان العظيم أن تبكى ؟ افى مأتى نحن ؟
فقال « نزهى » :

— ماذا تريد أن نفعل اذن ؟ اننا بين اثنتين ، فاما طرب
وابتهاج ، واما حزن واغتمام ...
فصاح « عبد الحكيم » :

— كلام فارغ ... أنت يا « نزهى » لاتحسن الا الاعتراض
... لا تجيد الا الجدل ...
فضحك « نزهى » وهو يقول :

— حمدا لله على أن هناك شيئا أجيده ، أما أنت فماذا
أجدت من شيء ؟!

فوقف « عبد الحكيم » فجأة ، واستدار الى ذراع « نزهى »
يعتصرها فى عنف ، وهو يجابهه بقوله :

— أتجرؤ أن تسألنى ماذا أجيد ؟ ألا تعرف مواهبى ؟
أليس لك علم بقيمتى ؟
فاستخلص « نزهى » ذراعه من قبضة صاحبه ، وهو
يجيب فى لباقة :

— آمنا يا سيدى أن لك مواهب ، ولكن كما يقول المثل :
سبع صنائع فى أيدينا ، والهـم بائن علينا ... !

فلم يعقب « عبد الحكيم » على قول « نزهى » ، وواصل
سيره ، وخيم علينا الصمت ، ثم سمعنا « عبد الحكيم »
يتصايح بقوله :

— لا أريد أن أسير في جنازة ...

وإذا هو يتغنى في تضاحك وتهريج

وتابعنا الخطا ، نتملى صفحة النيل الوداع ، واستار
الظلمة تهبط عليه في ترفق ، وجوانبه خلاء لا يلوح فيها
شراع ...

وآنسنا ضوءاً هزيلاً تتخايل من حوله ظلال وأشباح ...
هذه قهوة « السويفى » تقوم على مشارف القرية ...
ودخلنا القهوة ، فإذا هى كما هى : حجرة حقيرة يتدلى
من سقفها مصباح كدر يتلاعب به الهواء ، ومناضد ثلاث
من خشب ناخر ، ومقاعد من قش متهاكة لا تحتمل دعابة
جالس ، وأركان موحشة لا يكاد يبلغها الضوء ، ورفوف
عليها بعض العلب والأشياء ... لم تكن قهوة « السويفى »
مستقلة لهذا الغرض ، وإنما كانت قهوة وحنوت بدال في
آن ، ومن فوقها حجرة يقيم فيها « السويفى » وأسرته
وهل علينا صاحب القهوة ، رمادى اللحية ، عريض
الوجه ، بارز الصدغين ، وأخذ يسمح المنضدة بطرف
جلبابه ، ثم جعل يتفرس فينا قائلاً :

— يبدوانكم قطعتم مرحلة طويلة ، فأنتم مجهودون ، عليكم
غفرة ، خذوا راحتكم ، الحلبة حاضرة ... منذ زمن بعيد لم
تشرف بكم القهوة ... الحمد لله على سلامتكم

ثم صاح :

— يا « فلافل » ... يا « فلافل » ...

فلباه صوت مكدود يقول :

— حاضر يا معلم ...

وبدا « فلافل » في سروال ممزق ، كاشف عن أوصال معروقة ، وصدار ألح عليه النحول ، وتكاثرت فيه الفتوق وكان حافيا يحمل صندوقه الخاص بمسح الاحذية ، ويتأبط اضمامة من الورق المقوى تحتوى على بعض الصحف والمجلات

كان « فلافل » يقوم في القهوة ، بل في القرية كلها ، بوظائف ثلاث : غلام القهوة ، وماسح الاحذية ، وبائع الصحف ... ولم يكن أحد غيره يزاول شيئا من هذه الأعمال ، فاحتكرها لنفسه دون منافسة ونزاع

وصاح « السويقي » يقول لغلامه « فلافل » :
— هلم يا ولد الى احذية السادة فانفضها ولمعها احسن تلميع

وسرعان ما أطاع الغلام ما امر به ، فأقبل علينا يتخذ على فمه ابتسامة زاوية ، ودفع بصندوقه العتيق تحت قدم « عبد الحكيم » ، واقتعد الارض يتناول بيديه الحذاء ينظفه ويظليه

وأدبر عنا « السويقي » يعد لنا شراب الحلبة ، وجعلت ارنو الى الغلام ، الى هذا الشبح في ثوبه الهالهل ، وهو يزاول تنظيف الحذاء في حركات راتبة عليها ملالة وخمول .. ولمحت « نزهى » يخرج ورقة فيخط عليها رسم ماسح الحذاء في وضعته تلك

والفيتنى ابادى الغلام بقولى :

— ما بال القهوة فارغة يا « فلافل » ؟

— الناس منكمشون يا سيدى ...

— كيف ؟

— منكمشون فى بيوتهم ... يخشون الخروج !

— ولكن البلدة لا يشملها قرار حظر السهر ...

— الخوف يسرى فى الناس ، سواء منهم من شملهم قرار

الحظر ومن لم يشمل ، والنفوس فى حرج واغتمام

فهمهم « نزهى » وهو ماض فى اتمام رسمه التخطيطى
لماسح الحذاء :

— انهم أشاعوا الرعب بين الناس ، فأصبح كل امرئ

يخاف من خياله

فنابتنى سعلة ، واحسست راسى يطوف به دوار ،

وجبينى ينضح العرق ، فاجتهدت أن اتغلب على ضعفى ،

وقلت :

— يجب أن نعمل شيئاً ... يجب ...

فرفع « فلافل » بصره الى قائلا :

— حقا ... يجب أن تعملوا شيئاً ... نريد أن نأكل

لقمة الخبز فى هناة !

وقال « نزهى » وهو يستكمل الرسم :

— لقد بلغ بنا الضيق منتهاه ... لست أدرى لماذا لانعمل

شيئاً ؟

فقلت :

— علة البلية ما نحن فيه من فرقة وتفكك ... أتذكرون
كيف كانت الأمة يدا واحدة وصوتا واحدا في ثورتنا الوطنية
سنة ١٩١٩ ؟

وقدم « السويفى » يحمل الصينية ، عليها أقداح اترعت
بشراب الحلبة ، وكان قد تصيد اطراف الحديث ، فقال
على الفور :

— ثورة سنة ١٩١٩ .. لله تلك الايام ... كنت يومئذ
يافعا أخضر الشارب .. وما أكثر ما هتفت : يحيا الوطن !
وانتهى « فلافل » من تنظيف حذاء « عبد الحكيم »
و« نزهى » فتزحزح الى ينظف حذائى ، وكان « عبد
الحكيم » يلوذ بالصمت فى اثناء ذلك الحوار ، ولكنه كان صمت
المستوفز ، واذا هو ينهض من مقعده بفتة ، ويضرب كتف
« السويفى » صائحا :

— كم عدوا قتلت فى سنة ١٩١٩ ؟

فوجم الرجل ، وارتج عليه ، ثم انحنى على شاربه يفتله ،
وقال :

— ما أحسبني قتلت منهم أحدا ...

فقال « عبد الحكيم » :

— اذن فأنت لم تفعل شيئا ...

— كيف ذلك ؟ لقد كنت أحمل الراية ، وأصرخ بأعلى
صوتى ، والجموع من ورائى تردد الهتافات

— ماذا أفدنا من ترديد الهتافات وحمل الرايات ؟ لابد
من عمل ايجابى . كنتم الآن تتحدثون فيما يجب أن نعمله

لخير الوطن . واجبنا شيء واحد ، أن نشور ، أن نحارب ،
أسمعون ؟

وأمسك « فلافل » عن الحذاء ، ومسح بظهر كفه لعبابه
المتسائل ، ورأيته يقلب في وجه « عبد الحكيم » نظرات
حائرة

والتفت « عبد الحكيم » الى ورقة الرسم التخطيطى في
يد « نزهى » فتناولها وهو يقول له :

— ماذا اسميت هذا الرسم ؟

— سميته الهزيمة !

وطفق « عبد الحكيم » ينظر تارة الى الرسم ، وتارة الى
« فلافل » ثم صاح :

— حقاً هزيمة ...

وانطلق يتضحك في سخرية

وعجل « نزهى » الى الورقة ، ينتزعها من يد « عبد
الحكيم » وهو يقول :

— ألم يعجبك الرسم ؟

— كيف ؟ انه هزيمة رائعة ، ولكنى أصرحك بانى لا احب
هذا النوع من الرسوم ... لسنأيا صدقى بحاجة الى من
يرسم لنا الهزائم ، نحن أحوج ما نكون الى من يرسم لنا
الانتصارات !

فقال « نزهى » :

— الانتصارات ؟ واين هى ؟ انى أرسم ما أرى ...

أرسم الواقع ...

وأشار الى « فلافل » وهو يتم قوله :

— هذا المنكود الذى نراه بأعيننا انما يمثلنا جميعا فى تلك
الفترة العابسة المشئومة من حياة الوطن
فصاح « عبد الحكيم » :

— انه يمثلكم انتم ... أما أنا فلا ... انه لا يمثلنى أبدا
... أنصح لك يا « نزهى » أن تتجه بفنك وجهة أخرى ،
وجهة استنهاض واستبشار واعتزام

ثم راح يرمى ببصره من حوله ، وهو يقول :

— لا أدرى لماذا توخينا هذا المكان المهجور لا بوى أن
نتحدى قانون الحظر ، وأن نبرز الى الطريق غير مباليين !
فهمهم « السويفى » :

— أن الخارجين على هذا القانون مهددون باطلاق الرصاص
عليهم فى غير رحمة
فقال « عبد الحكيم » :

— وماذا فى هذا ؟ ماذا فى أن نفقد واحدا أو اثنين أو ثلاثة ؟
فقال « نزهى » :

— وأى نفع للوطن فى أن نبذل انفسنا على هذا النحو ؟
فأجاب « عبد الحكيم » :

— ليعرف المواطنون أن هنالك احتجاجا عمليا على هذه
القوانين الفاشمة

واندفع الى الطريق وهو يقول :

— لا أريد أن أبقي حبيس هذا الوكر .. أريد أن أشم
الهواء الطلق

ولزمت مجلسي مهتاج النفس ، وألفيت « نزهى » يجرى
للمه على المنضدة ، يخط عليها خطوطا معتسفة ، وهو
ضرب الارض بقدميه ضربات غير متسقة ، أما « فلافل »
فقد لبث متجمعا بجوار صندوقه واضمامة صحفه ومجلاته
وهو يسارقنا النظر ، وسمعت « السويفى » يهمس :

— اقول لكما الحق .. انى أخشى على صاحبكما « عبد
الحكيم » أن يصيبه أذى ... هذا وقت لا أمان فيه
فقلت لاهف الأنفاس :

— ليكن مايكون ... فليس هناك وضع أسوأ مما نحن
فيه .. ماذا فى أن يقبضوا علينا ويقذفوا بنا فى المعتقل ؟
فقال « السويفى » :

— اتعرف المعتقل يا سيد « سمرى » ؟

— كيف لا أعرفه ؟ لقد اعتقل أبى ، بل نفى ، بل جرح
سبيل المطالبة بحق الوطن

فرفع « السويفى » رأسه يقول :

— لكى تعرف الاعتقال والنفى لابد أن تذوقهما بنفسك
... أما أنا فقد اعتقلت وجبست وذقت مذاقه أبوك ،
وماذا أفدنا ؟ ذلك هو البلد ، ما زالت أحواله مختلة ،
وأوضاعه سيئة ، والكبراء يأكل بعضهم بعضا ... لمن
تبدلون انفسكم ؟ أخبرونى لمن ؟

فقال « نزهى » :

— لنقلب البلد رأسا على عقب ... علينا وعلى أعدائنا

فقال « السويفى » وهو يمسح شاربه :

— أفي هذا الاجراء شيء من العقل ؟

فقلت في اهتياج :

— اتريدنا على أن نسكت لا نصنع شيئا ؟!

فانهال « السويفى » على شاربه يجتذب شعراته ، و يرمق الأفق الحالك من خلال النافذة ، وقال :

— وماذا نملك الا السكوت ؟ فلنصبر حتى يفرج ال
الكرب ، ويحل العقدة

وبدا « عبد الحكيم » بباب القهوة ، وقد سمع جم
« السويفى » فقال :

— الله يأمرك أن تحل عقدتك بنفسك .. لا تتشدد بأس
الله في غير معنى

فقال « السويفى » :

— ما هذا يا سيد « عبد الحكيم » ... نحن نقول انك
رجل عاقل ، وانك مؤمن بالله ... نحن لا نملك لانفسنا
ضرا ولا نفعا .. الله يفعل مايريد
فقال « عبد الحكيم » :

— ليس في قولى ما يخالف العقل ، ويجانب الايمان بالله
فتدانى منه « السويفى » ، ومازالت أنامله تعبث
بشاربه :

— وماذا نحن صانعون اذن ؟

فقال « عبد الحكيم » جهرة :

— لا بد ان يكون لكل امرئ منا هدف يقصد به مصلحا

وطن ، وخطه مرسومة لبلوغ ذلك الهدف . أحب أن أسألك
سيد « سويفى » ... ماذا تطلب أن تحققه لكى تنفع
وطنك ؟

فففر الرجل فاه ، وظل صامتا يفكر هنيهة ، ثم قال :
- كل امرئ منا يبتغى تحقيق مطالب كثيرة ...
فقال « عبد الحكيم » :

- أقصد مطالبك النافعة لوطنك ، والتي يعود نفعها
عليك أنت أيضا ...

ومكث « السويفى » ساهما يحلق بفكره ... لا يجيب
فأدلى « عبد الحكيم » بنظره الى « فلافل » يقول له :
- وانت يا « فلافل » .. ماذا تنشدد أن تحقق فى دنياك
من الامور النافعة ؟

فشاعت ابتسامة على الوجه المهزول ، ثم طأطأ رأسه
استحياء ، فقال « عبد الحكيم » :

- لا تخجل ... كن صريحا ... ماذا تريد أن تحققه
فى الدنيا ، لكى تنفع به بلدك ... انظر الى .. وتكلم ...
فرفع « فلافل » رأسه يواجه « عبد الحكيم » ويقول :
- أريد أن اكون سكرتيرا لنقابة الصحفيين !

فارتجت ارجاء القهوة بقعقة من التضاحك ، وأغرق
« السويفى » فى قهقهته ، وهو يمسح عينيه ويقول :

- سكرتير نقابة الصحفيين دفعة واحدة يا « فلافل » ...
فلتفنع بأن تكون : سكرتير ماسحى الأحذية أولا ..

وأخذ الغلام بما سمع ، فظلمت محياه سحابة كدراء
وزاغ عنا ببصره ... فقال « نزهى » وهو يكتم ما بقى
من تضاحكه :

— ولماذا لا يجمع بين المنصبين ؟

ورأينا « عبد الحكيم » ينحاز الى الغلام المتكتم المخذول
قائلا له :

— تستطيع يا « فلافل » أن تكون سكرتيرا لنقابة باعة
الصحف ... ولكن بشرط

فاشراب « فلافل » يستوضح ، فأتم « عبد الحكيم »
قوله :

— بشرط أن تتدرب على القتال ...

فأقحمت نفسى أسأل :

— القتال ؟ ما العلاقة بين القتال وسكرتير نقابة باعة
الصحف ؟

فأجاب « عبد الحكيم » مرفوع الهامة ، رزين النبرات :

— لا تستطيع أن تعمل شيئا فى الحياة الا اذا أنميت بين
جنبيك خصائص الجنديّة ... تعلم أن تقاتل وأن تصرع
العدو ، فان فعلت وجدت الحياة أمامك معبدة الطريق
فقال « نزهى » :

— وأنت يا « عبد الحكيم » ... الا تفصح لنا عن هدفك
الأكبر فى الحياة ؟ ماذا تطمع أن تحقّقه ؟

فأسرع « عبد الحكيم » يقول :

عجبنا لك ... أما فطنت الى هدفى فى الحياة ؟
وجدتنى اقول فى فضول :

ناشدتك الله أن تخبرنا ...
صاح :

هدفى .. هدفى .. أن أنشئ معسكر تدريب ، وأن
جميعا تحت أمرتى جنودا فيه ، أعلمكم كيف يكون
الهدف ؟ وكيف تصبحون أبطالاً تملأ قلوبكم العزة والكرامة
من جنوبكم الشجاعة والاقدام

أحدثت نظراته بنا ، ثم استأنف قوله :

ذلكم هدفى .. وقد صارحكم « فلافل » بهدفه ...
يرونى انتم ما أهدافكم

مبادلنا النظر ، أنا و « نزهى » و « السويفى » ، ولكننا
نلفظ من قول

صاح « عبد الحكيم » :

انى أجيب نائبا عنكم ، أهدافكم ان تعملوا تحت امرتى
تدعونا لما أوجهكم اليه ...

- ٤ -

العاشر من فبراير سنة ١٩٥٢

انكسرت صحتى أسوأ انتكاس ، وكانت النكسة من
إلى ذهابى الى قرية « الهماميل » سعيا على القدم
سائى الليل بأسره فى قهوة « السويفى » هنالك ، فقد
ت إلى الدار صباحا لا اكاد امسك الرmq ، وكنت اقطع

طريقي متهالكا متداعيا اجاهد واجالد ، واشعر بانى اوشك
ان اسقط ، ولم يشدد من عزمى الاخشيى أن يتحقق
ماتوقعه لى « عبد الحكيم » ، ونحن الى القرية ماضون ،
اذ قال لى انه لا يريد أن يعود بى الى « القاهرة » محمولا
على عاتقه !

واضطرت ان امكث حليف الفراش بضعة ايام ، مطيع
ما امرتنى به امى من الاعتكاف ، وقد بذلت هى غاية الوسع
فى تمرىضى وعلاجى ، حتى ابلت بعض ابلال .

وقد عادنى رفيقى « نزهى » وأعلمنى بأنه أمضى هو
و « عبد الحكيم » ليلة فى قهوة « السويفى » ، وقد لاحظ
هو على « عبد الحكيم » امعانه فى التجهم ، واغراقه فى
الصمت والتأمل .. وايقن من ذلك انه يسر فى نفسه
امرا يزعم القيام به ، ولكنه يعدنا صفارا لا يجدر بنا ان
نطلع على اسراره الجسام

وقلص « نزهى » شفثيه ، وقال :

— لا يروقنى ان ينطوى « عبد الحكيم » هذا الانطواء ،
وأن يكتم عنا خبيئة نفسه .. الا يثق بنا ؟
فقلت :

— ربما كان يرى أن ليس أحد منا نظيرا له ، يوليه ثقته .
ماذا نهضنا به من اعمال تدل على الجراءة وصدق الجهاد ؟
اما هو ..

— نعلم يا سيدى انه كان بين من تطوعوا فى حرب
« فلسطين » ، وانه أبلى مع الفدائيين فى معركة القناة ..

ولكن اصدقنى بربك : ماذا غنمنا ؟ نكبتنا فى « فلسطين »
شر نكبة ، وذهب دم الفدائيين فى معركة القناة هدرا كأنه
بعض ماء القناة ..

— ليست التبعة عليه فى هذه أو تلك .. حسبه أنه ادى
واجبه

— ما جدوى الجهاد وبذل النفس يا سيد « سمرى »
والأيدي التى تدبر واهنة ، والعقول التى توجه غير موفورة ؟
الم تسمع ما كان من امر الجهاد فى القناة ؟ لقد استفحل
الاضطراب ، وتفشت الدسائس ، واختلط الفدائيون
بالمأجورين والمستغلين ، حتى كاد المجاهدون أنفسهم لا يأمن
بعضهم شر بعض

وعمد رأسه بقبضة يده ، وبدا كاسف الوجه يجمجم :
— حال لا تسر ..

— والأهداف التى تحدث معنا فى شأنها « عبد الحكيم »
لقد طالبنا بأن يكون لكل منا هدف يعنيه ..
فأجاب وقد أخفى وجهه بين يديه :

— فلندعه أولا يحقق هدفه ، ولننظر ماذا هو صانع ؟
وانصرف « نزهى » عنى بعد قليل ، وقد وعدنى أن
يزورنى فى القريب

الحق انى لم يرقتى ما تحدث به « نزهى » الى ،
واحسست غمامة من اليأس تتعقد حولى ، وحاولت ان انفى
هذا اليأس عن نفسى ، وجعلت افكر فى الهدف الذى يتعين
ان يكون لكل امرىء فى هذا الوطن ، وطال بى التفكير ، فيما

يجب ان يكون لى من هدف ، ولكنى لم اهتم الى قرار .
واعجباه !.. اليس ثمة هدف اسعى الى بلوغه ، تلبى
لنداء الوطن ، وقياماً بالواجب له ؟ يا للعار !.. ايجب
« فلافل » ماسح الاحذية لنفسه هدفاً معيناً يعبر عنه
وأنا « يسرى السمرى » ابن « مجاهد السمرى » ذلك
الوطنى الطيب الذكر ، لا أطمئن الى هدف منشود
وملكتنى سعة أجهدتنى الاجهاد كله ، وطاف بى الدو
فأرحت على الوسادة رأسى ، وأنا أهمهم :
— انه الضعف .. انه المرض .. مأساة حياتى !

— ٥ —

الخامس والعشرون من فبراير سنة ١٩٥٢

ترخصت السلطات فيما كان مفروضاً من حظر السهر
وأصبح التجوال فى الليل غير محوط بتلك القيود العاتية
ولكن ما جدواى من ذلك الترخص والتخفيف ؟ انى موثوق
الى الفراش ، وقد اقسمت لأمى ان أطيعها فيما تأمرنى
به ، وتلزمنى اياه حتى ينزاح عنى ما الاقى من أوصاب
أبطاً عنى « نزهى » لا يعودنى ، وكذلك « عبد الحكيم
ومن ثم لا أعلم من كوائن الدنيا المحدقة بى الا ما ترصده
الصحف ، وما يلفظه المدياع ، وما اتفه الاخبار الصحفية
والاذاعية فيما ارى .. وانى عن تفاهتها فى غنية وشغل
كانت مسلاتى فى معتكفى ان اخلو الى كنزى الثمين من
اضاميم الصحف والصور ، تلك التى تجلو لى مراحل
جهاد أبى ، وترينى اعماله المجيدة فى خدمة الوطن ، فأعجب

— ٣٨ —

من قراءة خطبه ومقالاته واخباره لا يسكن لى ظمأ ، واتملى
صوره فى شتى مواقفه لا أمل ترداد النظر

لماذا لا اتخذ أبى مثلا لى أقفوه وأحتذيه ، أغامر فى معترك
السياسة ، أو أعمل فى ميدان الإصلاح ؟ لماذا لا أنظم جماعة ؟
لماذا لا أولف حزبا ؟ لماذا لا أكون زعيما ؟

ووجدتنى من فرط السرور أصبح :

— حقا .. فلأكن زعيما على رأس حزب يجاهد
لاستخلاص البلاد مما يرين عليها من شقوة وبأساء

وبينما أنا فى حمية هذه المناجاة ، اذ أقبل على « نزهى »
ووجهه أقم عابس ، فبادرته مهتاجا أقول :

— لقد عينت لنفسى هدفا لا أعدوه .. لقد قررت
مصرى فى الحياة .. سأهيب بالجماهير ان يتبعونى ، وان
يتخذونى زعيما أمضى بهم فى سبيل اعزاز الوطن .. وددت
ان افضى بهذا القرار الحاسم الى « عبد الحكيم »

فقال لى وهو على حاله مكفهر القسمات :

— اتدرى اين مكان « عبد الحكيم » ؟

— لا أدرى ..

— فى المعتقل .. لقد اخذوه بتهمة خطيرة

فعاجلنى احساس غريب ، هو مزاج من رهبة وحنق ،
وجعلت أرنو الى « نزهى » لحظة ، ثم قلت مختلج الصوت :

— ما تهمة ؟

— ضبطوا لديه أوراقا وأسانيد تكشف خطته لانشاء
معسكر سرى للتدريب

وبعد صمت قصير ، واصل « نزهى » حديثه يقول :
— هذا هدفه .. وذلك مصيره !
ونظر الى فى جد ، وقال فى اتران :
— انصح لك يا « سمرى » أن تخفض من غلوائك فى تفكيرك ،
وان تستانى فيما تعترم من انشاء حزبك !

- ٦ -

اول مارس سنة ١٩٥٢
الفيت الاوامر الموقوتة التى كانت تحظر السهر ، وعادت
الحياة كما كانت .. وعلى الرغم مما كنا نرى من هدوء
ظاهر ، فان السخط عام ، ووميض النار يبدو من خلل
الرماد ، الناس يغشاهم خمولا ، والجو من حولهم طامس ،
لكأن فيه سحباً ثقلاً تسبح فوق الرءوس ، ولكنها سحب
لا تنفض ما تختزن من ماء ، ولو اتيح لهذا الماء أن ينهمر ،
لانتشعت على اثره الغيوم الثقيل ، وأسفرت عن صحو
واشراق

بارحت فراشى ، وانا اشعر ببعض التماثل ، ولكنى فى
الحق اغالب واجالد ، فما عاودتنى العافية موفورة ، وانى
لا اكاد انطلق شيئاً حتى أجدنى مضطراً أن أخلد الى فراشى
يوماً أو بعض يوم

لم تعد لى طاقة بالتزام اوامر الطبيب ، ولذلك ثارت
امى على ، ونشبت بيننا الخصومة ، فكنت تارة اهادن
وتارة أتحدى

ولقد استؤنفت الدراسة في كليات « الجامعة » ، فلم
اكن اذهب الى كليتي الالاما .. ليس لى على الدراسة
جلد ، ولا انا بها مشغوف ، اعترف بذلك جهرة ، بل اقول
انى ابلغ فى ذلك حد الكره .. بنفسى ملالة من كل شىء

غابت عنى انباء « عبد الحكيم » ، اما « نزهى » فكان
يزورنى فى الحين بعد الحين ، فتمضى الى الطريق نتسكع
ونتناقل لغو الحديث ، وربما عدلنا الى بعض المشارب
نستريح ، فنقضى ساعة نتشاءب ، واذا عز التثاؤب على
« نزهى » اخرج كراسته وقلمه وطفق يرسم ، ثم لا يعتم
أن يمزق ما خطت يده !

وساقتنى « نزهى » مرات الى مقاصف الليل ومساهره ،
يبغى بذلك أن يتصيد المواقف المثيرة ، والشخصيات
الطريفة ، ليجعل منها مادة لفنه ، واذا هى على قلمه رسوم
ويوما قلت له :

— لماذا لم تلق بالا الى ما نصحك به « عبد الحكيم » حين
أوصاك بأن تتخير لرسومك مشاهد جد ، وأن يكون لك
من ورائها هدف رفيع ؟
فأجابنى ، متلعبا بقلمه :

— لقد حاولت ، فلما عرضت نماذجى فى هذا السبيل
على الصحف التى اعمل بها لم تقع موقع القبول ، ان القائمين
على هذه الصحف يؤثرون المفريات ، ويتقاضوننى ان اقدم
لهم ما يصلح للتسلية والتفكيه والابهاج .. طوعا لاهواء
القراء !

وسرح ببصره لحظة ، ثم مال على اذنى يهمس :
- لقد اتممت رسما عظيما ازمع تقديمه فى احد المعارض ،
فان عز على ان اعرضه فى « مصر » فسأعمل على عرضه
فى « أوروبا » ..
- فى « أوروبا » ؟ ..

- ولم لا ؟ لو كان « عبد الحكيم » غير معتقل ، ورأى
هذا الرسم ، لرقص طربا ..
وشرع يقلب صحائف كراسته ، ثم اشار الى رسم فيها
وهو يقول :

- ذلك نموذج مصغر للوح الفنى الذى اعددتة .. انه
تخطيط ينقل اليك الفكرة .. انك لا تشهد أول وهلة الا
رسم مدفع كبير مصوب الى قلعة عابسة متجهمه . ولكن
دقق النظر فى رسم المدفع .. الا تستبين شيئا ؟!
وتفرست فى الرسم ، فاذا انا أرى اجزاء المدفع تكشف
عن صور جنود من شباب الوطن يتجلى فيهم حماس
ومكثت مليا أرنو الى الرسم ، وأنا معجب بما يرمز اليه .
ثم أمسكت بيد « نزهى » اهزها قائلا له :
- مرحى .. مرحى .. انه رسم فريد .. اهنتك !

- ٧ -

اول ابريل سنة ١٩٥٢
طاب لى مع صاحبى « نزهى » هذا اللون من الحياة
حياة التبطل والسهر . ارجع الى البيت فى اعقاب الليل ،

فتتلقانى أمى باللوم والتعنيف ، ولكنى كنت لا أعبأ بقولها
ولا أصيخ ، فإذا لجت فى ملامها اغلظت لها فى الرد ، واسكتها
بكل سبيل ..

ولم نكن نكتفى - أنا و « نزهى » - بالمقاصف والمساهر ،
ندلج إليها أكثر الليل ، بل أخذنا نرتاد الحدائق العامة فى
الضحوات والأصائل ، يلذ لنا أن نتعقب الفتيات فى مغدى
ومراح ، فنغازل منهن من نانس فيهن الملاينة ، ونجد فى
ذلك متعة وسلوى

واهتدينا الى فتيات ثلاث ، لكل منهن ميزة ، الأولى
بادنة مكنتزة ، والثانية شقراء واضحة الشقرة ، والثالثة الأخرى
سمراء شديدة السمرة ، وقد أصطفين دكة خاصة فى حديقة
النهر ، على طرف الجزيرة ، فهن يجلسن عليها ساعة فى
عصر كل يوم ، لا يتخلفن ، ولا يتفرقن ..

وأخذنا أنفسنا بأن نجوز بهن مرة بعد مرة ، وأن نخالسنهن
نظرة بعد نظرة ، ثم مددنا شباك الحديث اليهن ، فأصمن
أسماعهن ، ولم تلح لنا منهن بارقة ارتياح

وعلى مر الأيام تم بيننا وبين الصواحب الثلاث تعارف ،
ولكنه تعارف صامت عقيم ، فإذا نحن بدونا حياهن لم
يستطعن مغالبة الابتسام ، ومال بعضهن على بعض يتهاوسن
فى رفق ، ثم اصطنعن الجد ، واستأنفن ما كان يدور بينهن
من حوار .

ومرة أخذنا مجالسنا فى ظل شجرة ضخمة تقوم عن
كئب من الدكة المعهودة ، وبقينا نرقب هؤلاء الأوانس ،

وأخرج « نزهى » كراسته ، وشرع يجرى قلمه على الورق
ونظراته تشخص الى ثلاثهن آنا بعد آن .. وشعرن بأن
صاحبى لا بد يرسم صورهن ، فوضحت عليهن مخايل
الاهتياج

ولما اكمل « نزهى » رسمه أرانى اياه ، وهو يتضاحك
ويقول :

— ما قولك فيما ترى ؟

فما وقع بصرى على الرسم حتى صحت مشدوها :

— رائع .. ولكن ..

فتعجلنى يقول فى صوت عال :

— ماذا ؟

فاستدركت اقول :

— لا شيء !

لقد كان الرسم يمثل سرب الفتيات فى غلايل شفافة ،
فهن يتجلين كأنهن عاريات .. ولبشنا نتناقل الرسم ،
ونتبادل الضحك ، وبدت على الفتيات ملامح الاستطلاع
والقلق ، وشاهدنا الفتاة الباذنة تخطو نحونا ، فعرانا صمت ،
وما ان دانتنا حتى مدت يدها الى « نزهى » تقول :

— هل تأذن لى فى ان أرى الرسم ؟

فاستجاب لها الصديق ، ودفع اليها بالورقة ، وعلى
شفتيه بسمة ، فما لقت على الرسم نظرة حتى انطلق
لسانها بالشتم والسباب ، وهرعت اليها صاحبتاها تشتركان
معهما فى التصايح والاستنكار .. ثم أمسكن قليلا تتجمع

انظارهن على الرسم يتوسمنه ، وبفته علت ضحكاتهن
مصلصلة ، وهن يشرن بالانامل الى الورقة فى ايتياج . وما
هى الا ان تراحمن وتدافعن ، تبغى كل منهن ان تكون فى
حوزتها الورقة ، فأقبل عليهن « نزهى » يفض بينهن هذا
النزاع وهو يقول :

— على رسلكن .. سأرسم كلا منكن على حدة !

وارتفعت اصواتهن دفعة يقلن :

— حقا ؟!

ولكنهن استدركن ، واشحن عن الورقة بوجوههن ،
وكانت أجرأهن الفتاة البادنة ، اذ استبقت الرسم فى يدها ،
وواجهت « نزهى » تقول له :

— الا تعترف بأنك قليل الحياء ؟

— اعترف .. انعتينى بكل ما تهوين من نعوت ، ولكنى

مستطيع ان اثبت لك دائما حسن نيتى ..

وتدخلت اقول :

— اقدم لكن صديقى « نزهى » الفنان المشهور ..

صاحب الرسوم الساخرة التى تزين الصحف والمجلات

فقالت البدينة ويدها فى خصرها :

— لم نحظ بأى شرف يا سيدى !

فسارعت الشقراء والسمراء تتضاحكان

وقال « نزهى » :

— مادمت يا سيدتى لم تحظى بأى شرف ، فهاتى الرسم

فأجابته كاسرة العين :

— ان هذا الرسم أصبح من حقنا نحن ، وخاصة لأنك
أظهرتنا في هذا الوضع الشائن ..
فوجدتني أقول :

— اقترح تمزيق الورقة ، انهاء للاشكال ..
فقالت البدينة :

— حقا يجب ان تمزق الورقة ، وسأتولى انا تمزيقها
بنفسي !

وأمسكت بالرسم ، كأنها تهم ان تفعل ، والفيت السمراء
والشقراء تنظران اليها في انزعاج ، واذا انا ارى الانسة
البادنة تطوى الورقة في ترتيب ، وتودعها حقيبة يدها في
عناية ..

فصحت :

— حسنا فعلت

واضفت قائلا :

— هل تسمحن يا آنساتي ان اقدم لكن شيئا من المرطبات
للترفيه !

فتبعني « نزهى » يقول على الاثر وهو يهز كتفي :

— وكيف لا يسمحن ؟ هيا يا « سمري » .. مكان البائع
قريب

والتفت الى الفتيات يقول :

— اقدم لكن صديقي « يسرى السمري » فتى ظريف ،
حاز البطولة في الامتناع عن الدراسة بكلية الحقوق ، ولكنه
فنان يجيد تقديم المرطبات ، وله في اختيارها ذوق رفيع

ولم يطل غيابى . فعدت محملا بزجاجات الأشربة الفوارة
مختلفة الألوان ، ووجدت « نزهى » مشتبكا مع الاوانس
فى الحديث ، وقد ارتفعت بينه وبينهن الكلفة ، كأنه يعرفهن
من قديم

وصفت الزجاجات على الدكة ، ووجهت حديثى الى
الثلاث الانسات أقول :

— اليس من حقى أن أشرف بالأسماء الكريمة ؟
وماكدت أفرغ من جملتى ، حتى سبق « نزهى » يقول :
— فاتنى أن أقوم بتعريف صديقتى لك يا « سمرى »
وأشار الى البدينة يقول :

— الأنسة « ولعة »

ثم اشار الى الشقراء ، وقال :

— وهذه « فلة »

وأردف قوله مشيرا الى السمراء :

— وتلك « سمسة »

ورأيتنى تنعقد عيني بالآنسة الشقراء « فلة » أتملى
صفاء محياها الوديع ، فأنبهنى « نزهى » الى توزيع الزجاجات
على الجمع ، فبدأت بالشقراء ، وعنيت بأن أنزع لها سداد
الزجاجة ، وان امسح مكان السداد بمندبلى الخاص ،
فأولتنى ابتسامة متلطفة ، وأسبلت جفניה تقول :

— شكرا لك ...

فغمرتنى البهجة ، وأنا أعقب بقولى :

— بل الشكر لك على القبول

ثم مددت يدى الى الأنسة البادنة « ولعة » باحدى

الزجاجات ، وفاتنى أن أنزع سداده ، فاستدركت أفعل ،
فأسرع « نزهى » يأخذ منى الفتاحة ، ويتولى ذلك عنى ،
ورأيته يخرج منديله ، ويمسح مكان السداد من الزجاجات ،
كما صنعت ، فأشرق له وجه صاحبتة ، وقالت وهى
تخفض بصرها :

— أتعبت نفسك .. شكرا لك !

وألقيتنى أجادب « فلة » الحديث ، أتصيده من هنا
وهناك : الحديقة هادئة ... الجو لطيف ... السماء
رائقة !

وامتدت يد سمراء بالغة الدكنة الى الزجاجات المصفوفة
تجذب منها واحدة ، وإذا هى يد « سمسة » ، فقلت
أتصنع الدهشة :

— لا تؤاخذينى يا آنستى ... سهوت عنك

ورجوت منها أن تناولنى الزجاجات ، لأنزع منها السداد ،
فقالت فى حدة تحاول اخفاءها :

— لا ... أنا شاكرة !

فبسطت لها يدي بالفتاحة ، فقالت فى اهمال :

— لا حاجة لى بها ...

وسرعان ما أسندت الفتاة طرف السداد الى حرف الدكة
وضربت بيدها على السداد فأطاحت به ، وجعلت تصب
الشراب فى حلقها صبا ، وما لبثت أن قذفت بالزجاجات وهى
تتضحك فى احتياج . فصاح « نزهى » :

— مرحى ... مرحى ... لم أكن أدري أن الأنسة
« سمسة » احدى بطلات السرعة فى شرب القازوزة ،

سيكون لك شأن بلا ريب في المباريات العالمية القادمة ...
أمعزمة أنت الاشتراك فيها ؟
فقهقتها تجيب :

— ولم لا ؟ ومن يشترك فيها اذا أنا لم أشارك ؟
فقالت الفتاة البادنة « ولعة » :

— انها تقوم بالتمرينات منذ الآن !
والفينا « سمسة » تعجل الى زجاجة اخرى ، فتحذو
بها ذلك الحذو ، تنزع بيدها السداد ، وتعب الشراب دفعة
وتلقى بالزجاجة في عنف ، فتصايحنا متهللين ، وملت عليها
أرفع ذراعها وأقول :

— كسبت الجولة الاولى في مباراة اليوم
ونحا « نزهى » نحوها بقطعة من ورق كورها على شكل
كأس ، وانحنى أمامها يقدمها لها ويقول :
— يسرنى أن أقدم لك الكأس الفضية ، اعترافا بفوزك !
فاشتركتنا جميعا في تصفيق حاد

وانبسطت أسارير « سمسة » ، وزال عنها ماكان
يعروها من ضيق ، وما هي الا أن أقبلت علينا بوجهها تسرد
قصص بطولتها في احتساء الأثرية ، وذكرت أنها تناولت
في جلسة واحدة عشرا من فنجانات القهوة ، وعشرة من
أكواب الليمون ، ومثلها من اقداح السحلب الساخن
وتركت « سمسة » تقص مغامراتها في هذا المضمار
وانصرفت الى الشقراء « فلة » أجازبها أطراف الحديث ،
ولكنى لم أستطع أن أجاوز بها حديث الحديقة الهادئة ، والجو
اللطيف ، والسماء الصاحية . وأخيرا وجدتني أقول :

— لست أدري لماذا احس اليوم بأن الحديقة كلها يضرها
منها عطر « الفل » ذلك العطر المنعش اللطيف !
فتضاحكت « فلة » تسأل :

— ومن أين جاءها عطر الفل ياترى ؟
— حقا ... من أين ؟

وابتسمت وأنا أداعب اناملها ، ثم اتممت قولي :
— فلنبحث أنا وأنت عن ذلك السر ...

وبينما نحن نتلقط مناسبات الاحاديث البهيجة ، روعنا
فرقة على مقربة ، فالتفتنا نبتين ، فوجدنا « سمسمة »
قد اطاحت برقبتي زجاجتين من زجاجات الاشربة الفوار
وصاحت :

— في حب السادة العشاق !

وراحت تشتف الزجاجتين واحدة تلو الاخرى ، ورمتهما
بهما بعيدا كشأنها من قبل ، ولاحظت ساعتئذ ان « نزهى »
قد انتحى بصاحبته « ولعة » غير بعيد ، كما انتحيت
بصاحبتي « فلة » ، وصفقنا جميعا نحى صنيع « سمسمة »
ولكنها لم تأنس بتصفيقنا ، بل قالت في احتداد :

— ماذا أنتم منتظرون ؟ الا تخشون ان يلمحكم حارس
الحديقة وقد جاوزتم الحد ؟ اتريدون ان نخرج مطرودين
كفى يا جماعة .. العقل زينة !
وتواعدنا على لقاء قريب

— ٨ —

آخر ابريل سنة ١٩٥٢
ترادفت ملاقاتنا للثلاث الاوانس في أيام معلومة من كل

أسبوع ، وألفت صحيفة « فلة » ، فبادلتنى الفة بألفة ، حتى
استأثرت بها واستأثرت بى ، وكذلك كان شأن « نزهى »
و « ولعة » مؤلفين يستأثر كل منهما بصاحبه

أما « سمسمة » فقد انتهى بها السخط الكظيم والاهتياج
البادى الى لون من الاستسلام والرضا بما هو مقسوم ...
كانت تختلف الى الحديقة مع « فلة » و « ولعة » فى كل
لقية ، وترافقنا الى كل جهة ، فتقاسمنا مانحن فيه من
امتع ، وقد اطمأننا الى مكانها منا على هذا النحو ، وانسنا
بما تشيعه بيننا من روح البهجة ، ووجدنا بها وسيلة
الى الانطلاق حيناً بعد حين من حرج الجلسات الشائسة
الخاصة ، والاندماج فى جلسات عامة مشتركة ، نفى بها
ماعسى أن يكون من سامة وملال

على أن جلساتنا العامة لم تكن تخلو من بعض تصرفات
جريئة ، بينى وبين « فلة » ، أوبين « نزهى » و « ولعة »
فكانت « سمسمة » تفض الطرف عنها تارة ، وتتصدى
لنا تنهانا أن نتمادى فيها تارة أخرى

والفيتنى أتجاسر على مداعبة « فلة » واتعمق ، فتعلمت
هى منى أن تكون جريئة معى ، واستطعت أن أخرجها مما
كانت عليه من زماتة وتحفظ ، ووجدتنى أطرب لذلك طرباً
لم يكن لى بمثله عهد ، ولكن هذا الطرب والارتياح كان ينقلب
عندى أحياناً الى سهوم وانقباض ، حين أراجع نفسى ،
الومها على ماكان منى !

وعلى مر الأيام تيسر لنا أن نغرى الفتيات الثلاث بأن

يطلن معنا الجلوس والتنقل ، وأن يمتد لقاءنا لهن هزيعا
من الليل ، وكنا نعينهن على صوغ الاكاذيب ، يسوغن بها
ذلك السهر لاهلن ، فيتزودن بها حين يرجعن الى بيوتهن
مبطنات

وذات ليلة ، ودعنا الفتيات الثلاث على وعد باللقاء
في يوم آت ، ومضيت أنا و « نزهى » نواصل سهرتنا
متسكعين في الطرقات والمسالك ، وألقيت نظرة على ساعة
يدى ، فدهشت وقلت لصاحبي :

— أتدرى كم الساعة الآن ؟

— كم ؟

— الثانية عشرة

— ماذا تعنى ؟

— هذا منتصف الليل !

— وماذا فى هذا ؟ .. بقى النصف الآخر ؟!

— لقد احتجزنا الفتيات الى هذا الوقت المتأخر ، كيف

يكون موقف أسرهن منهن ؟

— فليكن ما يكون !

— أيليق بنا أن نخرج هؤلاء الفتيات ، وأن نزج بهن فى

المأزق ؟

— لقد رضين بصحبتنا ، فيلتحايطن على ذويهن ما استطعن

اننا لم نرغمهن على أن يسايرننا .. دعك يا صديقى من

هذه الوسواس !

فصمت هنيهة ، وأنا أخفض رأسى ، انظر الى موطئ

قدمى ، ثم شخصت الى « نزهى » أقول له :

— يبدو أننا تغالينا في صحبة هؤلاء الفتيات ، وأشعر
بأن علينا التبعة في اغرائهن بأن يسلكن طريقا غير سوى ..
فتضحك صاحبي يقول :

— طريق غير سوى ؟ .. انك تهذى .. هل جرى منا
ما يسيء اليهن ، أو يشين سمعتهن ؟

— لقد تعلمن منا أن يكرعن أقداح الجمعة ..

— انها شراب مفيد .. ولا يستنكر من الفتيات أن يتعاطينها
في غير سرف ...

وهنا أخرج من جيبه زجاجة ، ولوح بها متضاجكا
يقول :

— أما هذا « البراندى » فحرام على الفتيات !

ونقر الزجاجة بأصابعه ، وهو يردف :

— في صحتك !

وجرع جرعة وافية ، ثم قال وهو يمد الزجاجة الى :

— هل لك في رشفة ؟

فنجيت يده عني ، وأنا أقول :

— الطبيب يحظر على أن أشرب « البراندى » ...

— حسنا ... يجب أن تدعن لرأى طبيبك !

وخطونا بضع خطوات ، وإذا أنا أقول لصاحبي :

— اسمع يا « نزهى » ... أخشى أن يقع للفتيات منا

ما نكره ...

— ما زلت تتحدث في شأنهن ؟ !

— نعم .. اعترف لك بأن موقفى لم يكن رزينا مع

« فلة » بعد أن تساقينا أقداح الجمعة ..

— حين اختليت بها فترة قصيرة ؟

— نعم ...

— ماذا صنعت يا بطل ؟

— تبادلنا القبلات في نشوة ، وتعانقنا في حمية ..

فصلصلت ضحكة « نزهى » وهو يقول :

— الليلة أول مرة ... لقد سبقتك الى ذلك مع « ولعة »

منذ أسابيع !

— وماذا بعد التقبيل والعناق ؟ يجب وضع حد لهذا

المعبث ، ان « فلة » و « ولعة » تعدان نفسيهما مخطوبتين

لى ولك ...

— لكل منهما ان تعد نفسها كما تشاء ، ولكننا لا نعد

نفسينا مخطوبين لهما ..

— الا يكون هذا تصرفا غير كريم .. غير نبيل ... غير

شريف !

فكرع « نزهى » من زجاجة « البراندى » واخذ بيدي

يضغطها بشدة ، وقال :

— حسبك .. حسبك .. لا تلفظ بكلمات الكرامة

والشرف والنبل يا صديقى العزيز

ورفع عقيرته بقوله :

— أتريد أن نكون انا وانت وحدنا نبيلين شريفيين كريمين

نتصرف فى حدود اللائق ... ألسنت ترى الدنيا من حولنا

كيف تجرى فيها الامور ؟ ألسنت ترى فى أى جو نعيش ؟

وصب فى فمه جرعة ثالثة ، فاجتذبت الزجاجة من يده

وصححت به :

— لقد أفرطت في الشرب ... وكفى !
— لماذا تمنعني أن أشرب ؟ ألا تحفظ القولة المأثورة :
« اليوم خمر » ؟!

— وهل نسيت تكملة الجملة : « ... وغدا أمر » ؟!
فحملق « نزهى » في وجهي مليا ، وهو يرسل ضحكات
متشعثة ، وقال :

— هذا خطأ ... ليس هناك أمر ... اليوم خمر ، وغدا
خمر ... وبعد غد يلتقنا القبر .. انه ينتظرني وينتظرك
... القبر يا حبيبى « سمرى » ... الحقيقة العظمى في
الحياة ، والنهاية الخالدة لكل حى ... وما عداه هراء !
— ولكن يا « نزهى » لا تنس أن للحياة أهدافا ...
انضيعها ؟!

فوقف « نزهى » باسطا لى ذراعيه ، فاغرا فاه ، وقال :
— حقا ... ذكرتني ... نسيت الاهداف ... أين
الاهداف ؟ .. فلتحى الاهداف !

وهجم على ينتزع الزجاجاة منى ، وهو يردد :
— أين الاهداف ؟ نسيت الاهداف ... فلتحى الاهداف !
فوجدتني أرفع الزجاجاة الى فمى ، أرويه بجرعة ، ثم
أسلمت الزجاجاة اليه ، وجلسنا على الطوار فى ركن من الطريق
نتساقى ونتضاحك ، وشعرت برأسى يدور ، وبصرى يزيغ
وماهى الا أن رأيت « نزهى » وقد عرته جهامة ، واستغرق
في صمت ... وبغثة سمعته ينشج ، فجعلت أرقبه في قلق
فاذا نشيجه يزداد ، فطفقت امسح على رأسه الاطفه ،
واقول له :

— خفف عنك ! فيم تنشج ؟

فارتفع نحيبه ، وقال :

— هل تعلم انى فقدت اللوح الفنى العظيم الذى رسمته :
« المدفع » ؟.. فقدته الى الابد ... لقد مزقته شر
ممزق ، فى ساعة يأس مرير ... لقد كان لى هدف عينته
لنفسى ، هو أن اقيم معرضا فى « روما » ، وأن يكون هذا
اللوحة عروسا فيه ... أما الآن فلا معرض ... ولا عروس
... ولا هدف !

— ٩ —

الخامس والعشرون من مايو سنة ١٩٥٢

يا للسهرة الماضية التى شربت فيها « البراندى » حتى
ثملت .. لقد كلفتنى ثمنا غاليا ... لقد ألزمتنى السرير
أياما متوالية ، وجددت لى نوبات السعال ، وتركتنى انفث
الدم عودا على بدء ... فاستبان فى الهزال ، وازددت
ضعفا على ضعف ... وماأن استشعرت بعض العافية ،
حتى ثرت على رقادى الممل ، وغادرت البيت ، غير مكترث
بالحاح أُمى على أن أظل رهين الفراش ...

عدت استمرىء حياة التصعلك والشروء ، أخرج أياما
وتقصرنى العلة على الاعتكاف بعض حين ... ورأيتنى
مستخفا بشأنى كله ، لا أجد فى الدراسة الا عبثا من العبث
فاذا ضمتنى الكلية شعرت بأنى سجين ، وكان يشركنى
فى هذا الشعور كثير من الطلاب ، نلتقى فى أرجاء « الجامعة »
حلقات ، فنسير مخفوضى الرؤوس ، نتداول الاخبار ،

ونتطارح الاحاديث في همس ، وعلى وجوهنا سسـخط
واكتئاب . وكنا نحس بأن الايام مقبلة بنا على أمر جسيم
لا نكتنه مداه ، ولا نعرف عقباه ...

أما صاحبنا « عبد الحكيم » ، فقد احتجب عنا شأنه ،
فكانه أصبح في عداد الموتى ، لا نذكره الا كما نذكر الراحلين
الذين غيبتهم أطباق الثرى ، ولم يعد لهم في حياتنا حساب
... وأما صلتى انا ورفيقى « نزهى » بالفتيات الثلاث
فقد كانت تتوثق يوما بعد يوم ، نتلاقى في حرية ، ولا نخشى
من رقيب !

ويوما ، والشمس مؤذنة بغيوب ، مضيت أجزر الخطأ
أنا و « نزهى » ، في « شارع سليمان باشا » ، لغير قصد ،
والى غير وجهة ، وكانت حافظة نقودى منفضة ، وكذلك
كان « نزهى » فى افلاس ، وكنا على شر حال من التأفف
والبرم ، نسب الارض ومن عليها ، ولا يروقنا مما حولنا
شئ ... وجنحت الى « نزهى » أقول :

— أتراك نسيت موعد الثلاث الاوانس ؟

— لست ناسيه فلنخلفه !

— كيف !

— وأعجبا لك يا « سمرى » !... السنا مفلسين ؟

إنذهب للقاء الفتيات وقد خلت من النقود يدى ويدك ؟

— علينا أن ندبر الامر ...

— لا حيلة لنا الا السرقة ..

— السرقة ؟ حقا ... فلنكن لصين فى سبيل الحب

والفرام !

و فرطت منا ضحكات بشعة ، مالبثت أن أسلمتنا الى
صمت ثقيل ، ولما بلغنا غاية الطريق عند « شارع فؤاد »
عدنا ادراجنا ونحن على صمتنا في وجوم ، ولما احتوانا
« ميدان سليمان باشا » الفيت « نزهى » يحيد الى
« شارع قصر النيل » المفضى الى « ميدان الاسماعيلية »
فقلت من فورى :

— الى أين أنت ماض بى ؟

— لا شيء الا ان نبدل الطريق ، تجديدًا للمناظر ... اما
كفالك التردد فى شارع واحد ؟

— والموعد يا « نزهى » ؟

فصاح غاضبا :

— أى موعد ؟ ألم اقل لك انه لا سبيل الى لقاء الفتيات ،
وكلانا مفلس ؟!

فأجبتة مفضبا مثله :

— عار علينا اخلاف الموعد ... هذا يجانب المروءة ..
يجب أن ندبر الامر

— فليكن تدبير الامر اليك يا صاحب المروءات !

ومررنا « بنادى السيارات الملكى » ، وكنت أسمع من
شأنه الكثير ، وأعلم انه مثابة السراة والكبراء والحكام ،
يمارسون فيه أفانين المتع ، ويستمرئون ألوان الملذات ،
فألقيت عليه نظرة المغيظ ، وقلت لصاحبى :

— هنا يأكلون أشهى الأطعمة ، ويكرعون أفخر الشراب ،
ويحيون الليالى الملاح فى اللهو المباح وغير المباح ...
فقاطعنى « نزهى » يستكمل ما أتكلم فيه ، فقال :

— ولا تسلية لهم الا بذل النقود .. يلعبون بها على المائدة
الخضراء ، كأنهم لا يجدون للمال مصرفا الا فى المعابث !
— وهذا على حين أن أمثالنا لا يجدون فضلا من المال
يقدمهم مما يتورطون فيه ، وتحفظ عليهم ماء الوجوه ،
وتعينهم على الوفاء بالعهود والمواعيد !

وجاوزنا النادى ، يسبح فى للاء باهر ، ببابه الخدم
والحجاب فى حلل مزركشة ثمينة ، وعلى طريقه صفوف
متراصة من السيارات الفارهة الانيقة ، ولاحظت أن
« نزهى » يتعهد تلك السيارات بنظرات الاعجاب ، ورأيت
تقف بفتة امام احداها يتفرج ويتفحص ، وكانت فى ركن
محتجب عن الاضواء ، وجعل يهمهم :

— أليست هذه سيارة صديقك « شكرى » رفيقك فى
« الجامعة » ؟

— حقا ... انها هى ... سيارة رشيقة !

— صديقك « شكرى » شاب سعيد الحظ ...

فقلت له وهو يدور ببصره حول السيارة فى شغف :

— انه سعيد الحظ فى كل شئ ... حسبته أنه بهذه

السيارة يستطيع أن يجمع صباح كل يوم من « ميدان

العتبة » سربا من أترابه الاوانس طالبات « الجامعة » ،

فيذهب بهن الى « الكلية »

— عرفت منك هذا الحديث .. ما الطفها مهمة ...

مرافقة الطالبات الى « الجامعة » فى سيارة خاصة !

— انه يعتز بهذه المهمة ويفخر ..

— ما اسخفه !

— وما أشد رقاعته !

وتابعنا سيرنا ، نعت « شكرى » بالفاظ ترادف الرقاعة
والسخف ، ثم أمعن « نزهى » فى صمت ، وإذا هو يقف
بى ونحن فى « ميدان الاسماعيلية » ويأخذ بذراعى لنعود
فقلت :

— الى أين ؟

— نرجع من حيث أتينا ... الى « شارع قصر النيل »
... السنا نتسكع ؟ افى ذهنك وجهة سير ؟ ان كانت
لديك فأخبرنى !

— وجهتى باب حديقة النهر ... الا تذكر ؟ لقد حل
الموعد ، والفتيات الثلاث هنالك ينتظرن

فتضحك « نزهى » ، ولم يفضب من هذا الحديث كما
غضب من قبل ، ومسح على كتفى يقول :

— فلينتظرن ... ما أسوأ حظهن ، اذ أوقعتهن المقادير
فى صديقين ليسا من طراز « شكرى » الذى يملك سيارة
رشيقة ، وفى مستطاعه أن يمضى بهن فيها للنزهة ، كما
شئن وشاء !

وسرنا نتمهل ، غير بعيد من « نادى السيارات الملكى »
وواجهتنا السيارات المصفوفة على جانبى الطريق ، فأخذنا
نحديق ونتفرج ، ولما دنونا من سيارة صديقى « شكرى »
خفف « نزهى » من خطوه ، ودار بنظره حوله ، ثم أمسك
بذراعى يميل بى نحو السيارة ، وما ان حاذيناها حتى
أسرع « نزهى » يفتح بابها دون تكلف ، كأنها سيارته ،
وقبل أن أنطق بكلمة ، دفعنى الى الدخول ، واحتل هو

مكان القيادة ، وسرعان ما تحركت السيارة ، وقد ألجمت
الحيرة والدهشة لساني ...

وفي خطفة البرق كنا في « ميدان الاسماعيليه » بجوار
مبنى الثكنات ، فقلت :

— ما هذا يا « نزهى » ؟

فأسكتنى يقول :

— يجب أولا أن نعبر جسر « قصر النيل » ...

وطوت السيارة بنا الجسر ، والافكار المهوشة تتناوح
في رأسى ، وفي « شارع الجزيرة » عن كذب من حديقه النهر
وقفت السيارة بمنأى عن الاضواء ، وقفز منها « نزهى »
يقول :

— مكانك ... سأعود اليك بعد قليل ..

ولبثت في مجلسى ، أشعر بشيء من الدعر ، واكثر التلفت
حوالى ، حتى تراءت لى أشباح اربعة ، صافحت سمعى من
جانبها أصوات معهوده لى ، وشاهدت « نزهى » يفتح باب
السيارة ، والفتيات معه يتواثبن داخلات فى تصايح بهيج
فقال لهن صاحبى :

— على رسلكن يا آنساتى العزيزات ، التصايح ممنوع
بأمر صاحب السيارة « يسرى السمرى بك » !
وجابهتنى « فلة » تقول :

— أحقا يا صاحب العزة انك أصدرت أمرك بمنع التصايح ؟
وأردت الكلام ، فكنت انتزع النطق من حلق ادركه
الجفاف ، والفيتنى أقول دون ان أستطيع استدراك نفسى :
— يجب أن يشملنا الهدوء ، حتى نبرح منطقة الخطر

ودقت « ولعة » صدرها بيدها تقول :

— خطر ؟ بعد الشر ... أى خطر ؟

وانتظمتنا مجالس السيارة ، على هذا الترتيب : « نزهى »
فى مكان القيادة ، لانه كان خبيرا بقيادة السيارات دونى
وبجواره جلست صديقتة البادنة « ولعة » تحشر أوصالها
حشرا . أما أنا فكنت على أريكة الخلف فى الوسط ، عن
يمينى « سمسمة » السمراء ، وعن يسارى صاحبتى « فلة »
الشقراء ، وما ان استقر المقام « بفلة » حتى تحسست يدي
وأطبقت عليها تضغطها فى تشوق ، فطوقت خصرها بذراعى
وأنا صامت مأخوذ

وسلكت السيارة سبيلها الى « شارع الاهرام » ، وفى
بعض الطريق لوت « ولعة » عنقها الى تقول :

— لم نكن نعرف أن لك سيارة .. متى اشتريتها ؟

فلم أجد بدا من أن أقول :

— منذ وقت قريب ...

فصاح « نزهى » وهو يزيد سرعة السير ، فتمرق بنا
السيارة مروق السهم :

— انها لقطة ... اشتراها من رفيق له معسور ...
مفلس !

فقالت السمراء :

— مفلس ؟ العياذ بالله ... اللهم حوالينا ولا علينا ...

أنا لا أحب المفلسين ، ولا سيرة المفلسين !

فقال « نزهى » :

— وأنا أيضا يا آنستى أكره الافلاس وأهل الافلاس .

وهمست « فلة » فى اذنى تسأل :

— احقا هذه سيارتك ؟

فأرتج على ، ولم أحر من جواب ، واذا الانسة « ولعة » تقول :

— لا سر بيننا ... يجب أن نتبادل الحديث فى صوت مسموع

فأسرعت « فلة » تقول :

— ليس ثمة سر ... كنت أسأل « السمرى » أن يصارحنى أهو صاحب السيارة حقا ؟

فرنت ضحكة « ولعة » وهى تقول :

— ليست سيارته .. انها سيارة والدته ... هى التى دفعت الثمن ، وليس من حقه أن يتصرف فى شىء لا يملكه ... لعله خرج بالسيارة دون إذن والدته ... لن تتكرر هذه المرة يا آنستى « فلة » ... خير لك أن تحدى من طموحك يا عزيزتى !

فبهتت « فلة » وعقبت بقولها :

— ماذا تعنين يا « ولعة » ؟ اى طموح ؟ لم أقصد من ذلك الى شىء !

فرفع « نزهى » صوته يقول ، وهو يضرب بيده عجلة القيادة :

— هدوا ... ليس هذا وقت مناكفة وتهاتر ...

ثم التفت الى « ولعة » يقول :

— لو أن « السمرى » أهدى سيارته تلك الى « فلة »

لا قدر الله ، لبادرت بشراء سيارة نقل من أجلك يا « ولعة » ... لاتسعدك الا سيارة نقل !

فقالت وقد أخرجت من حلقها نبرات نسوية ساخرة :
— سيارة نقل .. ؟ لى انا .. ؟ اما افخر سيارة من أحدث
طراز واما لا ...

فقالت « سمسمة » وهى تتمصص شفيتها فى تمثيل
هزلى :

— يا حصرة على ... ليس لى أحد يهدى الى شيئا ،
لا سيارة ، ولا عربة كارة ..

فقلت على الفور دون تفكير :

— يجب ألا ندع « سمسمة » دون صديق تأنس اليه
.. لابد من البحث عنه ...

فصرخت « سمسمة » محتاجة :

— تبحث لى عن صديق ؟ ليكن فى علمك يا حبيبى انى
لو أردت لترامى على الكثير من السادة والكبراء ...
فقال « نزهى » :

— صحيح ماتقولين .. ولكن الى أن يحين لك اصطيد
هؤلاء الكبراء والسادة ، سأطوع انا مبادرا اليك ... فهل
تقبلين صداقتى يا آنستى المليحة ؟
فتبعته « ولعة » تقول له :

— صداقتك أنت ؟ وماذا يكون شأنى معك اذن ؟

— لاجديد فى الامر .. سأعد نفسى بينكما معا قاسما
مشاركا أعظم ...

وثارت « ولعة » يمد جسمانها المتكتل الضخم ، وحطت
على « نزهى » تكيل له اللكمات ، وهى تقول :

— خذ نصيبك اذن أيها القاسم المشترك الأنحس !

واختلت عجلة القيادة في يده ، وسمعنا صوته المخبوق
ينشد الغوث ، وشعرنا بالسيارة تترنح ، وكادت تصدمها
أحدى الأشجار على حاشية الطريق ، فنهضت أنا و « فلة »
و « سمسة » نحول مابين المتنازعين ، ونفض ما بينهما من
خلاف

وظفقت السيارة تنهب الطريق ، كأنها تبارى الريح ،
وانطلقت أصواتنا بالفناء ، وتطارحنا النكات والأفاكية ،
لنشيع جو الانس والمراح ، وكانت نكاتنا محتشمة متحفظة
باديء بدء ، ثم انقلبت متبذلة فاحشة تنتزع منا الضحكات
بلا حساب ، وتحدونا على أن نتغامز ونتقافز ويدغدغ بعضنا
بعضا في جراءة وانطلاق !

وانبرت « ولعة » تقول « لنزهى » :

— الى أين انت ماض بنا أيها السائق الغفل ؟

— ألا تعرفين يا آنستى أن صاحب السيارة سعادة

« السمرى بك » يدعونا الى العشاء فى « مينا هاوس » ؟
فقلت « فلة » :

— العشاء فى « مينا هاوس » ؟ .. أخشى أن يرانا أحد
فانتهزت الفرصة أقول :

— نستطيع ان نصيب عشاءنا على بساط الرمل فى سكون

الليل ، تحت ظلال « الاهرام » ... سأحضر لكم من المقصف
ما لذ وطاب !

فقلت « سمسة » :

— أى مقصف ؟ لقد زهدت نفوسنا فى شطائر الفول

والفلافل التى تبيعها المقاصف ... لماذا لا نتناول العشاء
على موائد « مينا هاوس » ؟

وأجبت أقول في حرج :

— اذا اتفقتم على ذلك فلا مانع عندي ، ولكن الاجمل ان
نتم نزهتنا في طريق الاسكندرية الصحراوى ، قبل ان ننناول
العشاء ، فذلك اذكى للشهية ...

وأشرفنا على فندق « مينا هاوس » ، واذا السيارة
تقف دفعة واحدة ، وحاول « نزهى » أن يستنهضها ، فلم
يفلح ، فقال وهو يقفز منها :

— لا جدوى !

ولحقت به أتبين الأمر ، فهمس لى :

— نفذ الوقود ..

وهمهمت :

— يا للكارثة ... الا من سبيل للحصول على الوقود ؟

— نحن كما لا يخفى عليك مفلسان !

— والاوانس ؟

وفطنت الفتيات الى ان فى الامر شيئا لا يدرينه ، فنزلن
عن السيارة ، وأقبلن علينا متسائلات ، وما لبثن أن عرفن
جلية الخبر ، فكان وقعه شديدا عليهن ، ونشبت بيننا
وبينهن مجادلات لم تخل من حدة ، وخاصة حينما جاهرهن
« نزهى » بالحاجة الى معونة عاجلة لشراء مكيال من الوقود
واسفرت لنا الحقيقة المرة ، فاذا نحن جميعا من الافلاس
على درجة سواء !

وقالت الفتيات :

— ماذا نصنع ؟

فأجاب « نزهى » :

— نعود مترجلين ... المشى رياضة مطلوبة علينا أن
نارسها فترة بعد فترة ، ليستفيد منها الجسد ، نحن
نحتاجون إليها ، ولا سيما الآنسة « ولعة » ...
ولم تصادف مداعبته استجابة ، بل لقد استقبلتها
فتيات بامتعاض ، وما لبث امتعاضهن أن استحال مهاترة
شقيقة ، كان « لولة » فيها النصيب الأكبر ...
وفيما نحن نعالج الأمر ، اذ أهاب بنا صوت خشن أن
نقاد له ، فالتفتنا نعرف الصوت ، فواجهنا شرطى يأمرنا
أن نصحبه الى المخفر ، فكدت أصعق من هول ما أسمع ،
في لحظة أبصرت « شكرى » رفيقى فى « الجامعة » وهو
صاحب السيارة نفسه ، فأحسست دوارا يصدع رأسى ،
فقمامة تنسدل على عيني

واختلطت على المشاهد والاصوات ، فكأننى فى دوامة من
بؤس عاتية ، لا أعى ماذا قلت ، ولا أدرى ماذا فعلت ...
ورأيتنى مسوقا مع الجميع الى دار الشرطة ، فأحاطونا
بشباك من التساؤل والاستفسار ، وما كان لنا أن نوارب
ونكتم شيئا مما جرى ، فجهرنا بالحقيقة فى خزي وانكسار
اختلى الضابط المحقق « بشكرى » فترة قصيرة ، وخرجنا
لينا معا يتضاحكان ، ثم دنا الضابط منى أنا و « نزهى »
فكتمنا وعلن قراره الحاسم :

— لقد رضى صاحب السيارة « شكرى بك » أن ينزل
عن شكواه ، نظير ترضية هينة يلقاها منكما ...
فقال « نزهى » :
— ماذا يرضيه ؟

— أن تعودا أدراجكما الى المدينة حافيين ...

فشهقت أنا و « نزهى » نقول :

— حافيين ؟ كيف ؟

وتناهت إلينا ضحكات نسوية على مقربة ، وماهى الـ
تصدى لنا بعض جنود الشرطة ، فانتزعوا من قدمى الحذاء
والجورب ، وكذلك صنعوا « نزهى » ، ثم ألقوا بنا الى
الطريق ، ودار الشرطة تعج بالتضحك والاستهزاء
وسرنا على الطوار ، أنا و « نزهى » ، نحاول أن نروى الف
أقدامنا على السير ، دون حذاء يقيها وعشاء الارض الصلابة
الباردة

وسمعت « نزهى » يبعث من حلقه ضحكة استخفاف
وهو يقول :

— لم أكن أقدر حق التقدير فضل ولاية الامور فى مكافئة
الحفاء ، الا فى هذه الساعة ! .. ما اقسى الحفاء ! .. مساك
أولئك الحفاة ، ونحن لاندرى !

ولم يكد « نزهى » يفرغ من قوله ، حتى شاهدنا
كثب منا تلك السيارة التى كنا فيها ، تتهادى فى الطريق
يقودها صاحبها « شكرى » نفسه ، فأشرعنا اليها نظرا
الشاردة المضطربة ، فلمحنا فى داخلها فتياتنا الثلاث ، وهن
يهتزرن على المقاعد ، ويرسلن أنظارهن من خلف النوافذ
ويشاطرن صاحب السيارة ضجة مرحة صاخبة !

— ١٠ —

منتصف يونية سنة ١٩٥٢

ما كان أشقانى بذلك اليوم المشئوم الذى جرى فى

— ٦٨ —

حادث السيارة على طريق الهرم . . . لقد اشتدت من أثره
وظأة المرض على ، فاحتبست في البيت ، وأنا احسب اني
موف على هلاك محتوم

واكبر ما أمضى من ذلك اليوم العصيب شعورى بالهوان
من هذه الفعلة الفاضحة ، وهى اشتراكى فى المضى بالسيارة
دون اذن من صاحبها أو علم . اصف الى ذلك تلك العقوبة
الغريبة الموجهة التى ذقت مرارتها الاليمة ، وهى عودتى
الى الدار حافيا انتعل اديم الأرض على طول الطريق

لقد تسامع بتلك القصة جمع ممن يتصلون بى ، فلاكتها
السننهم الطوال ، ونفخوا فيها من روحهم حتى تمخضت
عن أشياء لم تكن منها قبل ، واتخذوها نكتة رائعة يتملحون
تبرادها فى المناديات والمسامرات

أما أمى فانها اقتضبت الحديث فى شأن هذا الحادث ،
ولم تكن قاسية على ، فقد شغلها القيام بتمريضى على النحو
المألوف ، لا ترجو الا أن تعاودنى العافية

وتواردت الايام ، وأنا اعانى وحدة موحشة ، وقنوطا
مريرا ، حتى لقد أضربت عن قراءة الصحف والمجلات ،
وزهدت فى الاستماع الى المذيع ، ولبثت فى برائن هذا
اليأس الساحق ، لا عمل لى الا ان اعد الساعات التى تمر
مرتقبا شبح الموت ، واجدا فيه خلاصا هو نعم الخلاص
وكنت كلما دانيت الركن المقدس فى البيت ، ركن المخلفات
التي تتضمن ماكان لأبى من مآثر وأمجاد فى خدمة الوطن ،
أرانى قد انسللت من الركن انسلال الهارب ، كأنى أتهيب
أن تقع عينى منه على شيء

وانقطع « نزهى » عن زيارتى أكثر من أسبوعين ،
وصلنى بعد هذا الانقطاع ، فأحسست الارتياح لمقدمه
والأنس به ، وما أن اطمأن به المجلس ، حتى قال :
— لم يكن فى حسابانى أنك مازلت ملازما الفراش ..
ظننتك تختلف الى « الكلية » ..
وجعل ينقل فى الحجرة نظره الشرود ، فقلت له :
— اصدقنى ... ماذا أبطأ بك عن زيارتى هذا الوقت
الطويل ؟

فلم يجبنى هنيهة ، ثم قال وهو ينحرف ببصره عنى
— وماذا تبغى من زيارتى لك يا « سمرى » ؟ أحسن
بأنى أصبحت عنصرا غير صالح ، وما أريد أن أجنى على
غيرى .. فليكن كل فى طريقه !
فقلت له فى اخلاص :

— لست أحسن منك حالا .. فانى أحسن بمشـ
ما أحسست !

— فلنعترف بأننا فى ضلال ... ولكن كيف السبيل إلى
تغيير ما نحن فيه ؟ .. ماذا نعمل ؟ انى غير قادر على
شئ ... لكأنى تائه فى بيداء لا أستبين سبيلى ! .. كلا
تائه يا صديقى ، ولكن يجب ألا نظلم أنفسنا ، فالبلد كما
فى مثل هذا التيه ... الشعب كله يتخبط فى الظلام
والزعماء الذين نعقد بهم الرجاء يرعون مصالحهم الخاصة
على حساب الوطن الحائر ، الشائعات مستفيضة ، والصحف
لا تذكر الحقائق إلا لمحا ، فالى أى مصير نحن مسوقون ؟
وقدمت علينا أمى تحمل صينية القهوة ، فتناول « نزهى »

قدحه ، وشرع يترشفه ، ولاحظت أُمى أننا لا نتناقل الحديث فعمدت الى المذيع تدير مفتاحه ، فاذا المذيع يقرأ بياناً حكومياً ضافياً تعلن فيه الوزارة عزمها على انجاز مشروعات جسام تهدف الى رفع مستوى الشعب ، وتؤكد اصرارها على أنها لن تساوّم في حقوق البلاد ، بل تطالب بها كاملة غير منقوصة

فنهض « نزهى » يقول لأُمى فى ضراعة :
— استأذنك فى اغلاق المذيع .. كفانا تخديراً ومطاوله !
وما عثم أن ادار المفتاح ، فانقطع الصوت ، وعاد « نزهى » الى مقعده ناكس الرأس ، يرعى قدح القهوة بنظرة كليله وشملنا صمت يائس كئيب !

— ١١ —

الحادى والعشرون من يونية سنة ١٩٥٢
مازلت أسير الدار ، فى أسوأ حال .. الجسم واهن ،
والنفس محمومة ، والفكر فى بلبال ... وكان « نزهى »
يختلف الى ، ويطيل الجلوس معى ، ويفضى الى بما يروج
له من الإنباء والاحداث :

هنالك أزمات وزارية متلاحقة ، والساسة الذين يتعاورون
الحكم متدابرون يكيد بعضهم لبعض ، ويشغب بعضهم على
بعض ، ثمة فضائح شنيعة ، ورشوات جسيمة ، تتناقلها
اللسن ، وترمى بها الرءوس والاقطاب ، لقد أصبحت اداة
الحكم ناخرة يبعث فيها السوس ، وليس بمجد فى اصلاحها
علاج .. ثمة زعماء غير راضين عن هذا السوء ، يؤلمهم أن

يشقى به الوطن وأهله ، ولكنهم فى صمتهم ساهون ، عزائمهم
خوارة ، وسواعدهم هشة ، فلا أمل فى أن يكون منهم قادة
يستنقذون سفينة الحكم من ملتطم الامواج . لكأن تشاؤب
عريضة تدور على الافواه ، يصحبها التمطى والاغفاء ، فاذ
استيقظت العيون على وقع الاحداث ، لم يكن ذلك الا ريثم
يهذا الوقع ، ويسكن الصدى ، ثم يعود التشاؤب يملأ الافواه
والاغفاء يغشى العيون !

وأجدنى أقول لصاحبى « نزهى » :

— أما لهذا الليل من آخر ؟

فيشرح بصره فى الفضاء ، ولا يحير من جواب

وأخبرنى « نزهى » بأنه قصد الى قرية « الهماميل
ولقى هناك فى القهوة الحاج « سويفى » وغلामه « فلافل
فشكا له كلاهما ما يعانيان من ضحك وقلق ، لا يخصهم
وحدهما ، وانما يعم أهل القرية . وأنهما سألا فقيه المسجد
الشيخ « عمران » فى هذا الخطب ، فأجابهما بأن هذه محنة
يمتحن الله بها عباده العصاة ، ليذكروه وينيبوا اليه ، عسى
أن يمن عليهم بعفو منه ورضوان ...

واسترسل « نزهى » يعبث بالقلم فى يده ، ثم استأنف
حديثه يقول :

— نسيت أن أفضى اليك نبأ يهكم .. ان رفيقنا
« شكرى » صاحب السيارة المعهودة ، قد حل محلنا فى
مصادقة الفتيات الثلاث ، فقد رأيتهن معه غير مرة ، أنها
الآن ستة ، ثلاثة شبان لثلاث أنسات !
فعاجلته أسأله :

— و « فلة » ؟

— لقد اختص بها « شكرى » .. أما البدينة « ولعة »
فقد اختير لها صبي قمىء ، على هيئة « أبى فصادة » ،
وأما السمراء « سمسة » فقد انتهت الى اصطياد شاب
عليه سمات أهل الريف .. هذه الرفقة الطريفة تجوب
الشوارع ، وترتاد الاندية والمطاعم والمساهر ... شاهدها
فى « ملهى نفرتيتى » ، ولمحت « فلة » تراقص « شكرى »
فى دلال مفضوح ، لقد جاوزت طور التمرين ، واصبحت
الآن مدربة تتقن فن التماجن والملاعبة !

فغمغمت فى ألم :

— الخائنة ... النذلة !

فأجابنى وهو يلوح بيده :

— لا خيانة فى الأمر ولا نذالة ... لقد طالما كنت تردد
كلمات الكرامة والشرف والنبل أكثر مما ينبغى .. ضيقت
على نفسك يا عزيزى فى غير طائل ! ... ألا تعترف الآن
بأنك كنت مغاليا فى احساساتك الرفيعة يا سيد « سمرى » ؟
فخفضت رأسى ، لا أدرى بماذا أجيب ...

— ١٢ —

السابع والعشرون من يونية ١٩٥٢
قضيت الاسبوع الفائت كما كنت من قبل ، سليب القوى
طريح الفراش ، تدور بى أحلام اليقظة كل مدار ...
ولكنى اليوم خير منى بالأمس
زارنى صاحبى « نزهى » ، وجلس الى ساعة ، ومنذ

— ٧٣ —

فارقتى وأنا مهتاج الخاطر ، لا يهدأ لى بال ...

لقد أقبل على ، واخذ يتلفت حوله ، ثم تدانى من يهمس :

— وردتنى رسالة من صديقنا « عبد الحكيم » ، وكان وصولها الى من طريق سرى ...

فانتفضت فى فراشى ، وحدقت اليه أقول :

— اين الرسالة ؟

— أكان يقع فى خلدك أنى احتفظ بها فى جيبى ، حتى أطلعك عليها ؟ ما ان قرأتها حتى مزقتها كل ممزق ، القيتها طعمة للنار !

واقعد كرسيا بجوارى ، وأنشأ يقول :

سأذكر لك ما احتوته الرسالة ... ان « عبد الحكيم » يصف حياته فى المعتقل ، فهو واخوانه هنالك كأنهم فى جحيم من الضيق والقلق والاختناق ، أنهم لا يشكون فى الاعتقال شيئاً من التعذيب والتنكيل ، فأكثر الحراس عليهم يشركونهم فى الميول والآراء ، ويضمرون لهم العطف والمسالمة وقد أكد لى أن الجو تتناثر فيه الارهاصات بأن ثمة أحداً وشيكة الوقوع ، فالاختلال فى البلد بالغ أقصاه ، وليس لمثل هذه الحال من دوام ... ان « عبد الحكيم » يهيب بنا أن نشحذ الهمم ، ونشد العزائم ، وننير أفكار الناس ، حتى يكونوا من قابل أمرهم على أهبة ، وقد أوصانا بأن نحصر على الكتمان ، وأن نكون على حذر من الرقباء والوشاة . وفى ختام رسالته يكرر أن مطلع الفجر منا قريب

— ماذا يقصد على وجه التحقيق ؟

— لست أدري .. ولكن رسالته تختلج فيها روح التفاؤل
والغد ، والايمان بالمستقبل ، والثقة بأننا مقبلون من أمرنا
على جديد ...

— وماذا تنتوى أن تفعل ؟

فعدل بوجهه الى النافذة ، وقال :

— لم اطمئن الى خطة بعد ... سأستشير فيما افعل

— ومن تستشير ؟

— رفاق « عبد الحكيم » وأعوانه ...

— لاتنس المحاذرة ...

— سأحاذر ما استطعت ...

وتحلحل عن الكرسي يخترق الحجرة ، في جيئة وذهوب
ثم وقف عندي يقول :

— لابد أن نتخذ لنا في الحياة طريقا غير الذى كنا نسلك

... حسبنا ما أفرطنا فيه من اعوجاج معيب

— وماذا نستطيع أن نصنع ؟

— اذا عجزنا عن أن نصنع شيئا ، فلا أقل من أن ننتظر

في يقظة ، وأن نرقب ما يكون على أهبة ...

ونظر في ساعة يده ، ثم قال :

— انى على موعد مع صديق ، وقد حان الموعد ، اودعك

وسأمر بك ...

وشد على يدي ، باسم المحيا

أطلقت العنان لأفكارى ، فيما نقل الى « نزهى » من

رسالة صاحبنا « عبد الحكيم » ، وفيما عقب به على هذه

الرسالة ... وسرعان ما رأيتنى أنهض ، وأقصد الى

والدتي ، واطلب اليها أن توافيني بطعام ... فاني شعرت
الآن - بعد أن لم اكن أشعر منذ وقت طويل - بفقرط
الرغبة في أن آكل ، لقد ثارت شهيتي ، ولقد عجبت لذلك
من نفسي ، وتهللت أُمي لهذه الرغبة ، اذ كان مما يحزنها
ويطيل همها أني مصدود النفس عن الطعام ، ونشطت
تجهز لي حساء الدجاج ، وما أن أحضرته لي حتى أقبلت
عليه في شغف ، فلما فرغت - او على الاصح : امتلأت -
طلبت الى أُمي أن تناولني الدواء المقوى ، فجرعت منه
جرعة وافية ، وأُمي في دهشة مما أفعل ، ثم قلت لها وأنا
ملتصع العينين :

- أرغب في أن أعاود أخذ الحقن التي أوصى بها الطبيب
الا تستدعين الممرضة لتبدأ ...

فشاعت على وجه أُمي بسمة ارتياح وقالت :

- سأقصد اليها على الفور

وانصرفت عني تنزيا للخروج ، فاتجهت أنا الى ركن
الذكريات المقدس ، ذلك الركن الذي يزخر بأمجاد أبي في
الدعوة الى النهوض بالوطن ، والجهاد في سبيل حريته
وكرامته ... بي حنين الى الانس بهذه الذكريات الغالية ...
شدها أنا شيق الى أن أتحدث الى أبي ، ان أستلهمه النصيح
والتوجيه ، أن يفتينى في أمرى : كيف أستبين سبيلي ؟!

- ١٣ -

العاشر من يولية سنة ١٩٥٢

أنا حتى الساعة حليف الدار لا أبرح ... ولكن شتاء

- ٧٦ -

بين يومى وأمسى ، شتان بين مريض يصدف عن طعامه
ودوائه ، ومريض يعنى بالطعام والدواء ما استطاع ...
لقد تبدلت حالى ، وراجعتنى العافية بقدر ملحوظ
زارنى صديقى « نزهى » غير مرة ، وقضينا أوقات فى
ركن الذكريات ، نتصفح مقالات أبى ، ونتملى صورته ،
ونناقش فيما كان له من بلاء حسن فى سبيل الوطن
على أن « نزهى » لم يكن يطيل الجلوس معى ، وكنت
أجده سريع الوجوم والاكتئاب ، كأنما يبرح به هم ، وتنوشه
حيرة ، فاذا سألته :

— ماذا انتوى من عمل ؟

اجاب فى اقتضاب :

— لم أقرر أمرا بعد ...

— بودى إن أعينك ، وسترانى لك خير معوان

— حقا يا « سمرى » ، لا غنية لى عنك ، ولكن لكل شيء

أوان ... لم يحن الوقت بعد

— ومتى يحين ؟

فحدق الى ، وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة اشفاق :

— عندما تستكمل صحتك ...

فأمسكت بيده ، أحملق فيه وأقول :

— اتخفى عنى دخيلة امرك ؟

— ليس هناك من شيء أخفيه !

— انت تحسب انى هالك ، ولذلك لا تعول على فى امرك

ولا تفضى الى بذات نفسك

فواجهنى يقول فى جد وعزم :

— لست هالكا يا صديقى ... فدع عنك الوسائس

والاوهام ... أتمم علاجك ، وستحين ساعة العمل الحاسم
وليكون لك فيه نصيب !

- ١٤ -

السابع عشر من يولية سنة ١٩٥٢

انصرم الاسبوع كله ، دون أن يزورنى « نزهى » ،
واليوم جاءتنى أمى تنهى الى نبأ القبض عليه ، فأظلمت
الدنيا فى عينى ، وكدت يفشى على ، وريعت أمى ، وبذلت
جهدا فى العناية بى ، وسمعتها تهينم :

— لم أكن أقدر أن يكون هذا وقع الخبر عليك ، ليتنى
كتمته عنك ...

فقلت وأنا أدنى قارورة العطر المنعش منى ، أتشمم :
— لقد أحسنت بى صنعا اذ أخبرتنى ... لا بد أن
تفضى الى بكل شيء !

— ولكن صحتك يا « سمرى » لا تقوى على الصدمات
كما ترى

فقلت متهدج الصوت ، حسير النفس :

— صحتى ؟ وأية قيمة لصحتى ؟ لم يبق لى بحياتى
اهتمام ...

— حسبك أن حياتك تهمنى ... من أجلى يجب أن يتم
شفائك ... من أجلى يجب أن تعيش ... أنت كنزى فى
دنياى ... أنت أملى المنشود

ورنت الى تكاد بنظراتها تلتهمنى ، وهى تدانى بين وجهها
ووجهى ، وتقول :

— عدنى الا تهتم الا بصحتك ... لا شأن لك بأحد ...
فلتجانب مواطن الخطر ... أخشى أن يقصوك عنى ...
أخشى أن يلقوا بك فى المعتقلات والمحابس ... صحتك
لا تحتمل مكاره الحبس والاعتقال ... انج بنفسك يا بنى !
فقلت لها فى هدوء :

— وهل تروك حياتى على هذا الوضع الذليل ؟
فانحنت على تعانقنى وتضمنى ، وقلبها يرجف ، وأوصالها
ترعد ، والقلق آخذ منها كل مأخذ ، كأنما تحمينى أن
ينتزعنى منها أحد .. وأسرعت الكلمات على شفيتها تقول :
— تروقنى حياتك على أى وضع تكون ... أريد أن
تظل أبدا بجانبى لا تفرق عنى ... أريد أن أراك أمامى
سليما معافى ، تروح وتغدو فى قوة ... لا تهتم الا بصحتك ،
لا تشغل نفسك بشئ .. عش لأمك يا بنى ... كن لى
يا « سمرى » ...

وجعلت تغمر وجهى بقبلاتها الملتهفة ، ودمعى يمازج دمهـا
السخين ...

- ١٥ -

التاسع عشر من يولية سنة ١٩٥٢
يومان عصيبان مضيا ، لم أذق فيهما طعم السكينة
والقرار ... نفسى تحاصرها هموم كأنها رعوس حراب ...
انى فى غمرات يأس لم تبلغ بى من قبل ما بلغت بى اليوم
وكلما اشتدت على وطأة الضيق ، قصدت الى أمى ألوذ بها
وأحتمى ، وأرانى قد ألقيت برأسى على صدرها أبكى

وأبكي ، وهى تلاطفنى وتحنو على ، حتى تسرى عنى ...
تناهت الى قصة القبض على صديقى « نزهى »
بالتفصيل ... لقد دهسته الشرطة فى قرية « الهماميل »
وهو فى القهوة جالس ، مع زمرة من الشبان ، يأترون
بالسلطات ، ويكيدون لها أشد الكيد ، فسيقوا جميعا الى
المحبس ، ومعهم الحاج « سويفى » صاحب القهوة ، وغلما
« فلافل » اذ كانا مشتركين فى الكيد والائتمار ...
وجعلت اناجى نفسى :

— حتى أنت يا « فلافل » ؟!

وذكرته يوم ضمتنا قرية « الهماميل » فى قهوة « السويفى »
حين انبعث « عبد الحكيم » يتحدث عن « الاهداف » ، فقد
كان « فلافل » أول من أفصح عن هدفه فى سداجة
مخلصة ... وقال :

— أريد أن اكون سكرتيرا لنقابة الصحفيين !

وسنحت على فمى ابتسامة هزيلة ، وانسابت من
صدرى تنهدة خاشعة ...

ثم نهضت الى النافذة ، وأشعت بصرى فى الدور التى
تتزاخم حيالى ، وتسد الافق العريض دونى ، ورأسى
تتناوح فيه الخواطر ...

لم أبلغ فى الوطنية مبلغ أحد ، حتى غلام القهوة « فلافل »
انه أصدق منى وطنية ، وأشد حماسة ، وأحسن عملا ...
هو الآن فى عداد المجاهدين ، مع « عبد الحكيم » و « نزهى »
وأضربهما ممن تحفل بهم المحابس والمعتقلات ... انه
يحيا بينهم ، يقاسمهم حياة الشظف والعذاب فى سبيل

« الأهداف » ... أما أنا ... أنا « يسرى السمرى »
البن « مجاهد السمرى » زعيم الوطنية الطيب الذكر ،
الخالد الأثر ، فمازلت قعيدا فى مكانى ، أحيا فى دار منزوية ،
واتقلب على فراش وثير ، وأطعم حساء الدجاج فى طمأنينة
وخمول !

وأدبرت عن النافذة ، أخطو فى الحجرة ، خافض الرأس ،
وأنا أستمع الى هاجس فى نفسى :

— ولكن أملك تبغى أن تعنى بصحتك ... والا يكون لك
شغل بشيء ... تريد أن تعيش من أجلها ، وكفى ...
وانطلقت من فمى ضحكة بشعة ، تجاوبت فى أرجاء
الحجرة أصداؤها ، كأنها تسخر مما أنا فيه من خيبة
واخفاق !

- ١٦ -

الثالث والعشرون من يولية سنة ١٩٥٢
يقظتنى من نومى فى الصباح صيحات مجلجلة يبعثها
المذياع ، وفتحت عينى ، فاذا أُمى بجانبه تسمع ، فنهضت
إليها أسأل :

— ماذا ؟

فأجابتنى :

— اصغ لما يذاع ... نبأ خطير ... بيان من قيادة
القوات المسلحة ...

وجعلت أقرب من المذياع ، حتى كدت الصق أذنى به ،
ولبثت أنتظر ، حتى أعيدت إذاعة البيان ، فعرفت منه

أن طائفة من رجال الجيش الاحرار قد ضاقوا ذرعا بما
يتفشى من فساد الاوضاع ، وأنهم قد هبوا لاستنقاذ الوطن
مما يتهده من انحلال

وبادلت أمى النظرات ، ولسانى تعقده الدهشة
ثم الفيتنى بغتة أقفز فى احتياج ، وأطوق عنق أمى بذراعى
وأغمرها بالقبلات ، واتصايح :

— لقد ثار الجيش ... لقد حدث الانقلاب !

والتقمت فطورى على عجل ، ثم ارتديت حلة الخروج
وأنا أشعر نحوها شعور طفل يرتدى ثوبه الجديد فى يوم
عيد . فقد بعد عهدى بارتداء الحلة ، اذ طالت صحبتى
للمنامة ، وأنا ملازم الفراش ، وفوجئت أمى بى ، والى
متهىء لمبارحة الدار ، فقالت :

— ما هذا يا « سمرى » ؟

فقلت فى غير مبالاة :

— سأغيب بعض وقت ...

— الى أين تقصد ؟

فابتسمت ، وجهرت بصوتى :

— الى أين ؟ الى الدنيا العريضة ، أشهد ما يدور من

أحداث ...

— انك لم تستكمل صحتك بعد ...

— صحتى موفورة ... انى أحسن بقوة جامحة !

— ربما كانت فى الطريق مظاهرات ...

فقاطعتها أقول :

— لا تخشى على بأسا ... سأكون حذرا ...

وتركت الدار مهرولاً خطأ ، ومضيت أجوب الشوارع ،
في تطلع مشبوب ...

كانت المدينة على حالها المألوف ، ليس فيها من جديد
الا دبابات تجوز ببعض المسالك ، وسيارات تفص بالجنود
متنقلة هنا وهناك ، وزمر من رجال الجيش والشرطة
يشرفون على الامن وضبط النظام ...

وكان الناس يتصفح بعضهم وجوه بعض ، منهم
واجمون يتلقون ما سمعوا في خشية وتهيب ، ومنهم
متسائلون ييغون مزيداً من التعرف والاستفسار ، ومنهم
من يتحدثون عن الانقلاب في حمس ، مطمئنين في التعليق
والتكهن بما يكون

وقفت الى الدار ، اشد فضولاً مما كنت ، مترقياً من
الاخبار ما يشفى القليل

وجلست الى المذيع ، آنساً به ، وبجوارى أمي ، نصفي
الى انباء حركة الجيش ، وكلانا في شغف بها أي شغف !

- ١٧ -

الخامس عشر من أغسطس سنة ١٩٥٢
الاحداث الجسام تتلاحق ... ثمة نظم سياسية ،
وأوضاع اجتماعية ، تنهار ، ليقوم على انقاضها جديد من
النظم والأوضاع . ونحن لا نفتأ نتلقى انباء هذه الاحداث
في اhtياج وابتهاج

لقد انجاب عن الوجوه ما كان يعرفها من دهش ووجوم

تلك هي الحقائق تتجلى ، والاسرار تنكشف ، فلم يعد يرتاب في جوهرها أحد ...

المواطنون تشيع بين جنوبهم حمية ، وهم يتنافسون في الحفاوة بالقادة من رجال الجيش ، ويلتمسون السبيل الى لقائهم واجتلائهم شاخصين اليهم بمجامع العيون ، يزحمون عليهم كل طريق ، ويصفقون لهم في كل مكان ، وتشدو السننتهم بأسمائهم صباح مساء !

ان الجمهور على يقين بأن مقاليد الوطن قد أقيت الى صفوة من أبنائه منقذين أبطال ، وحماة امناء

اولئك هم الناس يتناقلون الاحاديث في برامج التجديد والاصلاح والتعمير ، تلك البرامج التي يستقبلها الوطن من اقصاه الى اقصاه في كل مرفق من مرافق السياسة والاقتصاد والاجتماع

لقد استدبرت « مصر » عهدا من الحيرة ، كانت فيه تتخبط في ظلام دامس ، وها هي ذى تتلقى سواطع الاضواء في أمل واستبشار ...

وبينما كنت اليوم عن كذب من المذيع ، أستمع الى حديث في أهداف ثورة الجيش ، غلبت على سمعى في الدار اصوات تتعالى ، وخفق اقدام تتداني ، وما كدت التفت لأتبين الامر ، حتى وقع بصرى على جمع مقبلين على ، واذا انا اصيح ، وقلبي يتواثب :

— « نزهى » ، « عبد الحكيم » ، « السويفى » ، « فلافل » —
وهرعت اليهم احتضنهم وأقبلهم فى ارتباك،وعيناي يتلألا فيهما دمع السرور

وغمرتنا موجة من الحفاوة ، بعض وقت ، ثم ألفينا أنفسنا نتحلق حول « عبد الحكيم » ، نصفى الى حديثه عن المعتقل ، كيف زج فيه ، وكيف كان يمضى هناك أيامه ، وكيف كان على اتصال بأهله ورفاقه ، يرأسهم ويرأسونه ، على الرغم من الرقابة المضروبة ، والتحفظ الشديد ... وختم « عبد الحكيم » حديثه يقول في توكيد وحيوية ، والبريق من عينيه يشع :

— كان من المحال أن تمتد بنا تلك الحال ... لقد كان الاختلال والفساد على أسوأ ما يكون اختلال وفساد ... كل وضع يجانب طبائع الأشياء مقضى عليه بأن يبيد ... وقبل أن ينفرط عقد الاجتماع ، وقف « عبد الحكيم » يتوسطنا بقوامه الفارع ، وجعل يتوسمنا في صمت ، وآنسنا في نظراته وقدة لم نعهدها فيه من قبل ، فتعلقت به عيوننا نرقب حركاته وسكناته ، وإذا هو يتكلم جهر الصوت ، وطيد النبرات :

— تذكرون انى تحدثت اليكم منذ أشهر عن « الاهداف » واليوم استبان لكل منكم هدفه ، وليس علينا الا أن نرسم الخطة ، ونبدأ التنفيذ ... العهد الجديد يتطلب انشاء منظمات تيسر لكل مواطن صالح أن يبلغ هدفه في سبيل تقويم نفسه ، ونفع وطنه

وسكت « عبد الحكيم » هنيهة ، يركز بصره في ، وقال :
— ما رأيك يا « سمري » في أن تسند اليك منظمة الناشئين الأحرار ؟ ستكون لك شعبة خاصة من الفتيان يتلقون عنك التوجيه والارشاد ... سيكون لك ناد ومكتبة وميدان

للتدريب الرياضى والعسكرى ، ومن حقه أن تصدر
النشرات ... سيكون تحت امرتك - أو على الأصح : تحت
رياستك - فئة من الامة ، يوكل اليك اعدادها للوطن خير
اعداد . ليس وراء هذا مطمع لك لتحقيق هدفك فى الزعامة
الوطنية ، ذلك المأرب الذى طالما ابتغيته لنفسك على غير
هدى

و كنت استمع الى قوله ، ودقات قلبى تهز ضلوعى ،
فما ان أتم كلامه ، حتى تراميت عليه احتضنه واقبله
والتفت « عبد الحكيم » الى « فلافل » يأخذ بكتفه
ويقول :

- لم انس أنك ترمى الى هدف عظيم ... ان تكون
سكرتيرا لنقابة الصحفيين ... لكى تنال ذلك يجب ان
تعمل بادئا مع « سمرى » ... كن سكرتيرا له ...
سكرتيرا لشعبة الفتيان الاحرار ... سنرسم لك خطة
لتعليمك وتثقيفك ، وستستوفى حظك من التدريب الرياضى
والعسكرى حتى اذا دعا داعى الوطن لبیت وانت فى اهبه
فرفع « فلافل » راسه ، وفى نظراته زهو ، وعلى فمه
ابتسام ، وطفق يردد :

- سكرتير شعبة الفتيان الاحرار ؟ .. عظيم ...
عظيم ...

ووجه « عبد الحكيم » قوله الى « نزهى » :

- تكلم أنت عن نفسك ...

فانبرى « نزهى » يقول وهو يرفرف بذراعيه :

- لقد شرعت أعيد رسم اللوح الفنى الذى ابتدعته ،

لوح « المدفع » ، وسأعرضه في « روما » في أول فرصة
تلوح ...

وخطا « الحاج سويفى » خطوة ، وهو ينحى على شاربه
يفتله :

— وأنا ما هدفى ؟

فصاح « عبد الحكيم » :

— ألم تعرف هدفك بعد ؟ ألم نتحدث في المعتقل معا عن

معسكر التدريب ؟

— معسكر التدريب ؟

— نعم ... سأعمل انا في هذا المعسكر على تخريج

الفدائيين ، وسأتولى تدريبك ... ستكون فدائيا يا سيد

« سويفى » ...

فقال في دهشة وعجب :

— فدائي ؟ فدائي ؟!

— سأكلفك الخروج الى مستودع من مستودعات

الاحتلال في القناة ، مستودع للذخيرة والعتاد ، فتلقى عليه

قنبلة تدعه هشيما تذروه الرياح ... عمل جليل يكسبك

المجد الفريد ... وانت اهل له بماضيك الوطنى في الثورة

المصرية الاولى يا حامل علم الثورة !

— اقوم بمهمتى هذه ، واعود اليكم منصورا اتقلداوسمة

الفخار ...

فتنحج « عبد الحكيم » وهو يربت كتف « السويفى »

وقال :

— امصر أنت على أن تعود بنفسك ، كما أنت ؟!

— ولم لا ؟

— تعود إلينا محمولا على الأعناق ...

فتطاول « السويفى » برأسه ، وهو يردد فى اعتزاز :

— نعم ... أعود محمولا على الأعناق !

فتضحكنا من قوله ، فأخذ ينقل بصره فىنا يتعجب
فصاح « نزهى » :

— سنحملك على الأعناق ... فى جنازة مهيبة !

فقلت على الفور :

— الفدائى مصيره الموت الزؤام ، ولكنه موت أسمى من
الحياة ... انه الخلود !

فقال « فلافل » وهو يحملق فى وجه « الحاج سويفى »
— هنيئاً لك هذا الخلود !

ومكث الرجل مليا شارد النظر ، ثم أخذ يصلح من شأن
شاربه الذى اسرع اليه التهدل ، وهو يقول « لعبد الحكيم »

— تريد أن تقول انه لا أمل البتة فى النجاة ؟

— ثمة أمل ، ولكنه أمل ضعيف ...

فانبعث « السويفى » يفرك يديه ، وقد حاد ببصره الى
ناحية من الحجرة ، وخاطب « عبد الحكيم » بقوله :

— أنت تعرف انى عائل اسرة ، ولى اولاد صغار ، الا تجد

لى عملا آخر غير هذا العمل ؟ لقد كنت فى ثورة سنة ١٩١٩
احمل العلم ، اتقدم به المظاهرات ، وانا دى بحياة الوطن على
الصوت ، ولم يكن أحد يستطيع الصبر على حمل العلم كما
اصبر ...

— اعلم يا حاج « سويفى » انه قد انقضى عهد الهتافات

والتظاهر بالاعلام ، وبدأ عهد الجهاد الحق ، عار عليك
يا رجل ان تخشى الموت ... « الحاج سويفى » الذى اراه
امامى فى طوله وعرضه يفزع من الاخطار ؟ لم اكن اظن ان
الجبن يتسرب الى نفسك على هذا النحو ...

فراينا الرجل تزهر عيناه ، وهو يقول فى تلغثم :
- من قال لك انى اهاب الموت ، او اخشى الخطر ...
كل ما قلته انى اريد ان ارجع من مهمتى كما ذهبت وانا
حى ... ستجدنى احمل القنبلة ، وانسف بها مستودع
الذخيرة والعتاد فى منطقة الاحتلال ، ثم اعود كالجنى لم
يمسسنى سوء ...

- حسن جدا يا حاج « سويفى » ... هذا املنا فيك !
والقى « عبد الحكيم » علينا نظرة جامعة ، وهو يقول :
- لقد عرف كل منا الهدف الذى يسعى الى تحقيقه ،
واننا لا نبغى بهذه الاهداف النبيلة الا مصلحة الوطن ...
فليعمل كل منا فى سبيله ... والله معنا !

- ١٨ -

السادس عشر من اغسطس سنة ١٩٥٢
انتبهت من نومى صبيحة اليوم ، وانا استشعر فى
اوصالى دبيب القوة والنشطة على نحو لا عهد لى به ، وقد
امضيت ليلى كله مستغرقا فى نوم هانىء لم اذق طعمه منذ
زمن مديد ... وكان رأسى يعج بالخواطر ، تدور حول
الاحاديث التى اثارها « عبد الحكيم » ورفاقه فى زورتهم
لى امس ...

واصببت فطوري ، ذكى الشهية ، ثم ارتديت حلة
الخروج ، فتصدت لى امى تقول :

- فيم خروجك يا بنى ؟ الم تكن ملازما سريرك منذ
ايام ؟

فانبريت أقول :

- لزمتم فراشى ، لأنى كنت مريضا لا قبل لى بالنهوض ،
فأما اليوم فأنا شخص آخر ، وافر الصحة والفتوة ...
أتبغين أن تتشبتي مما أقول ؟

وكشفت لها عن ذراعى ، وقلت لها اتحدى :
- انظرى الى هذه العضلات البارزة والعروق المشدودة
اليست عضدى تشبه عضد مصارع غلاب ؟

وجعلت اثنى ذراعى وابسطها فى فورة ، ودنوت من امى
اقبلها واقول :

- سأعمل فى شعبة الفتيان الاحرار ... سأكون رئيس
الشعبة ... قائدتها الاعلى ... اعمل على اعداد جيل
جديد يدرك تبعاته نحو الوطن ... لاكون زعيما وطنيا
كما كان ابنى ... جديرا بأن تفخرى بى ..
وطال بيننا عناق !

العصفورة

الابوة المفجوعة تعمل بواعيتها
على أن تخدع نفسها عن حقيقة
الموت ، متعلقة بالوهم ، تعيش معه ،
وتعيش به ، وتجد في ذلك راحة
البال ...

و

أ

و

ال

ع

و

ال

ف

س

ف

ش

تواردت الاعوام على « المعلم يونس » وزوجه « شلبية »
وهما يرتقبان الولد ، فلم يمن عليهما الزمن به ، حتى
أمست حياتهما خواء ، لا بهجة فيها ولا رواء ، يرين عليهما
وحشة وملال

ولكن « القدر » لا يدين بمبدأ البقاء على حال ، والركون
الى وتيرة واحدة ، أبغض شئ اليه أن يرى « الحياة »
على نمط متكرر لا يتغير ..

انه ليبغى الجدة على اية صورة تكون ، من خير أو شر ،
ومن نفع أو ضر ، ومن تقدم الى الامام أو رجوع الى الوراء
حسبه الخروج عن مألوف الاوضاع ، لكى يثير فى أعماق

النفوس كوامن الاهتياج
ومن ثم طالعنا « القدر » يوما يحدث كان له أعظم الوقع
فى حياة تلك الاسرة الخاملة ...
لقد رزق الزوجان طفلة !

وسرعان ما شبت فى الدار يقظة عارمة ، واشرق فيها نور
ساطع ، وجلجلت فيها ضجة وعجيج

أصبحت الطفلة — منذ ولدت — قرّة عين الوالدين ،
فهما يقدقان عليها فيض رعاية وحنان

وكان شأن الاب مع طفله عجباً من العجب ، اذ باتت
شغله الشاغل فى يومه أجمع ...

لم يعد يأنس الى بهجة القهوة ، وسمر الرفاق ، ولفو
المدياح ...

لا يكاد يفرغ من عمله حتى يفرع الى داره يعتصم بهـ
أى اعتصام ، واذا هو يخلو الى الطفلة ، ويغدو معها طفلاً
من طراز طريف ... شيخ شارف السبعين ، يتهدل على
جوانب فمه شارب فاصع البياض ، تراه يحبو على الارض
حبو الرضيع ، دالفا بين الأرائك والكراسى يلتمس له فيها
مخبأ يواريه ، ولا يلبث أن يبعث من حلقه صيحة الفزع
والرعب ، اذ تهتدى الصغيرة الى مخبئه ، فتنقض عليه ،
آخذه بخناقه ، وما هى الا أن تدير حول عنقه حبلا تسوق
منه كما تساق المطية الذلول ، فينقاد الشيخ فى خضوع ،
وتكرر الصبية بضحكتها الرنانة الصافية ، وهى ممراح
طروب ، يزهوها القلب والانتصار

وعلى هذا النحو تتوالى المعاشات ، ويسود الهياج ،
فينطلق « الطفلان » يعيشان فى البيت فسادا ، يقلبان أثنائه
رأسا على عقب ، ويتعالى منهما الصياح ، ويشتد بهما
الركض ، وهما يتدافعان ويتقاذزان ، فاذا البيت قد انقلب
ساحة من ساحات الملاعب ، تلك التى يجول فيها ويصول
ذلك النفر من المهرجين والبهايل

وكان هذا الصنيع يثير حنق « الأم » فتبدو صاحبة
تنذر وتتوعد ، فتهدأ العاصفة على الاثر ، ولا يسمع
الا تهامس خافت ، وتضحك حبيس !

على ان « شيخ السبعين » أو بالاحرى « طفل السبعين »
طالما حظى مع صغيرته بساعات سكونة وقرار ، لا استخفاء

فيها ولا انقضا ، هي ساعات السمر العذب يقضيها الأب مع ابنته منتشيا بحديث أنيس . .

تراه يجلسها قبالة على ركبتيه ، ويلف ذراعيها حول رقبته ، ويدنيها الى صدره ، حتى لكأن قلوبهما يتجاوبان بالخفوق . وانه ليقارب بين وجهها ووجهه ، حتى ليتلاقى الخدان وتتواصل الانفاس

لقد اعتصرت سعادة الدنيا كلها في تلك الجلسة الرخية الحاملة التي يصفى فيها الأب الى صغيرته وهي تقص عليه صورا مما مر بها في يومها الحاضر . . . فهو يصفى ولا يزال يصفى ، مستعذبا رنيم صوتها الموسيقى الخلاب

لم يكن يعنيه مما تقصه عليه من اخبارها الا ذلك الجرس والنغم . . . فكانه يستمع الى « عصفورة » تسقسق له في نبرات حلوة صافية

عصفورة ؟ أى والله عصفورة !

أليست صغيرته شبيه هذا الطائر الرشيق الجميل ؟ انها عصفورة في خفة وثباتها على الأرض ، كأنما لها أجنحة تهفو بها في الهواء ، عصفورة في رشاقة قدما الضئيل الغض ، عصفورة في شمائلها اللطاف وهي تهز رأسها الدقيق يمنة ويسرة ، رامية بنظراتها اليقظة الالاقة هنا وهناك . عصفورة في لحن حديثها الأغن ، لحن البلابل حين تتناجى على الفصون في الليلة القمرء !

انها عصفورة في كل شيء مما لها من خصائص وسمات ، حتى أن الأب لم يعد يذكر لها اسما الا اسم « عصفورة » يجريه على لسانه كلما ناداها وناجاها :

تعالى الى أحضاني يا « عصفورة » ... اسمعى منى
حكاية يا « عصفورة » ... قبلينى يا « عصفورة » .. أبوك
يحبك يا « عصفورة » ... كيف قضيت يومك يا « عصفورة » ؟
وكان أول ما تلفظه الطفلة من قول ، وهى ترحب بأبيها
فى أوبته الى البيت حين تهرع اليه باسطة ذراعيها فى
تشوف ، أن تسأله :

— ماذا احضرت اليوم معك لعصفورة ؟

فيخرج لها قرطاسا من حلوى ، أو لفيفة تنطوى على
لعبة ملونة ، أو حلية من معدن براق
فتجذب « العصفورة » هديتها على تشوق واهتياج ،
وهى تتصايح وتتواثب فى خفة ذلك الطير الرشيق !

وفى يوم من أيام « الجمعة » ترك الأب المسجد بعد أن
أدى الصلاة ، وساقته قدماه فى طريق غير الذى ألف ان
يعود منه ، فاخترق دربا لم يكن له به عهد ... وصادفه
بائع فطير يعرض بضاعته على صينية رحيبة ، تقوم على
محمل من جريد ، ينتحى بها جانب الدرب المسلوك ...
واجتذب ناظره مرأى الفطائر وهى تلتمع فى شرابها المتسايل
متألقة فى وهج الشمس ، فألفى خطاه تحيد نحوها ، وأحس
بأنفه يتشمم عير الشراب الذكى ، وخطرت « عصفورة »
بباله على الفور ، فهذا الفطير خير ما يقدم لها فى « يوم
الجمعة » المبارك . وعجل الرجل الى البائع يشتري منه
فطيرة سمينة تفرق فى شرابها اللماح ، وانتهى الى داره
يحمل الفطيرة فى دثار من لفائف واقية
ولما تخطى عتبة الدار ، برزت له الصبية قافزة تسأله

ماذا جلب لها معه ، فاقتعد الأرض ، وأجلس « عصفورة »
على ركبتيه ، وفض الليفة ، فتجلت الفطيرة منتفخة
شامخة تسبح في شرابها الشهي ، فصفت الصغيرة من
طرب ، وصاحت تقول :

— أهذه لى ... كلها لى ؟

— هى لك كلها يا « عصفورتى »

وطفق الأب يقطع من الفطيرة لقيمة اثر لقيمة ،
و « العصفورة » تتلقى اللقيمات فتلتهمها فى نشوة ،
فسألها أبوها :

— هل أعجبتك الفطيرة ؟

— حلوة ... حلوة !

ولم تلبث ان تشبث برقبته ، وقبلت فمه قبله جامحة
أحس الأب على اثرها بالشراب الحلو يندى شفثيه ، فلعقه
مستطيبا إياه ، وقال :

— سأحمل اليك كل « يوم جمعة » فطيرة مثل هذه
الفطيرة ...

وبر الأب بوعدده ، فدأب على أن يخترق الدرب المعهود ،
بعد أن يفرغ من صلاته ، ويقصد الى بائع الفطير فى ركنه
الأمين ، يتخير من فطائره فطيرة سمينه ريانة بالشراب
المسول ، ويعجل بها الى داره ، فيطعم عصفورته إياها
لقيمة لقيمة ، وهو جذلان النفس بما يرتسم على محياها
الوادع من بشر وابتهاج

واحتلت « فطيرة الجمعة » من قلب « العصفورة »
أسمى مكان ، فكانت تتحدث عنها ، وترتقب موعددها ،

فيزداد الأب من حرص على شرائها كلما انفتل من صلاة الجمعة ، وانه ليذكرها في قيامه وركوعه وسجوده ، وهو يكبر الله ويسبح له في هذا الحشد الزاخر من المصلين ، متمثلا عصفرته وهي تطعم اللقيمات مستمرثة ، يتسائل على جوانب فمها الشراب اللماح

وتواصلت الايام ، فتواصلت معها هذه الحياة الجياشة التي ارتجت بها انحاء الدار ، بعد أن كانت مثابة الملالة والعبوس والاستيحاش

ترى ماذا كان من أمر « القدر » ازاء هذه الدار التي استقر بها القرار ؟

أترى « القدر » ضاق ذرعا بما يترسل على الدار من اشراق ولألاء ، اذ وجد فيه لونا من الثبات والاستمرار لا يتفق وجوه الحياة ؟

هل يرضى « القدر » حالا واحدا ، ونمطاً راتبا ، لا يعرفه تحويل ولا تعديل ؟

ان دوام الحال من المحال ، وان « القدر » ليحن الى أن يجدد في الأزياء والأنماط والصور ، فلتأخذ تلك الدار نصيبها من تجديد لا معدى عنه لشيء في هذا الوجود !

رفع « القدر » صولجانه الخالد ، وهزه في الفضاء هزة خفيفة ، فاذا « العصفورة » يدهمها مرض عضال ، واذا هي تقضى نحبها في سويغات قلال !

وهكذا طارت « العصفورة » من عشاها الأمين ، فطار معها الاشراق والألاء ، وطارت اليقظة والصخب البهيج ، وعاود الدار خمول وكابة خرساء !

أجل ، عاود الخواء هذه الدار من جديد ، ولكنه خواء
تغذيب وتلويح وإيلام ، خواء يطعن ولا يقتل ، يطحن
يفنى ، يميت القلب كل ساعة ثم يحييه ليعانى كربات
تعودا على بدء !
ومرت الأيام ...

وجثم على صدر « المعلم يونس » تبلد ما أشبهه بسبات
يم ... لكأنه تائه فى أضغاث حلم مفزع مهوش ، تنافر
المشاهد ، وتباين الصور والأوضاع ...
وكان أحيانا تتخايل له فى أعطاف هذا الحلم مرأى عزيزة
محببة اليه ، ينعم بها لحظات فى أعذب الذكريات ...
ولكن سرعان ما تتكاثف الغيوم حواليه ، ويعلو زئير
بواصف دونه ، وتثور الكائنات أمام عينيه مسعورة ،
لما قد أصابها جنة ، وتهطل الأمطار الفزار متدفعة ،
لما السماء قد انشقت فاندفق السيل الحبيس ، وتدور
رجل غوارب الموج بين تصعيد وتصويب ...

فإذا أمسكت العواصف ، وصحت السماء ، استيقظ
أجل يمسح فى مآقيه بقايا الدمع السخين ... وبغثة
شق فى رأسه خاطر ، فينهض مستوفزا يتلفت وهو
سأل :

— أليس اليوم « يوم الجمعة » ؟

ويجد الرجل فى سيره على الطريق نحو المسجد ، ويقف
صفوف المصلين مصفيا الى شيخ المنبر وهو يقرع
سماع بوعظه الرنان . ولكن الرجل لا يعتم أن تبرز فى
خيلته « فطيرة الجمعة » مالكة عليه مشاعره ، فيتمثلها

على صور أشتات ، كيف كان يتخيرها سمينة ينساب
فوقها شرابها اللماح ؟ كيف كان يطويها في دثارها من ورق
غليظ ؟ كيف كان يحرص على أن تظل منتفخة سوية
حتى يبلغ بها الدار ؟ كيف كان يجلس « عصفورته » على
ركبتيه ليلقهما الفطيرة قطعة بعد قطعة ؟ كيف كان يرقب ذلك
الغم الدقيق وهو يزدد اللقيمات في شغف واستمراء ؟
واشتد وجيب قلبه ، وهو بين يدي الله يؤدي الصلاة
فما كاد يخرج من صلاته بالتسليم يمنة ويسرة ، حتى
مرق من الصفوف يختطف نعليه ، ويعدو الى الدرب المعهود
ذلك هو بائع الفطير في ركنه المختار ، وأمامه الصين
تتراصف عليها الفطائر المبرقشة وهي تتألق في وجه
الشمس ... انه ليدنو منه ، وانه لينتقى فطيرة سمين
يطويها في دثار غليظ ، وانه لينصرف متابعا سيره ..
ولكن الى أين ؟!

هاهوذا ينحرف عن الطريق المفضى الى الدار ، ويتخذ
سبيله الى الصحراء ... خطواته سراع ، وأنفاسه مبهور
ويده تحمل الليفة في عناية وحرص ... أثمة من يرتقب
وصوله ، فهو لا يستأنى في سيره ، حتى لا يطول انتظار
من ينتظره هنالك في عالم الصمت والسكون ؟!
تابع الرجل خطاه ، وعيناه ثابتتان في محجريهما كأنهما
عينا تمثال لا تطرفان ، وقلبه يخفق كأنه بين جنبيه طائر
يرفرف بجناحيه

وأخيرا لاحت له المدافن ، تحتل بسيطا من الارض
كأنها مدينة عامرة ، فهذه أبنية مشيدة ، ومسالك ممهدة

وتلك رياض خضر ترويهما الجداول وتنبت فيها الوان
الأزاهير

وانتحى الرجل ناحية متواضعة مستوحشة ، تتعالى فيها
الرمال ، وتتناثر الاحجار ، وتتطامن بينها قبور عفت عليها
الأيام ، وعملت فيها يد البلى والانهيال ...

وهناك ، أمام قبر صغير ، يبدو من طلائه الأبيض
الناصع أنه حديث عهد باستقبال ضيف ، مثل الرجل
خاشعا يهتمهم بأدعية وتسابيح ... وما هي الا أن افترش
الأرض ، وحل وثاق اللبيفة ، فتجلت الفطيرة رقراقة
الشراب ، فانكب عليها الرجل يقطعها لقيمات صغيرة في
فمهم وتتنسيق ، وأحس أصابعه يتساقط منها الشراب
فقطرات ، فجعل يلعبها مستعذبا ما لها من مذاق ، وعلى
فمه طيف ابتسامة يسنح كما يسنح الأمل الشرود

ونفض الرجل يحمل اللقيمات بين يديه ، ثم دنا من
القبر في رفق ، وطفق ينثر على حافته لقيمة لقيمة ، وعاد
إلى مجلسه يولى القبر نظرات شوق وتحنان ، وثاقل
جفناه ، فأرخاهما يتهدى به سبات

واستيقظ « المعلم يونس » يستمع الى صوت أغن ،
خيل اليه أنه يناديه ... وحانت منه لفتة ، فإذا هو يرى
« عصفورة » وشيقة فوق الحدث تحلق وتسقسق ، فجعل
ينظر اليها بمجامع عينيه ، فاعرا فمه ، وقلبه يزداد به
رجيب . وما راعه الا أن لقيمات الفطيرة التي نثرها على
حافة القبر لم يبق منها الا فتات ...
ترى أين ذهبت اللقيمات ؟

ودار بعينه يمنة ويسرة ، وجعل يتبين على مد البصر
هنا وهناك ، فلم يظهر له أحد ... الا هذه العصفورة التي
تتواثب في نشطة ومراح ، وهي تلتقط نثار الفطيرة على
حافة القبر ، ثم تبسط جناحيها ضاربة في الفضاء ، ثم
تهبط على القبر مطيفة به ، حائمة في تطوافها على الاب
الجالس على اديم الارض ، تسقسق له بصوتها الاغن ، والاب
متعلق النظر بها ، لا تحيد عيناه عنها ، وكأن قلبه يتابع
خفوقها بخفوقه ...

ولبثت « العصفورة » على ذلك بعض وقت ، ثم تسامت
في جو السماء ، وأغرودتها تنساب حواليتها وتتزايل معها في
رقّة وترنيم ...

رجع « المعلم يونس » الى داره يهرول ، وبين حناياه هتياج
فما بلغ الباب حتى صاح ينادى زوجه مجلجل الصوت :
« شلبية ... شلبية » ...

وعجلت اليه الزوج ، فبادرها يقول متلاحق الانفاس :
- الا تعلمين الخبر ؟

- أى خبر ؟

- لقد اكلت هي نفسها الفطيرة كلها ...

- من يا رجل ؟

- هي ... هي ... « العصفورة » ...

فغام وجه المرأة ، وقالت لزوجها في لهجة محزونة :

- أى عصفورة يا معلم يونس ؟ ... « العصفورة

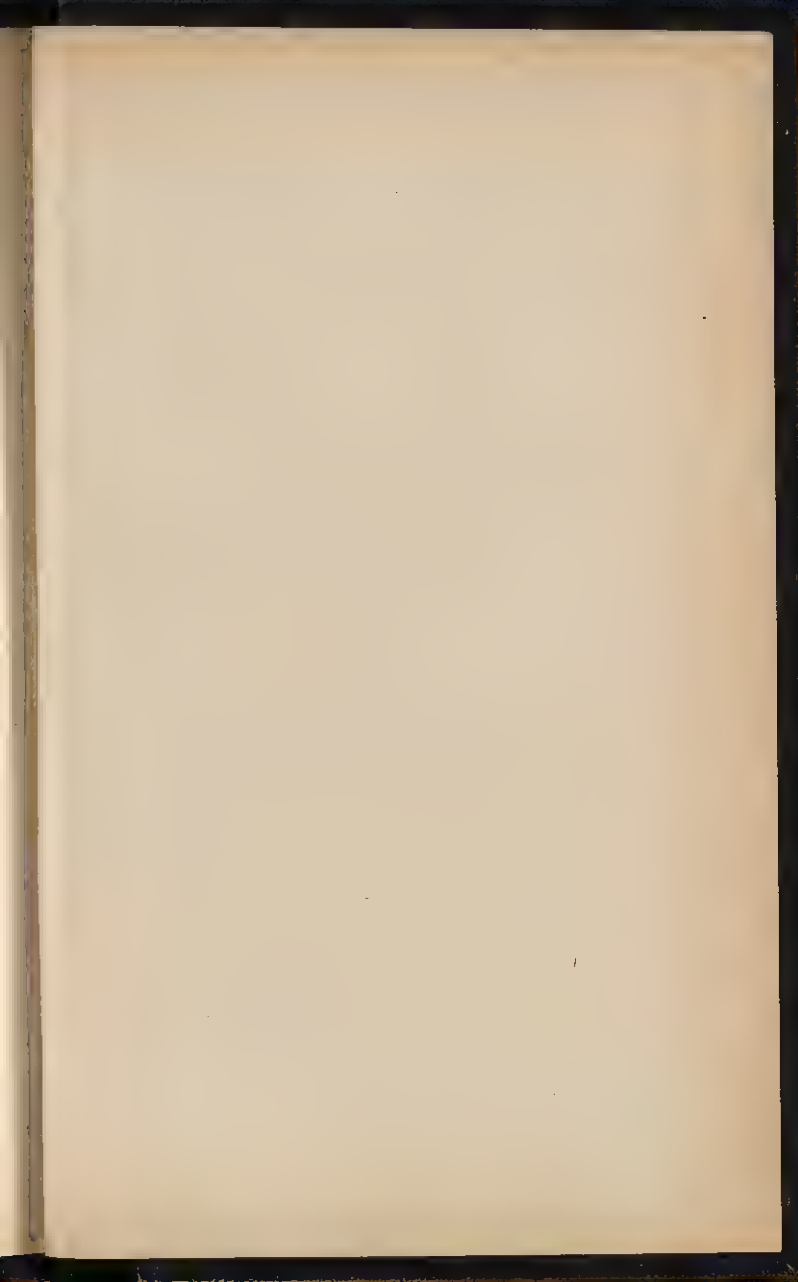
اختارها الله ... عند الله ... الصبر بالله !

فقال لها الرجل في شيء من الحنق :

— أقسم لك على ما أقول ... الا تصدقيني ؟ لقد رأيت روحها تطير فوق القبر ، «عصفورة» تتحدث الى ، وتأنس بي ، تقبل على الفطيرة تأكلها في تلذذ واستمراء ... انها هي أمك ... الست مؤمنة ؟ سبحان الله القدير ! ونظرت الزوجة الى رجلها وقد عرتهادهشة أسلمتها الى بهوم ، وقالت في همهمة :

— روحها ... « العصفورة » ... تطير فوق القبر ... وحدقت فيه مستطلعة ، فظل يردد قوله ، ويؤكد به هدير الصوت ، ووجهه تفيض عليه غبطة وسماحة وارتياح في ومنذ ذلك اليوم ، دأب « المعلم يونس » على ان يشتري فطيرة المعهودة بعد صلاة « الجمعة » ، وان يذهب بها من جامعته الى المدفن ، لكي يقدمها الى « عصفورته » ... وعاش بذلك هانئ البال !





أم - محلول

هل يستسلم الإنسان لعجزه ؟
انه يحاول ان ينتزع من الضعف
قوة ، ومن الضعفة رفعة ، وان
كانت هذه القوة والرفعة في حياة
أخرى غير حياته ... بل بعد
حياته !

الح

الح

الح

مح

على

وتتم

تدم

ك

س

ف

يديه

م

أخذ

أنفقه

»

أنا

هزرو

اتراك من رواد المساجد في يوم الجمعة ، تختلف اليها لاداء الصلاة الجامعة ؟

ها انت ذا قد فرغت من الصلاة ، فتأبطت حذاءك ، متهيئا للخروج ، ومثلت بالباب تعالج انتعال الحذاء ، والجمع الدافق حواليك يدعوك الى الاسراع

الم تحس مرة وانت في هذا الموقف بشيء يأخذ برجلك ، تحاول ان يعينك في عملك ، وهو مكب بطرف ثوبه المهلهل على الحذاء يميظ عنه الغبار ، ولسانه يلهج بدعاء فيه ضراعة وتشفع واسترحام ؟

لا عليك ان تفنى نفسك بتفقد هذا الشيء الجائم عند قدميك ، فهو معهود لديك ، ليس بالغريب عنك ، ولا حيلة لك في أمره الا ان تلقى اليه بقطعة من النقود ، وانت تهمهم :
— ام سحلول ... دائما انت ؟

فتقبل المرأة منحتك في بشاشة ، ولا تلبث أن ترفع يديها الى السماء تستمطرها خيرا لك ، وبركة عليك ، ثم تنحرف عنك الى غيرك ، محنية الهامة ، قميئة القامة ، تأخذ بطرف ثوبها المهلهل الى وجهها تمسحه ، ثم تخصص به انفها تتمخط

« ام سحلول » ... وهل يجهلها من أهل المساجد أحد؟
انها هي منذ خمسة وعشرين عاما ، تدرج ذليلة المشية ، مهزولة البنية ، في أسمال زرق !

لا تراها أبد الا مخفوضة الرأس ، كأنها تقتفى مواطئ
الاقدام ، أو كأن بعينها داء لا تستطيع معه أن تواجه
الاضواء ، فهي تتحاشاها بالاطراق
لا تسمع منها أبدا الا تلك النغمة الواهنة المستضعفة ،
وهي منكفئة على نعال المصلين ، تستعطف قلوبهم حين
تقول :

— ارحموا اما تكفل طفلها اليتيم ... ارحموها يرحمكم
الله !

عرف الناس « أم سحلول » بهذه الميزات الخاصة ، وأكثر
من ضاقوا بها ذرعا هم أولئك السائلون الذين وجدوا فيها
منافسا خطيرا يزعجهم على الكسب الميسور ، فكانوا ينادونهم
بمختلف ألوان المناوأة ، يتعمدونها بالضرب الوجيع ،
ويغتصبون منها ما جمعت من عطايا ومنح ، ويصدونها عن
السييل كلما أقبلت على السبيل

يبد أن المرأة صابرة ورابطة ، واحتملت ما تلقى من
عنت واضطهاد ، وظلت تنقل على أبواب المساجد ، تتصلب
من يصدر عنها من المصلين ، تعينهم على انتعال الاحذية
واماطة الغبار عنها ، كأنها تهم بتقبيلها تذلا ومسكنة

لم تكن « أم سحلول » محبة الى رفاقها من أهل السؤال
والاستجداء ، ولم تكن كذلك في الاحياء التي تلم بها محبة
الى الاهلين من عامة الناس ، فهم ينفرون منها ، ويضجرون
بها ، ولا تكاد تجد عندهم قبولا ولا حظوة

وكانت « أم سحلول » تعجب من أولئك الذين يفسحون
صدورهم للسائلين دونها ، اذ يفوتها أن الاستجداء يجب

أن يحاط بمظهر براق ، حتى يبلغ من النفوس مبلغ الاشفاق
فلا بد أن يكون صوت الضراعة على ضعفه جهرا يهز السامع ،
ولا بد أن يكون للمستجدي من الضمادات والخرق والعكازات
ما يسترعى الانظار ... وهذه المرأة المسكينة لا تتمتع
بشيء من تلك المؤثرات جميعا ، فلا جراح دامية ، ولا قدم
متورمة ، ولا عمامة خضراء تناطح الجوزاء ، وليس لها ذلك
الصوت الابح المتسلخ يتعالى به حلق صاحبه كأنه ثور ذبيح
يسلم الروح

لقد عجزت « ام سحلول » عن أن تكون من طائفة
المسولين العتاة ، فما هي بشحاذة توافرت لها أدوات ذلك
الفن الاصيل ...

هي آدمية اختارت لها الاقدار ذلك الحظ من التشريد ،
وهي تكافح وتنافح لكي تكفل طفلها الوحيد ...
لم تكذب المرأة في دعواها ان لها طفلا يتيما ترعاه ، ولولا
هذا الطفل لكان لها مصير غير ذلك المصير ، وأغلب الظن أنه
لولا طفلها هذا لودعت حياتها منذ عهد بعيد ، ولكنها يوم
احتضنته وليدا أحست شعلة الامومة تتقد بين جنبها ايما
توقد ، فبنت عزمها على أن تحيل تلك المزقة الحية التافهة
كأنها له مكانة وخطر

مضت خمسة وعشرون عاما ، والمرأة خلالها تلوذ بأبواب
المساجد والضرائح مستجدية ، وما برح لسانها يتضرع
إلى المحسنين بتلك الجملة الخالدة التي لا يعترىها التفسير
والتبديل :

— ارحموا أما تكفل طفلها اليتيم ... ارحموها برحمكم
الله !

أترى يلبث ابنها اليتيم طفلا تلحق به صفة الطفولة واليه
على مر السنين ، وان جاوزت خمسا وعشرين ؟!
ألم تدرك « أم سحلول » أن طفلها قد كبر وترعرع
حتى صار شابا رائع الشباب ، يسعى في الحياة سمسما
العاملين ؟!

إنها لتأبى إلا أن تعده ما برح طفلا وان بلغ مبلغ الرجل
وان انفصل عنها يكدح ويفامر ، فهو على الرغم من كل شيء
ذلك الطفل المستضعف المهيض الجناح ، لا غنية له عن كفالة
أمه ترعاه وتحذب عليه !

نشأت « أم سحلول » في كنف رجل جزاري يعمل في المذبح
كأنما صاغته الطبيعة ليمثل طائفته من الجزارين خير تمثيل
قائمة فارعة ، والواح عراض ، وشارب غليظ مسنون يقف
عليه الصقر كما يقولون في الامثال

نشأت هذه المرأة في كنفه ، وهي صبية لا تعرف
ماضيها أي شيء ، أصابها في بعض الطريق طفلة لا تكا
تبين ، اذ التقطها رافة بها ومرحمة ، فاليه يرجع الفضل
كل الفضل في بقائها حية كسائر الاحياء

ذلك ما كان يردده الرجل على سمعها صباح مساء ، وهو
مزهو يفتل شاربه ، فلا غرو أن تؤمن بما له عليها من منة
وان تجزيه على احسانه اليها ولاء موصولا وطاعة عمياء
تخلص له في الخدمة وان أغلظ لها في القول ، وتضطر
بأعبائه وان قسا عليها في المعاملة ، وما أكثر ما عانت
عريته حين يثوب اليها في جوف الليل ، سكران بترنج
على رأسها يصب ما في رأسه من نزوات الخمر !

كان مولاهـا وسيدـها هذا لا يفتر عن تذكيرها بما لها من
صالة وتفاهة ، وهو الذى دعاها « أم سحلول » قبل أن
تبلغ الحلم ، تهاونا بها وسخرية ، فحملت هذه الكنية قبل
أن تعرف كنه الامومة ، وتقبلتها دون انفة ولا تدمر ، واستقر
فى أعماق نفسها أنها كما ينعتها مولاهـا وكما ينعتها سائر
الناس من حولها أحقر مخلوقات الله جميعا وأبشعهن
صورة ...

وانساقـت الاعوام بتلك الصبية ، حتى جاوزت السادسة
عشرة ، وهى على حالها مخلوقة لا تحنو عليها الطبيعة بشيء
من فتنة الانثى ، ولا حظ لها من العيش الا هذا اللون الدائب
من المهانة والمقت والاذلال

ويوما الفت نفسها شريد طريق ، لا عائل لها ولا مأوى
أين سيدها ومولاهـا ؟ لم تدر من شأنه الا قول الشرطى
لها :

— انه لن يعود !

وصافحت سمعها أقاويل عن سيدها ، يتناقل الناس
فيها حديث القاتل الذى ينتظر مصيره المحتوم ، مشنقة
الاعدام !

فارتاعت لما تسمع ، ولكنها لم تستجل الامر على حقيقته
... وعلى مألوف عاداتها أذعنت لما تواجهها به الايام من
أحداث

لم تملك « أم سحلول » الا أن تودع ذلك الحى الذى
عاشت فيه ردحا من الزمن ، وتركت نفسها نهبا لغمرات
الحياة ، خائرة القوى ، مشدوهة حيرى ، لا تعرف كيف

تنقل خطاها ، وأوشكت أن تهوى بها الغمرات الى القرار .
ولكن سرعان ما أحست شيئا يختلج في أحشائها ، كأنه
يعلمها بوجوده ، واستبان لها الامر ، وخيل اليها أنها تسمع
هاتفا رخي الصوت يقول :

— لقد جئتك من عالم الظلام المجهول ، فماذا أنت صانعة
بى ؟

وبغطة شعرت المرأة بيقظة تدب في أوصالها ، فاندفعت
تبكى ، ثم انشنت تضحك ، واستبد بها هياج يختلط فيه
الضحك بالبكاء

منذ ذلك الحين عرفت « أم سحلول » أن لحياتها شأنًا أى
شأن ...

منذ ذلك الحين ايقنت ذات الجنين أنها لم تعد تافهة كما
كانت من قبل ...

انها كسائر الكائنات يجب أن تعيش وأن تكدح ...
لقد أصبحت « أما » ، وحسبها ذلك من دافع وحافز ،
وهل تركت الامومة بعدها فخرا تعتز به الانثى ؟

تلك هى « أم سحلول » بحق ... « أم » فى عالم الكرامة
والتقدير والاعتبار ، لا فى عالم الوهم والسخرية والاحتقار !
عرفت المرأة طريقها الى المساجد والاضرحة ، هدتها
اليها الفطرة الساذجة ، وأتيح لها فى ذلك الميدان جانب
توفيق ، فحمدت لله ما أفاء عليها من نعمة طيبة ، وثابرت
على خطتها فى نشاط وحمية ، حتى استطاعت أن تؤسس
لها مأوى فى زقاق من أزقة « التريفة » : حجرة ضيقة
مستهدمة ، لا يهتدى اليها ضوء الشمس فى شتاء أو
صيف

وما احتياج المرأة الى الضوء حين تثوب الى مأواها المختار؟
نظمت لتلبث عامة يومها تدرع الطرقات ، وتتردد على أبواب
المساجد والضرائح ، تلوك في فمها المضغة المعهودة لكل من
تلقاه :

— ارحموا اما تكفل طفلها اليتيم . . . ارحموا يرحمكم
الله !

فلا يكاد يدبر اليوم حتى تكون المرأة قد أثقلها التعب ،
وأعيها الطواف ، فهي تأنس في حجرتها الضيقة بذلك
الظلام الذي يهدي الى جسدها الراحة والدعة ويسبغ على
نفسها السكينة والهدوء

في هذا المأوى وضعت « أم سحلول » وليدها المرتقب ،
وبين جدرانها كان منشؤه ومرباه ، ومنه خرج سليل الظلام
يستقبل نور الحياة في دنيا الامل والعمل والكفاح
وحرصت تلك الشريفة الطريفة ، ربيبة المهانة والبأساء ،
على ان تحوط ذلك الوليد النابت بالرعاية ، وان تحميه من
عوامل البؤس والتشريد ، وان تحيله كائنا له في الدنيا مكانة
وخطر ، على نحو ما كانت تبغى أن يكون !

لطالما أخذت « أم سحلول » طفلها بين يديها ترقصه في
تلك الحجرة المعتمة على بصيص من ذبالة المصباح الاعفروهي
تناجيه بقولها :

— لتغدو أعظم من أبيك . . . وليكون لك شأن !
ثم تضمه الى صدرها في شفق ، وفمها على فمه ملتحمان
في قبلات يسيل منها دمعها الحنون
وكلما وقع بصرها على رجل مهيب الطلعة ، وجيه
الشارة ، ناجت نفسها تقول :

— لماذا لا يكون ابني مثل هذا الرجل ؟ ... فليحرسه الله !

فان مرت بدار انيقة المظهر ، رفيعة الطباقي ، شخصت اليها تقول :

— لماذا لا يسكن ابني مثل تلك الدار ؟ ... فليحرسه الله !

وان جازت بها سيارة فارهة المنظر ، لامعة الطلاء اتبعتهما نظرها تقول :

— ليكون لابني سيارة كهذه السيارة ... فليحرسه الله !

واستمرت المرأة تعمل ، ناشطة السعي ، تزدد من تشبث بالحياة ، وتضطلع بما تجابهها به أعباء العيش ، من أجل طفلها المرموق ... تحرم نفسها القوت لتطعمه من الطيبات ، وتقنع من الكسوة بالمرقعات لتكسوه المستجاد من الثياب ، ولا تفتر عن تنظيفه وملاحظة هندامه على حين تبدو هي في أوضاع وأقدار

وما أن استطاع الغلام أن يفهم عنها حتى كان أكثر حديثها معه نصحها له بأن يكون مهذب النفس ، موفور الكرامة ، رفيع المقام ... تكرر ذلك على سمعه قبل أن تنصرف عنه مصبحة ، وبعد أن تعود اليه ممسية ، وهي فيما بين ذلك غارقة في الازلال والامتهان ، تريق ماء وجهها طول النهار بالاستجداء ، وتنمي ثروتها على الايام بما تدخر من عطايا الكرام

ترعرع الغلام ، وايفع ، وضمته معاهد التعليم ، وتلقى فيها ضروب المعرفة ، فأقبل على درسه ماضي الهمة ، مرهف

الفتنة ، تلهب امه من عزمه ، وتبصره بأن الحياة صلابة
وجد ، وأن النجاح سبيله الاستماتة في الكفاح
ولما شب الفتى عن الطوق ، أفردته « أم سحلول » في
حجرة لائقة به ، واختارت له هذه الحجرة في بيت حديث
البناء يقوم على ناصية « الشارع الكبير » كما كانت تسميه
... أما هي فاستبقت ذلك الحجر المعتم تحيا فيه حياتها
الرائية

وكانت تؤم حجرة ابنها تقوم فيها بالخدمة ، فتغسل
الثياب ، وتنظف الاثاث ، وتطهو الطعام ... فان اضطرت
ان تتحدث الى بعض الجيرة او همتهم انها كانت على صلة
بأسرة الفتى ، وانها تعلقت به ، وأخلصت له ، وستبقى
على العهد تخدمه

واحيانا يسألها الفتى :

— لماذا لا تقيمين معي يا اماه ؟

فتخفض « أم سحلول » بصرها ، وتأخذ بطرف ثوبها
تشنيه وتبسطه ثم تجيب :

— دعنى وما أنا فيه يا بنى ، فان لك شأنا غير شانى...
أنا « أم سحلول » ... عرفت حياتى والفتها ... ولن
أغيرها ما بقى لى وجود ... أما أنت فلك عالمك ومستقبلك ،
تحيا فيه وتنعم به ، وتتملى ما فيه من سعادة وعزة ورقى
... فليحرسك الله !

ثم تسمو بهامتها اليه ، تستطلع اثر حديثها فى وجهه ،
وقد انتفضت نفسها بالحنو ، ونديت عينها بالدموع
وترادفت أعوام ، والمرأة تنفق على ولدها فى سخاء ،

وتشرف على تربيته وتخرجه بوحي من بصيرة الام الرعوم
واقترح الشاب ميدان العمل ، فأسند اليه منصب في
احدى الشركات يدر عليه من الرزق ما يكفل له عيشة
راضية ، فانتقل الى شقة فاخرة ، واقتنى سيارة انيقة ،
واصطنع الخدم يقومون بشأنه ، وأمه على حالها في جحرها
العتيق ، تزهو بسعيها الموفق ، وثمرتها الناضجة ، وتنشد
لعزيرها النماء والمزيد

ولقد أقلت من زيارتها له ، حتى لا تثير الشبهات من
حوله ، فكانت تحرم نفسها رؤيته ، لكى تجنبه ما يعكر
صفوه ويشوب هناءه ...

ولشد ما عالج ابنها ان يجتذبها الى مسكنه ، وان يقرها
فيه ، فأبت عليه ، وأصرت ان تدعه كما هو وحده ، وان
تكون هى عنه بمعزل ، لا تبغى بحياتها من بديل

وجعلت المرأة تشتد فى جمع المال اكثر مما كانت تفعل ،
فهى تعمل جاهدة فى الاستجداء ، حتى يتوافر لها قدر من
المال عظيم ترصده لغرض معلوم
حق لابنها أن يتزوج ...

ذلك هو شغلها الشاغل ، وتلك هى أمنيتها الغالية ،
فلتبذل ما أوتيت من جهد لكى يكتمل لها من المال ما يصلح
ان يكون مهر عروس ، وما يتبع ذلك من تكاليف أفراح
الزفاف

لن يهدأ لها بال حتى ينعم ابنها بالزواج ، فتكون له امرأة
انيسة يرزق منها بالذرية الصالحة ...

لن يطيب لها عيش حتى يهنأ ابنها فى ظل أسرة يحوطها
الصفاء والوئام ...

حتم أن يسعد ابنها بكل ما حرمتها الاقدار اياه ...
ليس ابنها في الحق الا صورتها الاصيله ، بل هو جوهرها
الخالص ، بل انه هي نفسها لا ريب في ذلك ولا نزاع ...
فكل ما يستشعره هو من رفاة ونعيم تحسه هي كاملا غير
منقوص

انها لتأكل طعامه وتستمرئه ، وان لم يمس شفيتها مذاقه
انها لتحيا حياته ، تتقلب على وثير فراشه الملون بالوان
الزهر والريحان ، وتنقل في سيارته ذات البوق الرنان ،
وان كانت في جحرها الخرب ماثلة لا تطأ الشقة الفاخرة
الا خلسة تخشى أن تقع عليها العيون ، ولا ترى السيارة الا
خطفا حين تنهب الارض في معاطف الطريق

انها لتحس ما يحس ابنها من عزة وكرامة ، وان ظلت
على أبواب المساجد والاضرحة مبسوطة الكف للسؤال ،
منحنية على مواطئ الاقدام تمسح النعال

لم تبق لها من متعة في الحياة تهفو اليها الا أن تشعر
بالفرحة الكبرى : « فرحة الزواج »

فليتزوج ابنها عما قليل ، وليكن زواجه في حفل بهيج ،
يجتمع على موائده الكبراء والسراة والحكام ، وتصدح فيه
الموسيقى بآلاتها الضخمة وأنغامها العذاب ، ويصطف رجال
الشرطة بالابواب يرفعون أيديهم بالتحية للقصاد ويهيمنون
على النظام !

ليكونن الحفل عظيما تتحدث عنه المدينة بأروع ماتحدث
عن الافراح والليالي الملاح !

وتم « لام سحلول » ما كانت تريد
خطب ابنها « بنت الحلال » ، فتاة كريمة العرق ، وسرعان

ما ضرب لحفل الزفاف موعد قريب

وحل اليوم العظيم ، ذلك الذي ترتقبه « أم سحلول »
منذ عهد بعيد ، ولقد أكرمها الله اذ جباها بما كانت تصبو
اليه ، فما يكون لها بعد ذلك من مطمح في الحياة
في هذا اليوم تختتم مرحلة الشقوة والكد والعناء ، لتبدأ
مرحلة جديدة من الطمأنينة والهدوء والاستقرار
في هذا اليوم تكمل رسالتها في ذلك الوجود ، وتتم انجاز
واجبها الذي ناطته بها الاقدار

واضطرمت في نفس المرأة حيوية لم تعهدها من قبل
واستشعرت قوة واقتدارا لم تعرفهما في ماضيها الغابر
فذلك انقلاب شامل يطرا على تلك النفس المستكنة المتخاضعة
اللائذة بالصمت والظلام

انها مخلوق جديد لا يمت الى شخصها القديم بنسب
قريب أو بعيد
لقد اختارت اليوم لنفسها اسما مستحدثا تعرف به
« أم البك »

ولقد أرسلت من يشيع في بيت ابنها أن « أم البك »
قدمت من الضيعة في الصعيد الاعلى لتشهد وحيدها العزيز
في حفل زواجه السعيد

وقضت « أم البك » يومها الاطول تنقل بين « البلانة »
و « الماشطة » في الحمام ، وبين أيدي النساء يشرفن على
زينتها وملبسها في بيت خياطة مشهود لها بالمهارة والافتقار
ولما توارت شمس النهار لتسمح لشموس الحفل
المصابيح الكهربائية ان تتوهج مختلفة الالوان ، بدت «
سحلول » وسط الجمع تتخطر ، تارة تحيي الضيوف

وقار وشموخ ، وتارة تطارحهم الحديث في أنس يمازجه
ترفع ، وإذا هي تلتفت بفتة ، لتصدر الاوامر في سطوة
واعزاز ، جهيرة الصوت ، مرفوعة الهامة ، كأنها قائد فيلق
في موقعة فاصلة

لقد ظهرت « أم سحلول » في حلة قشبية زاهية. تطول
قامتها بما انتعلت من حذاء على الكعب انيق ، ويمتلئ
جسدها بما احتشت من أثواب أشتات ، ويعلو صدرها بما
ركب فيه من حشيتين ناهدتين ، بدت بهما المرأة كأنها
عذراء كاعب

ولقد أجادت الماشطة عملها أيما اجادة ، فأخرجت من
المرأة حسناء مكحولة الجفن ، مزججة الحاجب ، مكسوة
الشعر بالسواد اللامع، مطلية الوجه بأخلاق العبير والمساحيق،
مصبوغة الشفة بالحمرة القانية ، حتى غدت كأنها دمية
الزينة زاهية الالوان

ورئيت « أم سحلول » تنساب من بين أناملها العطايا
والمنح ، فتلقفها جوقة الفناء والرقص ، ويتلقطها الخدم
والحشم ، وانطلق الهتاف « بأمر البك » تتقاذف به الافواه
في حفاوة وتكريم واعجاب ، وانبعثت أنظار الجمع تتحلق
حول « أم البك » سائرة في تبختر وخيلاء ، وهم يفسحون
لها الطريق ، ويحنون من هاماتهم في تجلة واكبار

وتصدرت « أم سحلول » مقصف الحفل ، وطفقت توزع
بيديها ما لذ من الطعام وما طاب من الشراب، سخية بالاعطاء ،
ملحة فيه ، حتى لم تدع أحدا الا نولته من فيض خيرها
العميم

ثم عدلت عن المقصف تريد الطريق ، والخدم من ورائها

يحملون قصاع الثريد وصحاف الخلوى ، واذا هي تطعم
العفأة المزدحمين بباب الدار ، فتعالت أصواتهم يمتدحون
« أم البك » ويدعون لها أخلص الدعوات
وانقضت ساعات الليل ، والحفل ساهر في طرب ومراح
لا يخبو له رونق ، و « أم سحلول » تتراعى كأنما هي
العروس ، وما زوج ابنها الا احدى الوصائف في حفل
الزفاف

وفي مبرق الفجر تزايدت أضواء المصابيح ، وتخافتت
أصوات السمار ، وما هي الا أن أطبق السكون العميق على
جوانب الدار

وصعدت « أم سحلول » الى غرفة أعدت لها في السطح ،
فتخادلت أوصالها على فراش وثير ، تسترسل بها الاحلام
في شتى الاجواء

وفي ساعة الظهيرة حين جليت مائدة الغداء ، قصد الى
الحجرة رسول يوقظ المرأة من النوم ، لتشارك الاسرة في
الطعام ، فألفاها الرسول جثة بلا حراك

وكان اكبر شيء يسترعى النظر فيها ما يتجلى على محياها
المشرق من صفاء وراحة واطمئنان ...

لقد نعمت بزبدة الحياة في ليلة يا لها من ليلة ، فليست
هي أهلا بعدها لحياة ...

لم يعد « لام سحلول » مكان في حياتها السابقة التي
كانت تحياها من قبل اذ أدت واجبها فيها كل الاداء
واطمأنت نفسها بما أنتهت اليه ، وفرغت منه

ولا مكان « لام سحلول » في تلك الحياة الجديدة التي
يستقبلها ابنها العزيز في ظل زواجه السعيد

انها لتنطلق الآن سابحة في الآفاق العلوية ، راضية
مرضية ، وقد تخلصت من القيود والاثقال !

خائب الدهر

صورة من حياة فئة حسبت نفسها
من الخيرة الممتازة . ولكنها لم تعمل في
الحياة ما يحقق هذا الظن ربطت
نفسها بالماضي ، ولم تتسايير الزمن ،
معتقدة أن الماضي هو عالم الخير المحض .
وعاشت على الاوهام في عالم الاحلام ،
ففنيت فيه وزالت من الوجود !

طال

من

اليه

الحق

اياي

الس

م

يفرر

و

يعلم

لقد

واني

يق

لا

الى غ

واست

ذلك آخر ايامى لا محالة . . . وما احسب ان الشمس
طالعة غدا ، ولى في هذه الحياة انفاس
لم يعد قلبى مستطيعا أن يواصل الخفوق ، واذن فأنا
من مصرى العاجل على ثقة لا يتطرق اليها ارتياب
لن يعودنى الطبيب منذ اليوم ، فقد صرفته عنى ، وطلبت
اليه ألا يعود

ويح هذا الطبيب ، من مخادع كذوب ! . . . انه ليموه
الحقيقة على ، ويكتم ما يعلم من امرى ، ويتخذ في تضليله
أى أساليب تستدعى أن أرثى له ، بل انه ليثير فى نفسى أبلغ
السخط والحنق

من يظننى هذا الفر المافون ؟ لكأنه يظننى طفلا يريد أن
يقرر به ، ويسخر منه ؟
وما انتفاعى بذلك الطبيب ، وأنا اعلم من خبيثة امرى ما لا
يعلم ألف طبيب وطبيب ؟

لقد وهبنى الله بصيرة مرهفة ، لا يسمو اليها علم الاطباء ،
والى بتلك البصيرة لأستجلى ما دق من اسرار الحياة والاحياء
يقينى أن بقائى فى الدنيا قليل ، وأن رحيلى عنها وشيك
لا تثريب على اذن فى أن اتخذ من الالهة ما يتخذ الراحل
الى غير مأب . . . أستصفى ما يتوصل بى من عمل ،
والستدعى اللحد لأشير عليه بما أرى فى شأن القبر الذى

يحتويني ، ولم انس أن أوصي بما تكون عليه جنازتي في
طريقها الى ساحة الصمت والسكون
لقد اطمأن قلبي بما دبرت وما أشرت وما أوصيت ،
وهانذا أستقبل الموت في سكينه واستسلام

حان حينى ... تلك ارادة القدر ، ولا مرد لما يريد ،
بيد أن الناس ينكرون هذه الحقيقة الخالدة ، فيزعمون أنى
أنا الذى أبلغت نفسى هذه الغاية من التداعى والاضمحلال
أولئك هم يقولون أنى أسرفت فى التشاؤم الاسراف كله ،
وانى تركت الهواجس والاهوام تفتالن وتلقى بى الى
التهلكة

أحقا أنا كما يزعم الناس ؟

أحقا أن هذا التشاؤم كان يهيمن على خطواتى ، فيوجهنى
كيفما شاء ، وانه هو علة أخفاقى فى الحياة ، وهو الذى
ساقنى أخيرا الى هذا المصير الذى أنا فيه ، أعد مابقى لى
من حياتى بالساعات ، بل اللحظات ؟

أحقا أنى من هذا الضرب الذى يخط بيده مصيره
ويخطو بقدمه الى حتفه ؟

أحقا أنى اسير هواجس اخلقها فى مخيلتى ، لأعكر به
صفو أيامى ، وانى أتصيد الاهوام فأبعثرها لتتعر به
خطاى ؟

أحقا انه كان فى مقدورى أن أمد لنفسى عمرا أطول مدى
وأن أهيب لى حياة أوفر جدوى ؟

تلك مزاعم الناس ومفترياتهم على ، ولعمري أنهم لظالمون
لى ، وانهم فى هذا الظلم لاثمون !

كيف يتاح لامرئ أن يزيد في عمره المقسوم له يوما أو
بعض يوم ؟ السنا طوع أقدار لا نملك منها الفرار ؟ وابن
ملك الارادة التي تسمو الى تبديل ما رسمت لنا الاقدار ؟
ما زال الناس لهم السنة أطول من عقولهم ، فهم لا يفتأون
يلقون الكلام جزافا عليه مسحة من برقشة وزخرف ،
وهو كالطبل الاجوف الرنان ، فليس فيه من معنى الاكذلك
الهواء الذي يخرج من الطبل اذا مزقته ، لا يلبث أن يذهب
مع الريح

ما للناس وما لى ؟
فليدعوني لمأبى !

ولكن أنى للناس أن يتركونى ، ودأبهم منذ كانوا أن يقحم
كل منهم نفسه في حياة غيره ، فيفسد عليه أمره ، يدعى
أنه يفهم من الدقائق والاسرار مالا يفهم سواه ، وانه وحده
الى مالك ناصية الهداية والاصلاح ، وهو لذلك يتطوع باللوم ،
ويتبرع بالنصح ، متخذاً من هذا كله ذريعة الى استبطان
مخائل الناس ، والتغفل فيما يضمرون من شئون
وشجون

لو عرف المرء قدر نفسه ، لاخترن نصائحه لنفسه ،
وكف عن التدخل فيما لا يعنيه . . . اذن لخلص الناس
لانفسهم يدبرون أمورهم بمنجاة من التطفل والتدخل
والتأثير ، ولعاشوا في سكينه وطمأنينة ونعيم
أين هى الوسائس والاهام التي يزعمون انها تملك على
سبيلى ، وتأخذ بخناقى ؟
انها حقائق ملموسة ، لا يتسرب اليها الشك من قريب

أو بعيد ، حقائق ناطقة لا يجحدها الا مكابر عنيد
تلك هى القهوة امام عينى ... ذلك المشرب الذى يقوم
بناؤه عن كذب من المنزل ، متجليا للناظر تحت الاضواء
بأركانه وأبوابه وأشياءه ...

أحقيقة هى القهوة أم وهم يصوغه الخيال ؟
انت تسألنى : وما الصلة بينى وبين القهوة التى هى ماثلة
للعيون ؟

لا تعجل بسؤالك على ، فانى مجاهر ك بكل ما تريد
ليس من عجب فى أن تكون بينى وبين القهوة رابطة
وصلة ، فذلك أمر لا تأباه الطبيعة ، وان بدا غير مألوف
ثمة كائنات يرتبط بعضها ببعض أوثق ارتباط ...
رب شيئين اتصل أحدهما بالآخر ، فكأنهما توأمان
متلاصقان ، لا يفترقان فى ابتداء أو انتهاء ... هما يزدهران
معا ، ثم يضمحلان معا ، فاذا فنى أحدهما فنى الآخر على
الآثر ... بينهما وصلة روحية يعقدها القدر ، فاذا هما
يجريان فى آن واحد الى غاية واحدة

لا سبيل الى اكتناه الصلة الروحية بين الكائنات
المترابطة ، فان كنهها محجوب يعز على عقول البشر ، وما
أعجز أفهامنا عن أن تدرك أسرار الروح ، بل ما أشد قصور
الأفهام البشرية عن ادراك الكثير من خفايا الطبيعة وسرائر
الكون

وماذا يبلغ علمنا بتلك السرائر والخفايا ؟
هذا المخلوق البشرى أجهل مخلوقات الله بما حوله من
طبائع الأشياء وحقائق الوجود ، ولكن له لسانا طويلا يعينه

على التبجح والادعاء ، وانه لفخور بهذا اللسان الذى يشقيه
ويطيل همه ، ولو انصف هذا المخلوق الناعس لاستأصل
لسانه من حلقومه ، ولعاش أخرس يختزن رايه وتفكيره
فى وليجة نفسه ، فيريح ويستريح ، ويسلم من أعقاب تلك
الثرة الأرضية التى تجلب عليه الهزؤ والسخرية من جانب
السماء . ولكأنى بالكائنات العليا تستمع الى هذان ذلك
الانسان الاحمق ، فتسترسل فى قهقهة تملأ الفضاء من
بروق ورعود

اقولها جهرة لا لبس فيها ولا ارتياب ... ثمة رابطة
روحية قوية وصلت بينى وبين هذه القهوة التى أسميها
نوام نفسى ، وصنو عمرى ، فوحدت ما هو مقسوم لنا
من مصير

يطيب لبعض رفقاءى ان يعابثونى فيسألونى : اذا اجزنا
لك ان تستوثق الصلات بين الكائنات الحية ، وان يتحدمالها
من اقدار ، فكيف نجيز لك ما تزعم من الاتصال بين كائنين :
حى وغير حى ، بينك وبين القهوة ؟ ... انت انسان والقهوة
جماد ، فأين روحها التى تزعم اتصالها بروحك ؟
ما ابين جهل السائلين بأسرار المادة الازلية !

انهم ليقفون عند الظواهر والقشور ، وانهم ليقيسون
الحياة بأقيسة جامدة قاصرة ، لا تلائم ما يحيط بنامن عناصر
الكون وجوهر الوجود ... الا ان كل شئ فى هذا العالم
حى ، وان اختلفت صور الحياة ، وهل عرفنا نحن حقا ما
الحياة ؟ ما كنهها ؟ ما تحديدها ؟ ما تعريفها على الوجه

الصحيح ؟ وهل وقفنا على حقيقة الروح التي تعم الجسد ،
فتخلع عليه صبغة الحياة ؟ اليس ذلك كله ما برح الى اليوم
وراء الغيب المستور تتيه فيه الاوهام ؟
كيف لا يكون كل شيء حيا ، وفي كل شيء نفحة من الله
يكمن فيها سره العظيم ؟

انى لزعيم بأن هذه الأشياء التي نسميها الجمادات تنعم
بحياة عامرة كما تنعم الكائنات الحية سواء بسواء ، فلكل
من تلك الجمادات حياته الحافلة بالاعاجيب من طفولة ساذجة ،
الى شباب متوثب ، الى شيخوخة متداعية ، الى فناء في
عباب الكون الغامر ... وانى لزعيم بأن لكل من هذه
الأشياء اقدارا وتصاريف من هبوط وصعود ، ومن نحوس
وسعود ... ولو ارهفنا مشاعرنا لاحسنا حياة هذه
الكائنات من حولنا ، وتأثرها بنا ، وتأثيرها فينا ، ومشاركتها
لنا ، وان كان يعوزها ما تميزنا به نحن من المنطق والكلام ،
ولعل صمتها وسكونها أفصح من كل منطق وابلغ من كل
كلام

لست وحدى صاحب هذا الراى ، فليس منا الا من
يؤمن به في قلبه ، وان أنكره بلسانه

اناشدك الحق ان تعترف أنت بما تعرف من أمرك
اهمس لى بما فى نفسك : ألم تستشعر يوما رباطا يصل
بينك وبين شيء من هذا الذى ندعوه الجماد ؟

اذكر ان كنت ناسيا : ألم تصاحبك طرفة من متاع بينك ،
او اداة مما تتخذ فى عملك ، او شيء مما تلبسه أو تتزين به ،
من نحو زهرية أو دواة أو رباط رقبة ، فاذا ما ادركها

البلى ، ولم تجد بدا من ان تلقيها عنك ، او تستبدل بها غيرها ، أحسست في قرارة نفسك احساس من يودع رفيقا كريما أزمع الرحيل عنه ، ونزعت بك نازعة رقيقة من حسرة وأسف ؟

ذلك القلم الرصاص الذى اصطنعه للكتابة ، فأصاحبه وقتا يقصر أو يطول ، انما هو رفيق عزيز تتصل حياتى بحياته ، وتندمج روحى فى روحه ، فتخلق هذه الأفكار التى يخطها بدمه على القرطاس ، فاذا هى شىء حى له كيان ... وكلما بريت هذا القلم مرة ، ليهبنى لبابه ، فكأننى اقتطع من حياته ، وانتقص من عمره ، وما أنا فى هذا بجان عليه . ولا آثم فى حقه ، فذلك ما هيأته له الأقدار من تدبير ... كلانا يعيش الى حين ، وكلانا يفنى فى ميقات معلوم ... فلهذا القلم من الدنيا ايام مقسومة لا يستطيع أن يستقدم ساعة او يستأخر ، وما أنا فى موقفى منه وصنيعى معه الا يد القدر الخفى تعمل على اسلامه الى مصيره المحتوم شد ما أنا شيق الى معرفة اليد المجهولة التى وكلت اليها الاقدار أن تدفع بى فى غمرات هذا العيش ، وأن تقطع من حياتى جزءا بعد جزء ، وتنتقص من عمري شيئا بعد شىء ، حتى تسلمنى الى النهاية التى ليس من بلوغها بد

لا غرو ان أحس لتلك القهوة التى أطل عليها وجودا وحياة ، وان أستشعر ما بينى وبينها من رباط روحى وثيق لست أنسى ما تحدث به أبى فى شأن تلك القهوة ، وانا

يومئذ في بواكير الصبا ، اذ كان يقول لى رزين اللهجة : انك
يا بنى ولدت يوم ولدت هذه القهوة ، يوم فتحت ابوابها
للرواد ، يوم استقبلت صخب الحياة . . . وانه في هذا اليوم
أقيم مهرجانان فريدان ، أحدهما في البيت لمولذك ، والآخر
في الشارع لمولد القهوة ، فتواصلت الزينات ، وتعاانقت
المصاييح ، وتجاوبت أصداء الالحان ، وترنح الشارع كله
بنشوة النور والطرب والابتهاج

وهل انسى ذلك الحادث الذى وقع يوم قضت أمى نجبها ،
وأنا ابن أعوام قصار ؟ لقد أصاب أحد اركان القهوة صدع
شديد ، وكاد ينهار على الرواد ، فعجلوا اليه يقيمونه ، وكان
ذلك أول ما أشعرنى أن ثمة روحا سارية بيننا وبين هذه
القهوة ، والا فما بال هذا الركن ينقض يوم ماتت أمى ،
كانما هما على موعد للفناء

كنت أرى أبى يلزم هذه القهوة ، فهو بالجلوس فيها
شديد الولع ، حتى اذا عاد إلينا فى البيت ، سمعنا منه بعض
ما دار فى القهوة من نوادر واحداث ، يفيض فى الحديث عن
جلسائه ، وعن ذلك التادل الذى يترسل فى أرجاء القهوة
بألوان الأشربة والطلبات فى همة ونشاط ، فأصغى الى حديث
أبى فى شغف وتشوق ، كانما أنا أصغى الى روائع من القصص
والاساطير

وأصبحت على مر الأيام من رواد القهوة ، اسمع وأرى ،
وان لم اخط فيها خطوة ، اذ الممت بكل ما يدور فيها من
شئون ، وما يختلف إليها من ناس ، فلم يكن يعيننى أن
أتخيلها وانا فى مكائى من البيت ، فأحس بأنى قد اقتعدت

فيها كرسى أبى على حاشية الطريق ، وانى أترشف القهوة
أو الشاي ، واجتذب أنفاس « النارجيلة » من أنبوبها
التعبانى المديد

هكذا عرفت القهوة قبل أن تعرفنى ، وعشت فيها دون
أن تطأها قدمى ، فأكنت لها بين الجوانح أعظم الحب ،
واستشعرت لها فى نفسى سارية من الأمن والانس والارتياح
ولما فارقت عهد الطفولة ، واستطعت أن أبارح الدار
وحدى ، كان من همى أن أستبين القهوة التى ملأت على
خيالى ، وجعلت أرقبها هنيهة فى تشوف ، فلم أجد كبير
فرق بين ما رأيته منها رأى العين ، وما كنت أرسم لها من
صورة فى الخاطر

ولبت حيناً لا علاقة بينى وبين القهوة إلا علاقة عاشق
يقنع من عشيقته بنظرات يتبادلانها على البعد ، فيناجيهما
وتناجيه ، ولقد كنت أحس كأن هذا البناء يهش لى ،
ويرحب بى ، بل كأنه يعتب على فى احجامى عنه ، وتقصرى
فيما يجب له

والحقنى أبى باحدى مدارس الحى ، وكانت القهوة فى
طريق المدرسة ، فكنت أجوز بها ذهاباً وجيئة ، أردد فيها
أنظري ، وأجد لذلك أنسا ومنتعة

ويوما وأنا فى طريقى من المدرسة الى البيت ، ألفيت أبى
فى القهوة يتخذ مجلسه ، فركضت اليه ، فأجلسنى بجواره
يربت كتفى ، وجاء النادل بشاربه المنتفش ، وميدعته
البيضاء تكسو صدره ، فما أسرع أن عرفته . وطلب اليه أبى

أن يحضر لى كوبا من شراب الليمون ، فاحتسيتها سائغا لم
أشرب أطيب منه مذاقا ولا أحلى

وتعودت بعد ذلك ان أختلف الى القهوة ، اشارك أبى
بعض جلساته ، فتم التعارف فيها بينى وبين صاحبها ومن
يجتمعون الى أبى من الرفاق والانداد

وكانت القهوة ملتقى الصفوة والسراة فى ذلك الحى ،
عليها مهابة تحميها من ابتدال الواردين ممن هب ودب ،
ولم يكن فى الحى سواها من الاندية ، الا تلك المشارب التى
توصف بأنها مشارب بلدية ، يؤمها أخلاط من الناس

توافرت لتلك القهوة حقا أسباب الفخامة ، جوانبها فساح
وضوءها ساطع ، وأثاثها فاخر ، وأدواتها من نوع رفيع ،
وأمامها ساحة رحبة يصول فيها الهواء ويجول ... فإذا
جاء الصيف ، طاب فيها سمر العشى ، فرأيت المناضد
قد صفت دون الأبواب على جانب الطريق ، وغصت بها
الساحة الرحبة أو تكاد

يا له من منظر بهيج يتدفق من حيوية ومرح ، حين
يتحلق الرواد حول هذه المناضد فى الأماسى ، كأنهم خلايا
النحل ، وقد تناثرت فوق رءوسهم المصابيح الوهاجة ،
والحاكى يبعث اليهم ألحان الغناء ، وطوائف الباعة يجوسون
خلال الصفوف ليعرضوا ألوان السلع ، والمهرجون يبدون
الاعيبهم على دقات الطببول وانغام الربابات ، والحوارة
بأعاجيبهم وطرائفهم يسترعون الأنظار ، والسابلة يتقاطرون
للتفرج ، فكان القهوة فى زينتها وزخرفها حفلة عرس لا تنتهى

في ليلة او بضع ليال ، وانما هي مهرجان يتجدد في كل ليلة ،
وتتعدد فيه افانين المباهج والمسرات

وكانت أسرتنا في عهد صباى ترتع في بحبوحة من العيش
فهذا أبى يمارس التجارة في توفيق واقبال ، لا تنبو له
همة ، ولا يكل من السعى ، وبذلك استطاعت الأسرة في
هذا الحى أن تبارى كرائم الاسر في بسطة الجاه ، وان تظفر
من الجيرة بالموفور من الاكبار والاعزاز

شرع الحى بعد ذلك يستقبل موجة طارئة من التغير
والتبديل ، فرأيت بعض المنازل المتواضعة المحيطة بالقهوة
تسرع اليها يد الهدم ، وما هي الا أن تقوم مكانها ابنية
سامقة ، وتقلصت الساحة الرحبة حيال القهوة ، اذ
شيدت في أرجائها دور جديدة ، وكان المبنى الذى يقوم
فوق القهوة قليل الطبقات ، يشغل صاحب القهوة شقة
فيه ، فلما تعالت عليه الدور حوالية فقد روعته ، وبدا كأنه
قرم هزيل بين العماليق

وأصابت أبى وعكة الزمته فراشه ، وأوضح له الاطباء
أن المرض فى القلب ، ونصحوا له الا يبذل من جهد ، فتخلف
عن متجره ، ولم يكن فى مستطاعى ان اخلفه على المتجر ،
اذ كنت قد التحقت باحدى الوظائف الحكومية ، فانقطع
عن الأسرة رزق كبير ، واضطرت أن تجانب ما ألفت من
ترف وان تأخذ بأسباب الاقتصاد فى الانفاق

واشتدت العلة بأبى ، فكان لا يبارح البيت الى القهوة
الا فى الحين بعد الحين ، فأثرت ان أرعى فيها مكانه ، وحرصت

على ان اشغله ، وأن اعتز به ، حتى احتفظ لابی بمقعده
الوثير

وفوجئت صباح يوم بأتى منقول الى احد بلدان الصعيد،
ولم أجد من يعيننى على الفاء هذا النقل ، فاستجبت له ،
وقضيت فى الصعيد بضعة أشهر عانيت فيها أليم العذاب،
فأنا هنالك وحيد لا أعرف لى من صاحب ولا خدين ،
والبلد قصى معزول عن العالم الصاخب كأنى فيه حبيس ،
وكان حنينى الى « القاهرة » يزداد بى يوما بعد يوم ، ولا
يبرح مخيلتى ذلك الحى الحبيب الذى نشأت فيه ، وتلك
القهوة الأنيسة التى تزينه

وكان يفرينى بالبقاء فى هذا البلد أنى فيه رئيس لاسلطان
لاحد على ، وأن عملى فيه سبيل الى رقى سريع ، ولكن
ضيقتى بالوحدة ، وحنينى الى المدينة ، شوه فى عينى كل
هذا الاغراء

وعرفنى فى تلك الفترة عميد أسرة ميسورة فى ذلك البلد،
فرشحنى وسطاء الخير من جانبه أن أكون لابنته زوجا ،
وأن يشركنى فى أعماله الكبيرة التى تدر عليه وافر المال .
فلم أكثرث لذلك كله ، وكيف لى أن أقيم فى هذا المنفى
الموحش ؟ وإذا كنت أؤثر الخروج من الوظيفة الحكومية ،
لاقتحام الاعمال الحرة ، فماذا يحوجنى الى الناس ، وذلك
متجر أبى فى « القاهرة » ينادينى أن أقوم عليه ؟

ويوما تلقيت برقية تنبئنى بأن والدى على شفا خطر ،
فتملكنى روع ، وهرعت من فورى الى القطار ، وما كدت
أبلغ عتبة البيت حتى علمت أن أبى قد فارق الدنيا منذ

ليل ، فهالتنى الفاجعة ، ولكن مراسم الجنازة واقامة المأتم
رادتنى على ان اتجلد ، وان أضطلع بالامر كما ينبغي أن
أكون

وحانت منى وانا فى غمرة هذا الحادث نظرة الى القهوة،
فاذا هى مغلقة ، فتساءلت ، ما سر هذا الاغلاق ؟ فأعلمونى
أن تنظيم العاصمة اقتضى شق شارع فى الحى ينتقص جانباً
من مبنى القهوة ، وانه قد حان يوم التنفيذ ، فأحسست
خيرة تستبد بى . . . بالمصاب القهوة فى يوم المصاب بأبى !
وفى غد سمعت صوت المعول ينقض على جانب المبنى ،
كأنما كان يدق راسى ، وكأنما كان صوته نواحاً مع النائحات
على فقيد الأسرة العزيز

وأسرع صاحب القهوة اليها يلم شعثها ، ويرم جوانبها
لكنها أصبحت بعد ذلك الترميم والاصلاح كئيبه الشكل،
سائبة المنظر ، كأنما هى كسير بترت ساقاه ، فهو يسير
عجهم الوجه ، متغضن الجبين ، يتحامل على عكازين من
خدوع النخيل !

تعذر على أن أعود الى عملى فى الصعيد ، فكتبت الى
وزارة أرغب اليها فى نقلى الى «القااهرة» ، فلما لم
أجب سؤلى قدمت اليها استقالتى ، ايثارا منى للعمل الحر
متجر أبى

أترانى أخطأت فى هذا الصنيع ؟ لقد لامنى فيه كثير من
أولادى ، وحاول أن يثيننى عنه بعض ذوى القربى . ولكنى
سيت الرشيد فيما أنا معتزم ، فلم أعبأ بلام ، واصممت
على دون من يحاول تثبيط عزمى

لقد آن لى أن أنفذ ما تهفو اليه نفسى من برامج وخطط
أجدد ذكرى أبى فى التجارة ، وأحيا فى الأسرة حياته ، وأقو
فى القهوة مقامه ... لأحتذين مثاله ، فكأنه - بى - حى
يعصف به عاصف المنون

بيد أنى لم أوفق فى تحقيق تلك الامانى الرطاب ...
فالتجر على درجة من التدهور بالفة ، ولم املك أن أقبل
من عثرته ، وان استنقذه من يد الخسار . . . وكانت
الحيلة الاخيرة فى شأنه أن ابيعه لقاء عوض من المال
بأس به

ونصح لى الناصحون بالسعى الى استعادة وظيفتى
الحكومة ، فانتصحت وسعيت ، ولكن المسعى لم يثمر
وقد زاوت أشتاتا من الاعمال ، بغية الاطمئنان الى عمل
راتب فيه قرار ، فوقف النحس لى من حيثما اتلفت ، حتى
رضيت من الغنيمة بالاياب

ولم أجد بدا من أن أهادن السعى ، وأسكن بعض وقت
قائعا بصباغة من المال اقتضيها كل شهر من حصة فى بيع
كانت لامى ، فالت الى

وهكذا فقدت ما كنت آمله ... الا ذلك الركن الحبيب
فى القهوة الانيسة ، ركن أبى من قبل ، فهو المفزع والملاذ
فيه اقضى جل الوقت ، محتلا ذلك المقعد العظيم الذى
على الايام بعض ما كان له من صلابة وقوة ، ومن توف
وجلal ... وكيف لا يصيب التغير هذا المقعد وقد
فى القهوة كل شىء ، فهذه « النارجيلة » قد صدىء معد
الصقيل ، وبلى أنبوبها الطويل ، وذلك النادل قد تقو

ظهره ، وشاب رأسه وبدت ميدعته على صدره كأنها رقعة
في ثوبه لا نظيفة ولا أنيقة

على أن القهوة ظلت على حالها مجمع النخبة من أهل
الحى ، أولئك الرواد القدماء ، ولكن معظمهم لم يستعصموا
على الكبر ، فاذا هم مضمحلون قد تبدلوا من نشاطهم رزانة ،
ومن مرحهم وقارا وحشمة ، ومن جاههم خمولا وتخلفا ،
ومن ثروتهم قناعة ورضا

وعز على القهوة أن تستجلب جديدا من الرواد ، فقد
صبحت حبيسة محدودة النطاق بين الابنية الرفيعة ، لا
كأن تنالها الأبصار

وكنت أحاول في مجلسي من القهوة أن أسرى عن نفسى
وسعتنى التسمية ، أترشف الشاي ، واجتذب أنفاس
النارجيلة « وادفع تلك الافكار السود التى تطوف بى
من الفينة والفينة ، مؤكدا لنفسى أن كل شيء طيب ، وأن
مضاعة كنز لا يفنى ... !

وكثيرا ما كنت أستسلم - على الرغم منى - لما ينتابنى
هو اجس ووساوس ، فأحس بقلبى يذوب من لوعة
اسى ... تلك هى أسرتنا العريقة المجيدة ، يصيبها
ضعف ، ويخمل ذكرها فى الحى ، وهأنذا أندم على أن
فلتت من يدي تلك الزوجية الطيبة التى عرضت على فى
صعيد ، وعلى انى أضعت عملى الحكومى الذى كان يكفل
رقيا على الايام

أما ان أتزوج اليوم فهذا مالا يكون ... وكيف لى بالزواج
أيا أكابد مطالب الحياة ، ولا أجد من فضل المال ما
يوم بجديد من التكاليف والنفقات ؟

وهذه القهوة التي بقيت لى ... ان حالها ليبلغ
السوء مثل ما أعانيه ، كلانا كئيب يزداد على الزمن من تناقض
وانهيار ، ولا يعرف له من قرار

ما أقسى هذه الخواطر التي كانت تزدهم على رأسى
فى القهوة وحيد ، فاذا أقبل أصدقاء القهوة الاوفياء لها
ساعة الاصيل ، رأيتهم على شاكلتى يشكون كما أشكو
وان لم تنبس أفواههم بكلام

أولئك الذين كانوا بالامس يتباهون بالصحة والشباب
والاقبال ، لا أجد اليوم منهم الا منهوكا عجلت اليه
الشيخوخة ، أو زعزعه المرض ، أو ثاقلت عليه
العيش . ليس منهم أحد الا وقد عبثت به خائنة الزمن
وأحدثت فيه مأتما بعد عرس

كنا جميعا نجلس متقاربين حول المناضد ، نتذكر
الصفو والهناء من حياتنا الخالية ، اذ كانت القهوة تنبسط
لقصاها ، وتعج بروادها ، كأنها غانية فى فتنه الشباب
وجدة الاهداب

يا لى من هذه الذكريات التي تتوارد على الآن ، وأنا
فراشى مسجى ، أرتقب الحين المقدور
انها ذكريات تأخذ على مسارب الانفاس ، وكأنها
تنفث سمومها فى مهجتي ، فتكاد تعوق قلبى عن متاع
الخفوق

رويدك أيها القلب الملتاع ...
امهلنى دقائق حتى اتجرع بضع نقط من دواء ، فليس
لك انعاش

ها قد تناولت الدواء ، وان قلبى ليعاود نبضاته فى انتظام ،
انى لاستشعر هداة وسكينة ، وما أحسبها الا بوادى الراحة
كبرى ، راحة الصمت الى الابد

غدا يطبق الظلام على كيانى وعلى القهوة جميعا
غدا يهبط كلانا فى الهوة السحيقة التى لا مفلت منها
فائن وان تراخت به الايام

لرمت الدار منذ فترة لا أبرحها فى صبح أو مساء ،
ست فى هذا بعابث ، فأنا لاشك مريض ، وأن مرضى
ضطررنى الى هذا الاعتكاف

لقد حرمت نفسى الذهاب الى ركنى الحبيب من القهوة
نيسة ، فانظر ماذا أعانى من وحشة وانقباض ؟!

شد ما هى عصابة تلك الاوقات التى أقضيها فى الدار
أزجى ما بقى لى من ساعات فى هذه الحياة ، واعدتها
تبراعة بعد ساعة

هأنذا أتوارى عن أنظار الخلق اجمعين ، وأسدل على
بنى ستارا كثيفا يحجب عنى كل شئ فى تلك الدنيا
خداعة الفرور

لا أريد أن تكون لى صلة بمجتمع الناس
لا أريد أن تنهاى الى سمعى تلك الانباء المفزعة التى
مناقونونها فى شأن القهوة ، اذ يقولون أنها على وشك
انقراض ، وأن كنت على الرغم من ذلك أشد ما اكون
سوف الى سماع هذه الانباء ، كما يتشوف السجين اليأس
فى سماع الحكم عليه ، وان كان الحكم بالاعدام

أيتها القهوة العزيزة ... انى لاحبك وأرهبك فى آن

لكأن فيك روحا خفيا يعمل على أن يبيدنى ويدنى من
الفناء كيأني

ليس عليك في ذلك ملام ، فكل شيء في هذا الكون يحمل في
رسالته من خير أو شر ، ويؤديها بالطوع أو بالكره ، ثم يأوي
الى غيابة النسيان كأن لم يكن بالامس

لا ، أيتها القهوة العزيزة ... لا أريد أن أسمع من
أخبارك شيئا بعد اليوم ، وكفى ما قاسيته من هذه الاخبار
لقد أصابتني اول نوبة قلبية يوم علمت نبأ الحجز على
متاعك ، وفاء للدين الذي تراكم على كاهلك ، ومنذ ذلك
اليوم وانا طريق فراشي لا أغادر الدار

واليوم أعلم أن موعد البيع صبيحة غد ، وان المبنى كله
سيهدم عما قليل ، ليقوم على أرضه بناء يطاول السحاب
جديد

واحر قلباه ... كيف تتابعث الاحداث على هذا النحو
حتى أسلمتنا الى ذلك المصير ؟

هذه القهوة استطاعت أن تغالب ما صادفها من رزا
ومحن ، فاجتازت سنوات الحرب في صبر واحتمال
وسلمت لنا تواتينا بالسلوة والمتعة والايناس ، حتى ظننا
أن الدهر قد هادننا في شأنها ، وانه سيبقى علينا وعليها
فما لهذا الامل الذي داعب نفوسنا تقضى عليه تلك الفث
الناجمة التي اطلقوا عليها لقب : « أغنياء الحرب » ؟!

لقد ظهر بيننا فجأة هؤلاء الاغفال المتبجحون ، فعكروا
صفو هذه البيئة الطيبة الهادئة ، وانبعثوا يقلبون الاوضاع
ويسلبوننا اعز ما نملك بما توافر لهم من أموال غزار

لكأنهم غزاة واغلون ، يزحموننا على الامكنة الرفيعة في
الاجتماع ، فيقصوننا عنها في سطوة ، ويحتلوننا دوننا في
الجرأة ، وانهم ليتقدمون الصفوف ليكونوا سادة المجتمع الحديث
في الثروة والجاه والسلطان

وها نحن اولاء ، أبناء المجد التالد والعزة القعساء ، لا
ملك ازاءهم الا ان نتحنى لهم عن الطريق ، وكيف ندافعهم
وقد بلغ بنا الهزال كل مبلغ ، واصبحنا معهم فقراء لا
نستطيع مكائرتهم فيما تمتلئ به ايديهم من فضة وذهب !
لقد كنا منذ عهد قريب نشهد هذا الصنف العجيب من
اغنياء الحرب ، وهم يضربون في الأرض ، نافخين اوداجهم
من الشبع ، مصعرين خدودهم من الكبرياء ، متفاخرين
بالخلل القشبية والخلى الغالية والسيارات الفارهة ، مزهوين
بانهم ينثرون المال يمنة ويسرة ، كأنهم يمتحون من نبع
لا يفيض

وما أسرع أن رايناهم يتتبعون مواقع الارض في كل
ناحية ، فاذا هم يشيدون عليها الابنية الشاهقة بأيدي
ساحرين ، كأنهم يفرسون في الارض بذورا لا تلبث أن تكون
اشجارا فينانة في لمح البصر

كان منهم نفر يحدجون القهوة في مفداهم ومراحهم
بالنظر الشزر ، يستهزئون بها وبمن يؤمها من الرواد ،
ويتناقلون عنها وعن روادها الوانا من النكات والاضاحيك
لكننا نسخر منهم في ترفع وازدراء

ماذا في القهوة يستوجب هذا الاستنكار ؟
لكن ضئيلة الرقعة ، فحسبها أنها تتسع لروادها

الكرام المنبت ، ولتكن هزيلة الاضواء ، فانها لأبهج في عيون
روادها من كل ضوء ساطع وهاج ، وليكن النادل
فيها قد تفضن وجهه ، وتهدل شاربه ، وبلبت مبدعته ،
فانه مازال بقلبه الكبير وروحه الانيس يفيض على الرواد
ما يحبون من رضا وصفاء

هذا مقعدى الخيزراني قد تقوضت أركانه ، ولم يستطع
أن يقوم بنفسه ، فأسندته الى الحائط يدعمه ، ولكنه ما برح
رفيقى الذى أحس به يبسط لى ذراعيه ، ويفسح لى من
جوانبه ، فأطمئن فى جلوسى عليه اطمئنانا لا يتيح لى سواء
من وثير المقاعد

ليت هذا النفر من اغنياء الحرب قد اقتصر على النظر
الى القهوة بعين الازراء ، واكتفى بالنكات يصبها عليها وعلى
روادها الكرام ، ولكنه أبى الا أن يقضى على القهوة وعليها
فى غير هوادة ولا مرحمة

غدا تباع القهوة استيفاء لما ركبها من دين
غدا يمزق متاعها شر ممزق ... ولن يكون مصير
المقعد الحبيب الذى صافانى وصايفته زمانا الا أن يذهب
طعمة للحريق !

غدا يهوى المعول على مبنى القهوة ، فتنهار جنباته تحت
الضربات الثقيل ، طاوية معها صفحة من روائع الذكريات
غدا ينسدل الستار على حياة ذلك المكان العزيز
وغدا أيضا يمسك قلبى عن خفوقه ، ليطوى صفحة
أيامى فى هذا الوجود !

ياسادة ياكرام

القلب وان كان قاسيا يحن الى
المغفرة ، الى العفو عن الخطيئة ،
وهو في ذلك يسمو بعاطفته ، حتى
يصبح جديرا باسم « الانسان »

ال
ص
يا
لا
ال
٢
ال
س
بع
الا
ح
تم
بم
الن
بالا

على مصطبة رحيبة من دار متواضعة ، في قرية « كفر
النعام » جلس الشيخ « صفوان » يصيب فطوره مع
صديقه الحميم الشيخ « موهوب » ...

وكان الشيخ « صفوان » في هذا الصباح يحس بالهم
يدخله ، فهو حزين النفس ، مطرق الرأس ، نظراته قلقة
لا تعرف لها من هدف ، تراه وقد انبسطت يده الى صفحة
الطعام ليتناول منها مضغة يدسها في فمه ، فكأنك ترى
آلة تتحرك دون أن تعي

وبينما هو كذلك ، اذ اقبلت عليه خادمته العجوز « أم
الخير » ، وما لبثت أن مالت عليه تلقى في أذنه كلمات ، فلما
سمعها الرجل اهتز في مجلسه ، وبرقت عيناه ، وتناول
بعنقه يقول جهر الصوت :

— ابنتي « حليلة » عادت ؟ ... لا أعرف لى ابنة بهذا
الاسم ... اليك عنى يا امرأة ... اغربى عن وجهى والا
حطمت عصاى فوق رأسك ..

وانسرحت يده تتلمس العصا حواليه ، فأسرعت المرأة
تمضى عنه في خشية وفزع

ولبت الرجل مأخوذا يطبق عليه صمت ، وقد رجع
بمخيلته القهقرى سنوات يعرض من ماضيه تلك الصفحة المخزية
النكراء ، صفحة ابنته وقد زلت زلتها الكبرى فألحقت
بالأسرة عار الابد ... تفريط في العرض ، وراءه حمل أثيم !

كان هذا منذ سنين عشر ، وابنته يومئذ لم تجاوز السادسة عشرة ، ففادرت القرية باثمها الى غير رجعة ، وخلفت له ذكرى مريرة ، طالما شقى بها ولاقى منها الويل والثبور

وازهرت عين الشيخ « صفوان » ، واذا هو يلتفت الى جلسه الشيخ « موهوب » يقول له متهدج الصوت ، ملوحا بيده :

— اى ابنة تلك التى عادت ؟ ان ابنتى ماتت منذ زمان ... لم يعد لها فى الارض وجود !

وحاول الشيخ « موهوب » ان يسكن من روع صديقه ، وان يرد اليه طمأنينة نفسه ، حتى يستأنف طعامه ، فكان الشيخ « صفوان » يلوك اللقمة فى فمه ولا يكاد يسيغها ، وهو ناكس الرأس ، خافض البصر

ولم يجد الشيخ « موهوب » بدا من أن ينصرف عن المجلس ، تاركا صديقه على مصطبته ، لعل السكينة تراجعها فى خلوته ، فبقى الشيخ « صفوان » وحده طويلا تعبت به الذكريات ، حتى ألقى عينيه تجودان بالدمع

وضرب الرجل يده فى صدره يخرج مصحفه ، وفتحها امامه يريد ان يقرأ ، فاذا هو شارد النظرات لا يستطيع الى القراءة من سبيل

وتراءت « أم الخير » على مقربة من المصطبة ، وهى تتدانى من الشيخ « صفوان » على تخوف وحذر ، حتى أخذت بقدمه تدلكها فى سكون ، وأحس الرجل وجودها فصاح بها يقول :

- اياك ان تحدثينى عنها أى حديث ...

فتشبت المرأة بعباءته مستعبرة تقول :

- رحماك يا سيدى رحماك !

- لا اعرف شيئاً اسمه الرحمة ...

وبدا الرجل كأنما اكتسى وجهه باللهب ، وأوصاله ترتجف ، فاستأنفت المرأة تقول :

- انها فى دارى ترتقب اذنك ، وترجو عفوك ، ولولا خشيتها منك لقدمت عليك ، تعفر وجهها بتراب رجلك فانحنى الرجل عليها يدفعها بقوة ، وهو يقول :

- انصرفى عنى يا امرأة ... *

- انها تبغى ان تراك قبل ان تموت ... انها فى النزاع الاخير !

- فلتذهب الى الجحيم ...

- لقد جاءتك نادمة تائبة تأمل ان تموت بين ذراعيك وانطلق الرجل نائراً كالبركان لا يعرف لخطواته قصداً ولا وجهة ، والهواء يلفحه كأنه أنفاس موقد يتضرم ... وكان يخيل اليه فى اثناء سيره أن هتافات تحيط بسمعه قائلة له :

- « حليلة » عادت ... « حليلة » عادت ...

وان هذه الهتافات تتوافق هى وخفقات قدميه على ايقاع واحد ، وأحس ان تلك الجملة تشيع حواليه ، ويتسع نطاقها دونه ، فسمعها من حوافر الدواب ، ومن حفيف الشجر ، ومن كل ذى حركة او نائمة فى عرض الطريق ...

فاذا مر به أحد من الناس ، فألقى عليه السلام ، أو كلمه في بعض الامر ، حسبه يردد تلك الجملة التي تحاصره ... وكذلك انقلبت الدنيا بأسرها أفواها تنهى اليه عودة ابنته « حليلة » ، فهو يسمع النبأ رنيناً في هيكل جسمه ، وهو يحسه أصداء تتجاوب بها جوانحه !

وظل الرجل يتخبط في مسيره على غير هدى ، وفي وجهه علائم قلق واضطراب تثير الاشفاق ، وعن له أن يتوخى القهوة ، عسى أن يسرى عن نفسه بالجلوس فيها بعض ساعة ، فحث خطاه اليها ، كأنه منها على موعد يخشى أن يفوته ، فلما بلغها طلب قدحا من القهوة ، وقصبة من الدخان ، ولكنه لم يجد للقهوة مذاقا طيبا يرضاه ، وكاد دخان القصبة يخنق أنفاسه ، فأنحى على غلام القهوة ثائيبا وملامة ، ورمى اليه بالقدرح وبالقصبة في سخط وحنق ، ونهض من فوره يطلب الفرار

وانتهى به السير الى رأس التربة ، فاقعد حافتها يتأمل في مائها الرقراق ... فاذا هو يذكر حياة ابنته في القرية ، كيف كانت في عصر الطفولة ؟ كيف كان يحملها معه الى السوق ؟ كيف كان يجلس اليها ليحكى لها طرائف القصص ؟ كيف كان يلحظ من شأنها أنها غريرة طيبة القلب لا تعرف الدهاء والكيد

ويل للناس من الناس !

لو كانت « حليلة » من أولئك البنات اللواتي يعرفن اللؤم والخبث ، لما استطاع أحد من الاوغاد أن يخدعها وان يريد لها على غير ما يجمل بها أن تفعل ، ولكنها وقعت

فريسة الخديعة والمكر ، وهى بريئة النفس ، سليمة النية ،
مطواع !

انها توشك أن تلفظ النفس الاخير ، وانها لترجع تائبة
نادمة تبغى أن تموت بين ذراعى ابيها الحنون ، وانها الآن
فى بيت « أم الخير » تنتظر من الاب أن يعطف عليها بنظرة
... بذلك تحدث « أم الخير » الى سيدها الشيخ « صفوان »
لتقنعه بأن ينثنى عن عزمه ، وان يغفر لابنته ماسلف ، ولكن
هيهات ! ...

وسلك الرجل طريقه الى بيته ، ليسكن اليه فى ساعة
الظهيرة ، بيد انه الفى نفسه على غير قصد حيال بيت آخر
يعرفه حق المعرفة ... واذا هو بالباب مقيد الخطو لا
يستطيع البراح

واراد أن يقول :

— اين انت يا « أم الخير » ؟

فخانه صوته ، واذا هو يصرخ من اعماق قلبه :

— اين انت يا « حليلة » ؟

وسمع صوتا ضعيفا يجيبه :

— انا هنا يا أبى !

فاتحتم الباب وهو يركض ، ووضع له شبح هزيل على

الارض ملقى ، فارتدى عليه يناجيه :

— « حليلة » يابنتى ... « حليلة » يا حبيبتى !

واشترك كلاهما فى بكاء وانتحاب ، ثم أخذ الرجل ابنته

الحنطرة فى حضنه ، فاستشعرت هدوءا يغمر نفسها

الحرى ، ودبت فى جسمها الحياة من جديد ، فتعلقت بصدر

أبيها كأنما تخشى أن تفقده من بعد ، وظلا معا صامتين
يتركان لروحيهما أن تتلاقيا وأن تتصافيا في غير جلبة ولا
ضجيج ، وأسبل كلاهما عينيه ، فاستخفى من حوليهما كل
شئ ، وانسل بهما الزمن فترة ، يسمح عنهما ما خلفته
لهما الايام من خزي وألم ، ويردهما الى عهد نضر كله
بشاشة وبهاء

وهمهم الاب يقول :

— سنذهب معا الى السوق لننتقى من الحلوى ما تحبين
... هاك الجاموسة فخذى زمامها وقوديهما الى حيث
تشائين !

فأجابت « حليلة » في صوت كأنه خطرات النسيم :
— السوق ... الحلوى ... الجاموسة !

ثم غشيها الصمت لحظة . وما لبثت أن عادت تهمهم :
— هلا رويت لى يا أبى قصة من قصصك المحببة ...
وتراخت اوصال الاب وابنته ، وملكت عينيها غفوة
حالة ... واذا الرجل يقول :

— ... كان ما كان ، يا سادة يا كرام ، لا يحلو الحديث
بذكر النبى عليه الصلاة والسلام ... كان الشاطر «حسن»
يحب « ست الحسن والجمال » ... !

وقبيل مغرب الشمس ، خرجت من بيت « أم الخير »
جنازة ضئيلة ، متخذة في سيرها الى ربوة المقابر طريقا غير
مألوف ، حتى لا تنأهبا العيون !

وعاد الشيخ «صفوان» الى داره فى دجوة الليل ، بعد
أن نفض يديه من تراب ابنته ، وهو يردد :

— سبحان الحى الذى لا يموت —

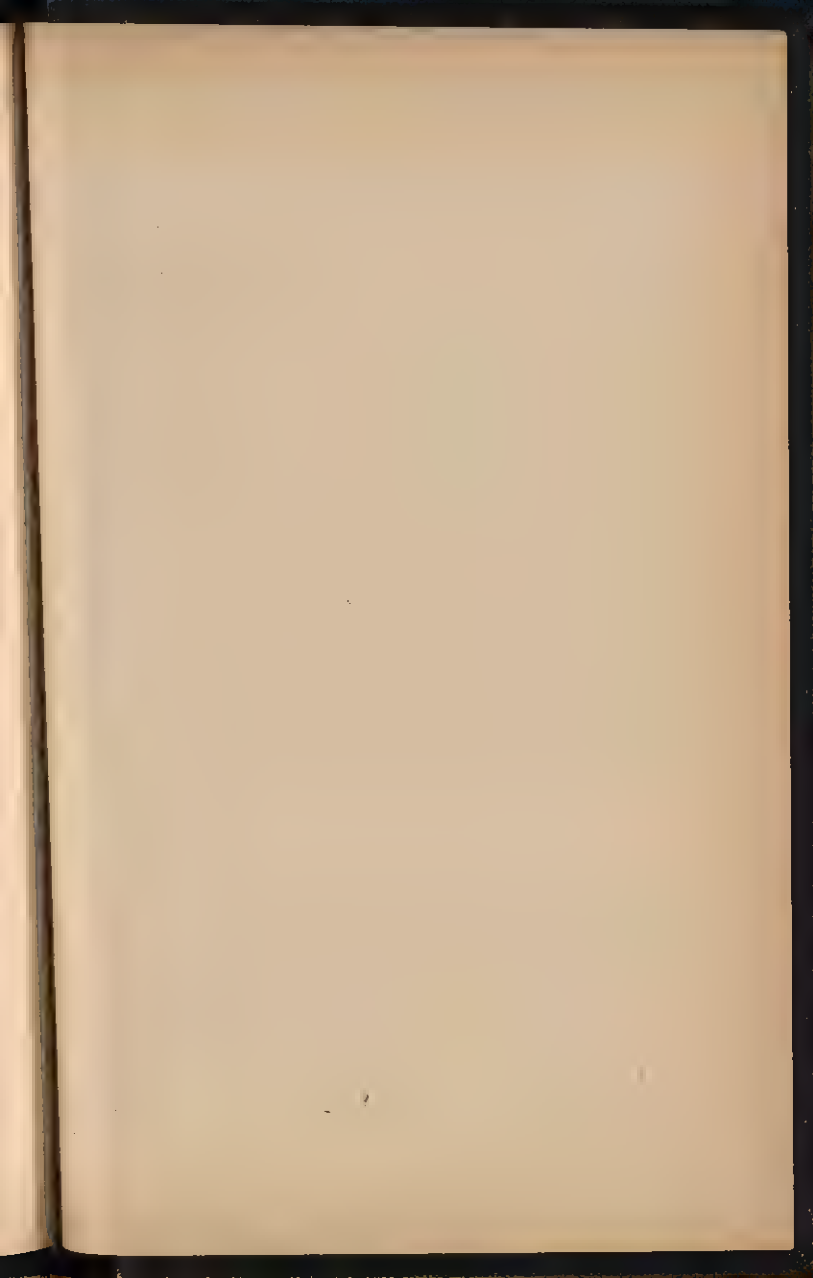
وفى الظهيرة من غد ، نودى لصلاة الجمعة ، فقصد الشيخ «صفوان» مسجد القرية ليؤدى الصلاة مع الناس ، وصعد الخطيب منبر المسجد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم انبرى فى خطبته يحث المؤمنين والمؤمنات على الصون والعفاف ، ويذكر ما أعد الله للمفرطين والمفرطات فى الاعراض من انكال وجحيم ، وطعام ذى غصة وعذاب اليم ...

وهنا التهبت مسامع الشيخ «صفوان» وهو ينصت للخطيب المتحمس ، وألفى نفسه يصيح بأعلى صوته :
— ليس لك أيها الرجل أن تتحكم فى مصير الناس... أنك لا تدري من العاصى ومن المطيع ... الله وحده يعلم السرائر وما تخفى القلوب ...

فأمسك الخطيب عن الكلام يتبين من الصائح ؟ واجتمع الناس على الرجل يسكتونه ، فراح يتابع قوله محتسدا النبرات :

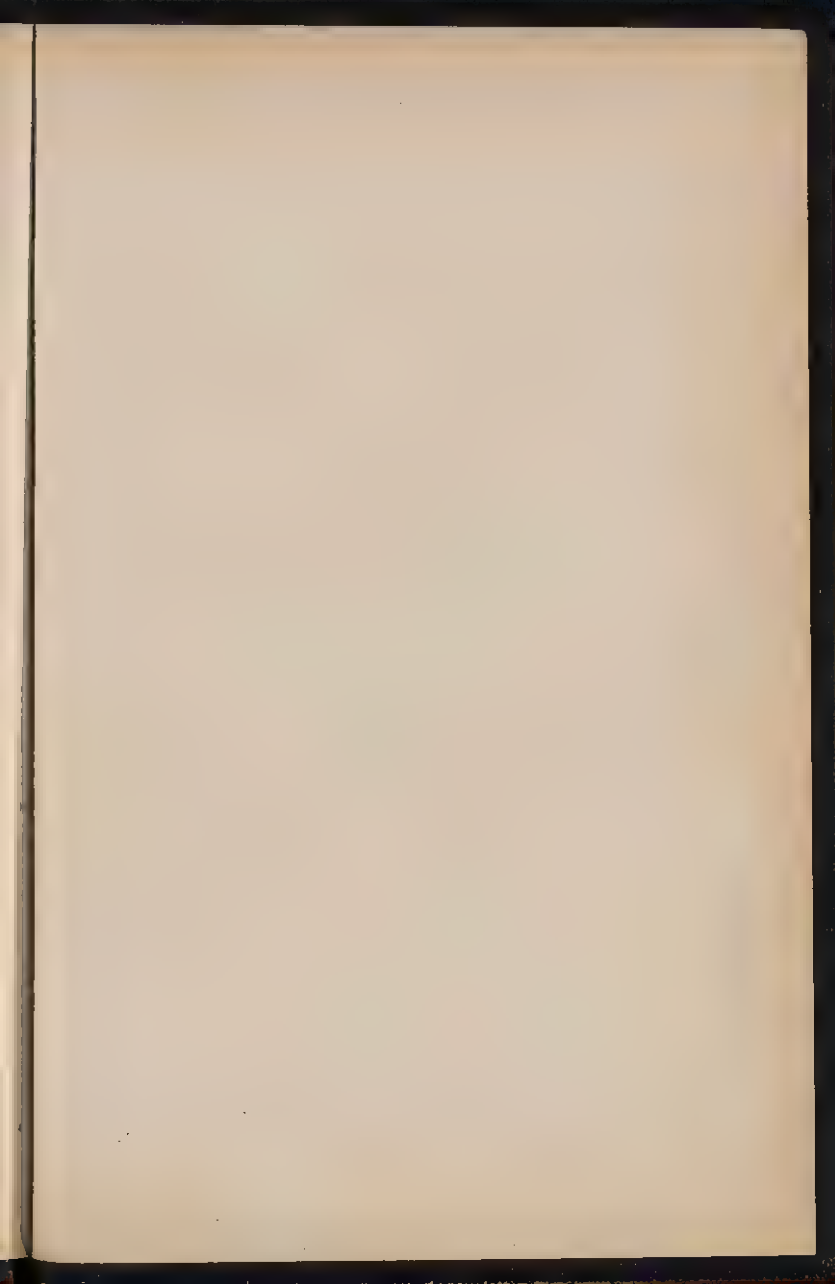
— الناس كلهم منافقون .. لا أريد أن يتكلم عن ابنتى أحد ... انها طاهرة الديل ، طيبة القلب ... لقد ماتت بين يدى تائبة ..

واختلط منطق ، وزاغت عيناه ، وتشنجت أوصاله ، فدفعه الناس الى باب المسجد دفعا ، وما أن بلغه حتى خارت قواه ، فسقط على الارض يهذى ، وعند رأسه صديقه الشيخ «موهوب» يروح له وجهه ، ويمسح الزبد الذى تساقط على جوانب فمه ...



ساق من خشب

كيف يشقى وبجانبه من
لا يشاطره الشقاء ؟ أن غريزته
لتريده على أن يحس غيره بما
يحس من آلام ، فتسكن تأثيرته ،
ويسعد ... بشقاؤه !



فى حى « الحمزاوى » كان يقوم المنزل الصغير المتواضع الذى أمضيت فيه عهد الطفولة والشباب ، وكان قبالة المنزل حانوت لتجليد الكتب ، نشأت أراه فى شكله العتيق عليه غبرة ، وقد كسيت وجهته كلها بأبواب كثيرة النوافذ معتمة الزجاج ، على أن أغلب الواحها الزجاجية قد تحطم فاستبدل به الورق المقوى

واذكر أنى كنت بادئ بدء — وأنا طفل — أرهب هذا الحانوت إيما رهبة ، ولا أخاله الا جبا تؤمه العفاريت ... اذ كان ظاهره أقتم عليه سيماء العبوس ، وكان مدخله حالك الظلمة ، لا اتبين فيه الا اشباحا تتراقص فى جيئة وذهوب

بيد أنى سكنت على مر الايام الى مرآه ، وتعرفت من يعمل فيه

هما اثنان : رجل و غلام ...

أما الرجل فهو صاحب الحانوت ، اسمه «محمد عوف» له قامة مديدة ممتلئة ، وصدر عريض مفرطح ، وذراعان مفتولان ، ووجه مستدير مشرب بحمرة ، وشارب فاحم غزير ... على هذه الصفة رأيتة أول مرة ، وظللت أراه عليها خلال الفترة التى قضيتها فى الحى معه ، بل لقد كنت أجده يزداد على السنين من فتوة وقوة ، ويتوهج فى عينيه ذلك البريق السحرى الذى يسلطه على الناس ،

فيرهبون سطوته ، ويخشعون لسلطانة

وأما الغلام فاسمه « عبد العزيز » وهو صبي صاحب الحانوت ، يساعده في عمله ، ويؤدي له مطالبه ، وكان في نحو الخامسة عشرة من عمره ، ولكن من يراه في ضموره وقصر قامته يحسبه لم يبلغ عامه العاشر . وكان متطاول الوجه ، كاسف اللون ، ذاهل العين ، موصول الصمت . . . إذا مشى أمامك مشيته الراتبة ما شككت لحظة في أنه دمية من الخشب تتحرك بلولب . . . وقد نشأ هذا الغلام يتيما فاقد الرعاية ، فكفله المعلم « عوف » في بيته ، وعلمه صناعة التجليد في حانوته ، والزمه ظله كالآلة الطيعة يحركها كيفما شاء دون عناء

وتم بينى وبين الغلام تعارف ، إذ كان يجلس بعض وقت على دكة خشبية بجانب الحانوت يستريح ، فإذا صادفته كذلك في أوبتى عصرا من المدرسة ، ذهبت إليه ، فشاركته مجلسه ، وجاذبته القول ، وكنت أسأله عن شأنه فيوجز الجواب

ولما استوثقت الصداقة بينى وبينه ، جعلنا نتهادى مختلف الأشياء ، أشركه فيما أشتري من صنوف الحلوى أو المرطبات ، ويقدم هو الى بعض دفاتر صغيرة يصنعها بنفسه من قصاصات الورق التى تتجمع فى الحانوت من بقايا أعمال التجليد ، وكثيرا ما كان يطبع اسمى بماء الذهب على بعض كتبى المدرسية

وبينما انا خارج من منزلى بكرة يوم التمس الطريق الى المدرسة ، اذ ألفت « عبد العزيز » فى منصرفه من

الخانوت ، على غير عادته ، وهو ممتقع الوجه ، كليل النظر
يكسو عينيه ذبول ... فعجبت من أمره ودنوت منه أسأله :

— ماذا كنت تصنع في الخانوت يا « عبد العزيز » ؟

فأجابني شارد النظرات ، كأنه في أعقاب حلم :

— لقد قضيت ليلتي في الخانوت ؟

— وحدك ؟

— نعم

— في هذا الجب المخوف ؟

— نعم .. وبلا نور !

— ولم سجننت نفسك هذا السجن الفظيع !

— بذلك أمرني معلمى

— ألم تخف ؟

— لقد كلفنى أن اقضى الليل ساهرا ففعلت

— ولماذا ؟

فأطرق يهمهم :

— عاقبنى على إهمال منسوب الى

فحاولت أن استزيده ، فاقتضب الكلام ، كأنه ليس

عنده ما يقال ...

وتزايل عنى ما كنت استشعره من فزع لهذا الخانوت ،

فقد دخلته أزور صديقى فيه أثناء مغيب معلمه عنه ، وكانت

الظلمة لا تنجاب عن أرجائه حتى في رابعة النهار ، وكنت

أخذ مجلسى قريبا من الباب على مقعد خشبى انظر الى

« عبد العزيز » وهو يعمل ، وأتحدث اليه في الفينة بعد

الفينة ، فيبادلنى الحديث في اختصار واقتصار ، على حين

يرتب الكتب على منضدة التجليد ، ثم ينزع عن كل كتاب غلافه ، ويخيطه على اسلوب فنى اشبه بالنسج على المنوال وكانت نفسى تهتاج اذا رأيته يعمد الى قص اطراف الكتب بالآلة القاطعة ، وهى ذات شفرتين عريضتين مسنونتين تعملان فى اطراف الكتب ما تعمل المقصلة فى رقاب المجرمين ولشد ما كنت ارهب هذه الآلة واتنكب عن مكانها فى الخانوت ويوما قلت « لعبد العزيز » :

- الا تخشى على نفسك من هذه الآلة القاطعة ؟
- فعبرت فمه ابتسامة ، وأجاب ويده تلاطف حديدها :
- وفيم الخوف ؟ انها صديقتى التى لا تؤذينى
- وماذا يكون الامر اذا انطبق حدها على يد انسان ؟
- لا ريب انها تقطعها فى الحال
- أحدث شئ من هذا لاحد من العمال ؟
- ربما حدث .. فى النادر !

وجاء يوم عرفت فيه المعلم « محمد عوف » نفسه صاحب الخانوت ، فأغرانى اول الامر بتجليد بعض الكتب المدرسية ، ثم جعل يتولى تجليد ما عندى من كتب روائية وكنت بالقصص مشغوفاً ايما شغف ، ولما نضب هذا المعين لم أجد الا الدفاتر والكراسات اكل اليه تجليدها ، والرجل يواصل اغراءه لى ، وكنت لا أستطيع لنفوذ نظراته وخلاصة اقواله ان ارد له مطلباً ، أو أعصى له نصحاً ...

والفت بعد ذلك الا آنس بالكتاب اذا كان غير مجلد ، وأصبح ذلك هوساً تمكن من نفسى واستحكم ، ومازلت حتى الساعة أشعر بشئ من سلطانه على

ولزام أن أنصف المعلم « عوف » فأشهد له بالنبوغ في فن التجليد ، إذ كانت له فيه أساليب مبتكرة تدل على شدة حذق وصفاء ذوق ، ولذلك اتصلت معاملتي له ، فلم أتركه الى غيره ، حتى بعد أن اتممت الدراسة ، وخرجت الى غمرات الحياة

وكان مبلغ علمي أن المعلم « عوف » يتخذ له مأوى في منزل صغير عن كثب من الخانوت ، لا يساكنه في مأواه الا صبيه « عبد العزيز » ، إذ توفيت زوجته منذ أعوام ، ولم يكن له منها ولا من غيرها عقب ، فعاش فردا مع صبيه لا يكاد يزور قريبا أو يزوره قريب

وطوحت بي ضرورة العمل الى « الاسكندرية » ، فنقلت اليها أسرتي ، ومكثت هنالك زهاء خمس من السنين ، لم أهبط خلالها « القاهرة » مرة

وقدر لي بعد ذلك أن أعود ، فاتخذت في « القاهرة » مسكنا في غير الحى الذى شبيت فيه ، ولكن سرعان ما خطر لى أن أقصد ذلك الحى القديم ، وأن أزور فيه صديقى المعلم « عوف » وصبيه « عبد العزيز » ، وأن أحمل معى مجموعة من الكتب للتجليد ، وما أن طرقت الخانوت حتى لمحت « عبد العزيز » وحده فيه ، وقد بدت عليه سيمااء الرجولة فنبت له شارب ، بيد أنه ظل على حاله ضامر العود ، مهزول الاوصال ، جهم السحنة ، فلما رآنى خطا نحوى خطواته الآلية ، يمد الى يده الصلبة ، وعلى فمه ابتسامة باردة ، فهششت له ، وأقبلت عليه أضافحه ، وصحت به :

— أمازلت فى الخانوت يا « عبد العزيز » ؟

- وهل خطر ببالك يا سيدى أن أتركه ؟
 - حسبتك أصبحت معلما له حانوت وصبيان
 فقفر فاه مدهوشا يقول :
 - أنا أصبح صاحب حانوت ؟ أنا أترك معلمى ؟
 - اتظل صبيا طول عمرك ؟
 فقبل يده ظهرا وبطنا ، وقال :
 - الحمد لله على كل حال !
 فقلت له وأنا أبعثر نظراتى فى الحانوت :
 - وأين المعلم « عوف » ؟
 فاكتسى وجهه بسحابة كدراء ، وأطرق لايحيب ، فعجبت
 من أمره ، وقلت أسأل :
 - ماذا ، لا قدر الله ؟
 فرفع « عبد العزيز » رأسه ، وقطرات الدمع تحبو على
 خديه ، واجابنى مختنق الصوت :
 - انه مريض يا سيدى
 - وهل مرضه مميت ؟
 - كلا ...
 - اذن فيم بكاؤك ؟
 فدنا منى وأخذ بيدى يشد عليها وهو يهمس :
 - لقد أصبح كسيحا يا سيدى ...
 - كسيحا ؟ .. وكيف ؟
 - سقط من « الترام » سقطة بترت ساقيه !
 - يا للهول !
 وأمسكت عن الكلام لحظات ، وأنا أفكر فى شأن هذا الرجل

المنكود ، وفيما يعانيه الآن من ذلة وانكسار ، وقد كان ذلك الجبار الذى يبيت الهيبة حوله أينما سار ورفعت بصرى الى « عبد العزيز » أسأله محزون النبرات :

— اما زال يسكن فى منزله القريب من الحانوت ؟

— مازال يا سيدى ...

— اريد ان أزوره .. هل لك ان ترافقنى ؟

— انا طوع أمرك

وخرجنا من الحانوت ، وتوخينا منزل المعلم « عوف » ، يتقدمنى « عبد العزيز » ليدلنى على الطريق ، فما اجتزنا الباب حتى صعدنا سلما من خشب ، أفضى بنا الى ردهة صغيرة معتمة تنبعث منها رائحة تزكم الانف ، ولم أكد اتخطى عتبة القاعة حتى انتهى إلينا أنين كأنه زمزمة الاسد الحبيس ، فالفيتنى أمسك عن السير ، وقد تمشت فى نفسى رهبة ، وملت على مرافقى أهمس :

— هو ذلك الذى يتوجع ؟ ...

فأوما برأسه ، وساقنى الى مخدع معلمه ، فاذا الرجل مستلق على حشية عريضة ، وقد أحاطت به وسائد ، فتقدمت اليه أصافحه وأقول :

— الحمد لله على سلامتكم يا معلم ..

فلاطف يدى يشكر لى ، وفمه ترسم عليه ابتسامة كئيبة ، وغمغم خشن الصوت :

— الحمد لله .. الحمد لله !

وكانت الحجرة ساطعة الضوء ، فاستطعت أن أرى الرجل

حق الرؤية ، وأن لاحظ ما طرأ من تغيير عليه ، لقد ضخّم جسمانه ، وترهل جلده ، وبدت لحيته كثة مهوشة . ولكنه مع ذلك متورد الوجه ، بارز الصدر ، مفتول الذراعين ، أما عيناه فهما على نحو ما كانتا من قبل ، بل لقد ازدادت مقلتاها من توقد واضطرام

ولبت الرجل يرحب بى ، ويسألنى عن مغيبى ، ثم انطلق يقص على ما كان من نبأ الحادث الذى أودى بساقيه ، وكان « عبد العزيز » فى أثناء ذلك قد صنع القهوة وجاء بها الى ، ولما فرغ المعلم من حديث الساقين استأنف يشكو ويتذمر ، فيقول :

— لقد أصبحت لا أطيق الحياة .. انى فى سجن كرية أمضى ما بقى لى من أيام ... لماذا لم يقض « الترام » على كل القضاء ؟ ...

ورمى الرجل بنظرة من عينيه الى « عبد العزيز » وهو يشير اليه فى عنف ، فرأيت الفتى ينتفض من فزع ، ويحنى رأسه فى خضوع ، فجعل المعلم يقول :

— وهذا .. هذا الواقع امامك الذى تعبت فى تربيته وتعليمه حتى صار رجلاً يفخر بنفسه وبصنعتة ، هذا الذى ظننته ابناً لى يعرف حق أبوتى ، أو قريباً لى يعرف واجب القربى ... لقد انكشفت حقيقته أمامى ، فاذا هو جاحد فضلى عليه ، منكر جميلى له .. أقسم أنه مسرور بما أصابنى ، وانى لاقرأ السرور فى عينيه .. انه يرقبنى وأنا أتنقل من مخدعى أزحف على يدي ، فتمتلىء نفسه شماتة بى ، وكأننى أسمعها يقول : « أزحف على يديك ،

فقد أصبحت بلا ساقين ! » ... ويحك من دنىء يا « عبد العزيز » ... ولكن لماذا لا تتعالى على ، ولك ساقان سليمتان لملك تفكر فى أن تركلنى بهما ؟ ... تعال افعل ، ولا حرج عليك ! .. ألسـت الأمر الناهى فى منزلى ؟ ألسـت سجانى ؟ تعال اقذف بى من هذه النافذة ، فقد أصبحت لا أملك عن نفسى دفعا ... وماذا أستطيع وأنا مبتور الساقين ؟ انى لاجدك شديد التباهى بنفسك يا محدث النعمة ، وأراك تسير مختالا كأنك تقول لى : « أين أنت ايها الكسيح منى أنا الصحيح ؟ رأسك الى الارض وأنت زاحف . ورأسى الى العلاء وأنا أسير ! » ...

ولبت فمه يتدفق بهذا التأنيب والتقريع ، وأنا فى لجة من الدهشة ، لا أدرى كيف أهدىء روع الرجل وأسرى عنه ، أنظر اليه تارة فأراه كالبركان الثائر يقذف بالحجم ، وأرجع النظر كرة الى « عبد العزيز » فاذا هو كالعود النخر يوشك أن يتهاوى ...

ووقفت أودع المعلم « عوف » وأرجو له سكينه النفس ورخاوة البال ، وما هى الا أن هرولت اغادر هذا السجن الموحش ، وقد بنيت عزمى على ألا أطأ له عتبة من بعد .. وانقضت أسابيع وأنا اتمثل شبح الرجل الكسيح فى لحيته الشعشاء ونظرتة النكراء ووجهه الملتهب ...

وأعجب ما كان من أمرى انى احسست شعورا دفيناً يلح على أن أعاود زيارة الرجل ، وعبتا حاولت اقضاء هذا الشعور عنى ، فأقلتنى سيارة الى الحانوت ، وهنالك تبينت « عبد العزيز » حيال منضدة التجليد يعمل ، وقد رانت

على وجهه صفرة شاحبة ، وبدا كأنه غصن ناحل ذهب
بنضرتة جدوبة الخريف . فابتدرته أسأل :

— كيف حال المعلم ؟

— أسوأ حال

فتبعته الى منزل الرجل أزوره فيه

ولم أحمد هذه الزيارة ، كما كان شأنى فى الزورة الاولى
بل لقد خرجت هذه المرة أنعى على نفسى ضعفها فى مطاوعة
ذلك الشعور الغامض الذى قادنى الى رؤية هذا الرجل ،
والى سماع ما يصبه على الناس أجمعين من حسد وبغض ،
وما يخص به صبيه « عبد العزيز » من شكاية وزرابة
واستنكار ، وفيما أنا منصرف عن الرجل ، حانت منى
التفاتة الى « عبد العزيز » فألفيته غائم العينين يذرف منهما
الدموع الغزار

وعلى الرغم منى كررت زيارتى لهذا الرجل الناقم ، وفى
كل مرة أخرج من عنده حانقا على نفسى وعلى العالم كله ،
وملء جوانحى تقزز ونفور ، كأنى أخرج من قبر راعتنى
فيه جيفة عفنة لا تطاق

وكان « عبد العزيز » على توالى الايام يستبد به الهزال
وتجحظ عيناه جحوظا يجعله أقرب الى الشبح المخيف ،
وكأنه هيكل عظمى يتحرك لينشر الرعب من حوله على
من يراه ...

وفى أخرى زيارتى لصديقى البغيض المعلم « عوف »
صادفته يتقلب على فراشه كالمسوع ، وفمه يهدر بلعنات
جياشة ، وقد أخذته نوبة شيطانية من الضجيج والعجيج

فامتدت عدواها الى ، وشعرت بالنار تسرى في اوصالى ،
واذا أنا أحس رغبة عارمة في الصراخ والتدمير ...
وانقلب الرجل ثورا هائجا يعض الوسائد ويمزقها
بأسنانه ، ويبعثر قطنها في أرجاء الحجرة ، فاعترانى خوف
شديد ، وهممت أن أهرب من وجه الثائر المهتاج
وسرعان ما سمعت صوتا أبح ، واذا هو « عبد العزيز »
يتلوى بجوار الباب ، ووجهه جمرة تتضرم ، ويده تلوح
بقوله :

— كفى يا معلم .. كفى !

وخرج يقفز ، فقفزت أثره بلا وعى ، وادركته يجتاز
باب المنزل كالسهم المارق ، ويمضى صوب الخانوت ...
فتمهلت في مسيرى أستعيد رباطة جأشى . ولما قاربت
الخانوت سمعت من جوفه صرخة مدوية اقشعر لها بدنى
وتسمرت قدمائى ، فوقفت لحظات لا أملك لنفسى رشدا
على انى تدانيت من باب الخانوت أتشجع ، وألقيت من
خلف الزجاج نظرة ، فلم يبح لى الظلام عن مكنون .
واستطعت أن أقتحم الباب ، فرأيت على خطوات منى
مشهدا ممضا لا أنسى فظاعته ما حييت ، ذلك هو « عبد
العزيز » ملقى على الارض بجوار الآلة القاطعة للورق ، والدم
ينهمر حواليه ، وساقاه على مقربة منه ، منفصلتان عنه !
فأما ما كان من بعد ، فقد انتهى كل شئ على خير مايمكن
أن يكون ...

أسعف « عبد العزيز » بالعلاج ، وعاد بعد أسابيع الى

الحانوت ، يتحامل على مسندين خشبيين ، ليزاول عمله
امام منضدة التجليد ، كأن لم يحدث له حادث يذكر !
وقد سكنت ثائرة المعلم « عوف » فلم يعد يبدي من
شكاية او تدمير . بل لقد عراه انقلاب ، فأصبح وادع النفس
يهش وييش ، ونشط للعمل ، فترك سجنه في المنزل ،
وخرج الى الدنيا يستقبل الناس ويبادلهم الود ، وقد
استبدل بساقيه المبتورتين ساقين انيقتين من خشب !



رهان

ربما أساء اليينا أحد ، فلاندرى
ما الذى نحسه نحوه ؟ أهو شعور
كره ؟ أم عاطفة اشفاق ؟

11
f
J
J
9
2
f

« سليم افندى » طالب فى مدرسة « الذكاء المصرى »
الثانوية ، عرف بين اخوانه بميله الى الادب العربى ، وجودة
أسلوبه فى كتابة موضوعات الانشاء . وكان من بين زملائه
تلميذ اسمه « مجدى » لا يفتأ يحسده على مكانته التى
نالها ، ويأبى ان يعترف له بها ، وان كان يتظاهر بصداقته
وكثيرا ما يجادله فى شئون تافهة ، يتشبت فيها « مجدى »
برأيه ، مع وضوح الحق فى جانب رفيقه ، و « سليم »
لا تغيب عنه دخيلة زميله ، ولكنه لا يبالى ضعيفته ، اذ كان
قائما باخلاص صديقيه الحميمين « حسين » و « على »
والاربعة الرفاق يلزم بعضهم بعضا اكثر الوقت فى الفترات
يتذكرون معا فى بيوتهم على التناوب ، لكل بيت يوم . .
القول القريب من المدرسة . فاذا ما اقترب الامتحان الفيتهم
يتذكرون معا فى بيوتهم على التناوب ، لكل بيت يوم . .
ترك « سليم » المدرسة ، يوما من الايام ، متأبطا محفظته
وقصد محطة الترام ليركب عائدا الى منزله ، وطال مكثه
على غير جدوى ، اذ تأخر الترام عن مواعده ، فضجر
ومر به بائع الصحف ، فاستوقفه ، وجعل يتصفح مجموعة
من الجرائد والمجلات ، وفيما هو يبحث ، عثر على صحيفة
لم يكن قد رآها قبلا ، اعجبته لاحتوائها على كثير من النبد
الادبية ، وهى تسمى « راية العرب » فاشتراها . وقدم
الترام فركبه ، وقطع الوقت يقرأ ما راقه من الموضوعات

وقد لا حظ ان بعض المقالات مذيّل بأسماء بعض الطلبة
وعاد « سليم » الى منزله ، وهو مقتبط بصحيفته ،
ودخل حجرته ، وما لبث ان شعر برغبة ملحة تدفعه الى
الكتابة ، ولكن فى اى شىء يكتب ؟ لقد اضطربت الموضوعات
فى رأسه ، فلم يدر ايهما يختار ؟ وطفق يسير فى الغرفة
ويداه الى ظهره ، ثم وقف امام النافذة يتأمل جنبات
الطريق ، فاسترعى بصره منظر يصلح أن يكون موضوعا
طريفا لمقاتته ، فاستل القلم ، ومضى يكتب . . . وطالت
على هذه الحال جلسته ، لم يغير موضعه ، ولم يرفع بصره
عن اوراقه ، حتى استكمل موضوعه . وحينئذ وضع القلم
جانبا ، وراح يمسح وجهه بمنديله . ونظر حوله ، فالفى
الحجرة موحشة بدأت جحافل الظلمة تحتلها . وعاد الى
مراجعة ما كتب ، فافتثر ثغره عن ابتسامة رقيقة . .

وبينما هو كذلك ، اذ الباب قد انفرج ، وظهرت « دلوعة »
شقيقته الصغرى . . . رآها تدخل فى محاذرة وتلصص
فاختبأ خلف الستارة ، فوجدها قد انطلقت تجمع بعض
الاوراق من مكتبه ، فأضاء الحجرة على الفور ، وخاطبها
فى لهجة عنيفة ، قائلا :

— ألم انبه عليك الا تدخلى حجرتى ، ولا تقربى مكتبى ؟
فأرتج على الفتاة بادىء بدء ، ثم مالبت ان استعادت
شجاعتها ، وقالت :

— لقد اتيت لانظف مكتبك !

— كذابة !

- والله العظيم لقد ...
 - لاتحلفى بالله كذبا يا « دلوعة » ... انى أعرف لماذا
 اتيت ... جئت لتسلبى مكتبى أوراقه !
 فنكست الصبية رأسها ، وواصل « سليم » حديثه ،
 قائلا :
 - تأخذين أوراقى لتلعبى بها .. وهل انسى ما فعلته
 بكراسة الانشلاء ؟
 فنظرت اليه فى استكانة وضعف ، وغمغمت :
 - وماذا فعلت بها ؟!
 - جعلت من بعض أوراقها لفائف ملأتها باللب والحمص
 ووزعتها على صويحباتك !
 - أوكد لك انى لم ..
 - قلت لك لا تكذبى ... وأخذت تعبثين بالورق الباقي
 فقصصته على اشكال عرائسك .. !!
 والتفت الى الاوراق التى كانت تجمعها ، ثم قال وهو
 يعيد ترتيبها :
 - واليوم وقع اختيارك على مذكرات التاريخ والجغرافيا
 ما شاء الله .. !
 ومد يده ليعرك اذنها ، فاذا هى قد اندفعت تبكى ، وهى
 تستغفره متذلة ، فهمس :
 - كم من مرة بكيت واستغفرت !
 فصاحت الفتاة وهى تشهق :
 - ستكون هذه آخر مرة ، والله العظيم !
 ومشيت اليه ، وتشبثت ب صدره ، وهى مازالت تبكى

فمكث « سليم » لحظة صامتا ، ثم شعر بنفسه يحتضنها ويربت ظهرها قائلا :

— عفوت عنك ، على شرط الا تعودى الى مثل ما فعلت
— لن اعود الى ذلك ابدا !
وخرجت تجرى ..

وتنهذ « سليم » وهو يتبعها بنظره ، ثم عاد الى مقالته فقرأها وهو جد مقتبط ، ورأى أنه لم يختار لها عنوانا بعد ، فرجع الى النافذة ، وسرح بصره في الطريق المغمور بأشعة القمر .. لبث على هذه الحال ساعة ، ثم خالجه نشوة من الفرح مفاجئة . وهرع الى المقالة يكتب في رأسها : رضيع يتألم !

غادر « سليم » منزله مبكرا في صباح اليوم التالى ، وقصد من فوره صندوق البريد فأودعه مقالته .. ومن ثم اتخذ طريقه الى مدرسته ، وقضى يومه رخي البال ، وتعرف اصدقائه في وجهه ابتهاجه ، فطفقوا يسألونه : ما الخبر ؟ فراوغهم ، ولم يكشفهم بحقيقة الامر . ولكنه فى مختتم النهار ، حينما كان خارجا من المدرسة مع صديقه « حسين » ، الفى نفسه مندفعاً يسر الى الصديق قوله :

— لقد أرسلت اليوم مقالة لجريدة «راية العرب» فمارأيك فى ذلك ؟

— فكرة رائعة اهنتك عليها !

— اشكرك ..

— وما عنوانها ؟

— « رضيع يتألم » .. قطعة عاطفية وصفية !
— لقد احسنت صنعا باختيار الكتابة في هذا النوع ،
فانك نابغ فيه ..
— اتظن ذلك ؟
— بل اعتقد .. هل لك ان تطلعنى على مسودة المقالة ؟
— سأقرأها لك ..

وانتبذا ناحية بمعزل عن اعين التلاميذ ، وشرع « سليم »
يقرأ لرفيقه المقالة ، وما كاد يتمها حتى صاح « حسين » :
— تحفة فنية غالية يا صديقى .. اقسم بالله اننى لم اقرأ
قطعة فى الصحف الادبية تفوق قطعتك هذه .. اهنتك
يا صديقى !

فلمعت عينا « سليم » وقد عقد التأثر لسانه ، وسار
الصديقان الى محطة الترام ، ويد احدهما فى يد الآخر ،
والتفت « سليم » الى صاحبه وقال له :
— ألم تر بعد « راية العرب » ؟
— كلا !

فنادى « سليم » بائع الصحف ، واشترى منه نسختين
من الراية ، فأعطى واحدة لرفيقه وقال له :
— صحيفة راقية ذات موضوعات ادبية رائعة !
وجاء الترام ، فتصافح الصديقان ، وصعد فى المركبة
« سليم » ملوحاً « لحسين » تلويح الوداع
وقضى « سليم » الوقت فى الترام ، وهو مسترسل فى
احلام هنيئة ، يبنى لنفسه مجداً عالياً فى عالم الصحافة
والادب . وما ان دخل البيت حتى هرع الى مربيته العجوز

وشرع يحتضنها ويقبلها ، ثم همس في أذنها :
- لقد بعثت مقالة الى صحيفة « راية العرب » !
فأصاحت اليه المرأة ، وهي لا تفهم شيئا .. وواصل
الفتى حديثه :

- انها صحيفة ادبية راقية ، وستظهر مقالتي في العدد
الآتى .. لقد اكد لى « حسين » انها مقالة رائعة !
وانبعث يحدثها عن المقالة والصحيفة وصديقه « حسين »
ولما تبين له انها لم تع من قوله كثيرا او قليلا ، تركها وانزوى
في حجرته

وفي غده شاعت بين الرفاق في المدرسة حكاية المقال ،
اذ لم يملك « حسين » ان يكتم الخبر . فلما ظهر بينهم
« سليم » اقبل عليه الزملاء يستجلونه الامر ، فانطلق
يحدثهم عن المقال فى اسهاب . وحضر بعد قليل « مجدى »
وجعل يتسمع ما يدور بين الرفاق من الحديث ، فما عرف
انه دائر حول مقالة « سليم » حتى ارسل ضحكة سخرية ،
ختمها بقوله :

- ان امثال هذه القطعة الانشائية لن يكون نصيبها الا
الاهمال !

فابتسم « سليم » واقترب من « مجدى » ولا طف كتفه
وقال :

- واذا نشرت مقالتي يا صديقى ، فماذا انت فاعل ؟
فأسرع « مجدى » يقول :

- اراهنك على ان مقالتك لن تنشر !

- تراهننى على ذلك ؟ .. حسنا !

فتوسط « مجدى » الحلقة ، وقال جهر الصوت :
— اذا نشرت المقالة ، فسوف ادفع « لسليم » نصف جنيه
واذا لم تنشر ، دفع هو هذا المبلغ الى
فصاح « سليم » :

— قبلت الرهان !
ودق الناقوس ، فتأهب الاصدقاء لدخول الفصول ،
وهم يتبادلون الحديث فى ذلك الرهان العجيب .. !
واخذ « سليم » يترقب ظهور « راية العرب » فى ايام
الخميس والاثنين ، اذ كانت الصحيفة تظهر مرتين فى هذين
اليومين من الاسبوع ، ولكن لتعس حظه لم يجد اثرا
للمقال ..

وانقضت ثلاثة اسابيع ، والقلق يزدحم فى قلبه ، والهـم
يتكاثر عليه ، وكان « مجدى » يشتري الصحيفة ويأتى
بها الى المدرسة ، باسطا اياها امام « سليم » وبقية الرفاق
وهو ينادى بأعلى صوته ، محاكيا لهجة بائع الجرائد :
— راية العرب ، ومقالة السيد سليم اليوم ... ملحق !
فيعلو الخجل وجه « سليم » ويشيع الكمد فى قسماته ،
ولكنه كان يظهر التجلد ، ويجارى « مجدى » فى هزله
ومجونه !

وفات على الرهان شهر ولم تظهر المقالة ، وكان الرفاق
مجتمعين عن كـتب من باب المدرسة ، فى ركن اعتادوا
الاجتماع فيه . فجاءهم « مجدى » وقال :
— صبرت شهرا يا اخوانى ... ومن حقى أن اطالب
« سليما » بدفع الرهان !

فأجاب « سليم » بهدوء :
— أنت محق في طلبك هذا يا « مجدى » ... وسأعطيك
المبلغ غدا ...

ثم التفت الى الجمع ، وقال :
— ولننس أيها الاصدقاء خبر هذه المقالة السخيفة التى
شغلتنا شهرا بلا فائدة ...

وقال « حسين » :
— واذا ظهرت المقالة بعد ذلك ؟
فعاجله « مجدى » بقوله :

— لا يهمنى أن تنشر بعد اليوم ... لقد انتظرت شهرا
ظهرت فيه الجريدة ثمانى مرات ... حسبى هذا ... !
وتكلم « على » فقال :

— فلنرجى البت فى الامر الى خروج العدد المقبل ، فاذا
لم تكن فيه المقالة أجيب « مجدى » الى طلبه !
فوافق الجمع على هذا المقترح ، وأهملوا ما أبداه
« مجدى » من اعتراض ...

وكان اليوم التالى هو يوم الخميس ، موعد ظهور « راية
العرب » . فقلت حماسة الرفاق ، وانتظروا بنافذ الصبر
خروجهم من المدرسة ليشتروا الجريدة ، ويروا لمن من
الزميلين كسب الرهان ؟

وخرج الرفاق زمرة واحدة ، ميممين محطة الترام ،
وهرع « مجدى » نحو بائع الجرائد ، واشترى منه نسخة
من « الراية » وفعل مثله « على » و « حسين » ... وأكب

الثلاثة يتصفحون الجريدة بلهفة . وما هي الا أن صاح
« مجدى » :

— كسبت الرهان ... كسبت الرهان !
وأخذ يطوح بالجريدة فى يده ، ويطوف بها على الزملاء ،
وهو يقول : لا أثر مطلقا لذلك « الرضيع المتألم » أيها
الاخوان ! ...

وشعر « سليم » كأن خنجرا ينفذ فى صدره ، فوقف
صامتا يقضم أظفاره ... وأخذ بعض الرفاق الجريدة من
« مجدى » وتناوبوا تصفحها ، فلم يجدوا فيها مقالة الزميل
أما « حسين » فكان يستوعب صحائف الجريدة فى تودة ،
معنيا بكل ما تقع عليه عينه من المقالات والنبذ . وفجأة
سمعه الجمع يصيح :

— لقد عثرت على المقالة ... المقالة هنا ... !
وجرى نحو « سليم » وبسط الجريدة أمامه ، وأشار
الى المقالة الافتتاحية قائلا :

— انها مقالتك ... هى بعينها ... خذ واقرأ ...
فتناول « سليم » الجريدة منه ، وانبرى يقرأ المقالة ،
وفى لمحة أضاء وجهه ، والتمعت عيناه ، وقفز الى « مجدى »
وهو يقول عالى الصوت :

— ها هى ذى مقالتي ... هى عينها ... انظر ...
انظر ...

فرمقه « مجدى » بنظرة غيظ ودهشة ، وأخذ الجريدة
منه ، وراح يفحص عن المقالة ، وأحاط الرفاق بالزميلين
المتنافسين ، وقد اشرابت أعناقهم ... وبعد هنيهة رفع

« مجدى » عينيه عن الجريدة ، ونظر حوله ، ثم قال :
— لا أدرى كيف ينتحل شخص لنفسه مقالا ليس مذيلا
باسمه ؟!

ثم أدار نظره الى « سليم » وقال :
— أنت تدعى أن هذه المقالة لك ... فأين اسمك اذن ؟
فخطف « سليم » الجريدة من « مجدى » وبحث عن
اسمه فى عقب المقال ، فلم يجده ، فاختلجت حدقتا عينيه ،
وهمهم :

— أنهم لم ينشروا اسمى !
فقال « حسين » :

— هذا غريب جدا ... ولكن لم لا يكون سهوا ؟
فتقدم « مجدى » وقال :

— أن نشر المقالة ، خالية من اسم الكاتب ، يفيد أنها من
قلم التحرير ... فضلا عن ذلك فعنوان هذه المقالة ليس
العنوان الذى أخبرتنا به ، وهو : رضيع يتألم ... !
فثار « سليم » غاضبا ، وهو يقول :

— أنهم سرقوها ... سرقوها ، ونسبوها لانفسهم
بلا تورع ... يالهم من أوغاد !

— هذا كلام واه لا ينهض به برهان ... أنت تتهم قلم
التحرير بالسطو على مقالتك ، لتسوغ موقفك ، أما أنا
فاتهمك بالسطو على قلم التحرير ، ونسبة المقال الى
نفسك ... !

— أنا أسطو على مقالة غيرى ؟ ... أتجرؤ على اتهامى
بذلك ؟

فاتجه « مجدى » الى الرفاق ، وقال يخاطبهم :

— نحن هنا أمام أمر واضح يا اخوانى ... فاذا أراد « سليم » أن يثبت أن المقالة له ، فليقم على ذلك البرهان !

فنظر الرفاق الى « سليم » فصاح :

— تعالوا معى الى المنزل ... فأريكم المسودة !

فغمغم « مجدى » :

— نذهب الى المنزل لنرى المسودة !؟

— وما المانع !؟

— لا شئ ... لا شئ ... هيا !

وركب الزمرة الترام ، ووصلوا الى المنزل ، وقادهم « سليم » الى حجرته ، وقصد على الفور مكتبه ، ومد يده فى المكان الذى وضع فيه مقالته ، فلم يهتد اليها ، فأعاد البحث وهو يمعن ويتفحص ، فلم يجد شيئا ... فعجب أشد العجب ، وانطلق يفتش فى كل موضع يصح أن يضع فيه المقالة التائهة ، فذهبت جهوده عبثا . وكان قد تصبب جبينه عرقا من الاعياء ، واكفهر وجهه من الحيرة ... وترك الحجرة ذاهبا الى الخادم العجوز ، فألقى عليها بضعة أسئلة فى عجلة واضطراب ، فعلم منها أن أخته « دلوعة » دخلت حجرته فى اثناء غيابه ، وجمعت منها رزمة من الاوراق . فجرى على الفور الى غرفة أخته ، واندفع يبحث فيها ويجد فى البحث ، فكان نصيبه هذه المرة أيضا الاخفاق فرجع يسأل الخادم : أين أخته ؟ فأجابته بأنها ذهبت الى الخيالة (١) مع عمته ، فراح يضرب الارض بقدمه ، ويلوح بيده مهددا ، ويقول :

(١) السينما

— ستري! ... ستري! ...
وأقبل على أصدقائه ، فأخبرهم بأن أخته قد دخلت
حجرتها في غيبته ، وعبثت بأوراقه ، وكان المقال فيما عبثت
به ... فأطلق « مجدى » قهقهة عالية وقال :
— ان أعذارك يا سيد سليم تدعو الى العجب ...
أجئت بنا الى هنا لتسمعنا هذا الكلام؟!
والتفت الى الجمع ، وقال :
— الى منصرف أيها الاخوان ... والى اللقاء فى المدرسة
يوم السبت ... !

وهم بالخروج ، فاستوقفه « سليم » وقال له :
— عندى برهان آخر ... وأرجو الا يخيب !
فوقف « مجدى » متبرما يقول :
— وما هو ؟
— ان نذهب جميعا الى ادارة « راية العرب » لأثبت لكم
ان المقالة بقلمى ، وليكن ذلك غدا ...
فأجاب « مجدى » فى شئ من الاهمال :
— لا بأس ... اذا كان هذا يرضيك !
— اذن فلقاؤنا فى مطعم الفول الذى تعودنا الافطار فيه
قريبا من المدرسة ... وليكن موعدنا التاسعة صباحا ... !



فى صبيحة الجمعة ، اجتمع الرفاق فى مطعم الفول ، وبعد
أن تناولوا فطورهم قاموا قاصدين ادارة « راية العرب »
وكان الجمع هذه المرة منقسما حزين ، الاول لمناصرة
« سليم » والآخر لمشايعة « مجدى » ... وكان كل من

الحزبين يسير على حدة : حزب « مجدى » فى المقدمة ،
يصحبه اللفظ العالى والضحك المتتابع ، يتلوه حزب
« سليم » بهدوئه وتهامسه ...

وأخيرا وصلوا الى ادارة « الراية » ، وكانت دارا متواضعة
ذات طبقتين ، لا تمتاز عن دور الازقة الا بلوح مكتوب فيه
اسم الجريدة ، معلق على جدار الدار ، لم تدع له الشمس
نضارته ...

وصادفوا الباب مفتوحا ، فدخلوا ولما لم يجدوا احدا
فى صحن الدار ، وقفوا متحيرين ، فتقدم « مجدى » نحو
السلم الواصل الى الطبقة العليا ، وجعل يصفق ، ثم رفع
صوته قائلا :

— يا أهل الدار ... الا يوجد أحد هنا ؟

فسمعوا صوت خطوات ، ظهر على أثرها غلام على أعلى
السلم ، سألهم قائلا :

— من حضرتكم ؟

فأجاب « مجدى » :

— وفد من الطلبة

— وماذا تريدون ؟

— مقابلة رئيس التحرير فى أمر مهم !

— انتظروا قليلا ...

فوقفوا ينتظرون . ولما طالت غيبة الغلام ، ظلوا يروحون
ويجيئون ، دفعا لسأم الانتظار ، فأتضح لهم أن الطبقة
الأولى ليست مسكونة ، وكانوا يسمعون من الطبقة العليا
رجلا غير واضح الصوت ، فى نبراته ما يدل على التوبيخ

والتهديد . ثم تبع ذلك حركات مصحوبة بمواء قط ، فأخذ الرفاق يلتفت بعضهم الى بعض ، ويتسمون

وبعد يأس ظهر الغلام ثانيا على السلم ، وطلب منهم ان يصعدوا ، فارتقوا الدرج مسرعين ، ووجدوا أنفسهم في ردهة صغيرة ليس فيها من الاثاث الا بضعة كراسي قديمة منشورة حولها قصاصات من ورق الجرائد . وقادهم الغلام الى غرفة صاحب الجريدة ورئيس تحريرها ، فاذا هي غرفة رخيصة الاثاث ، قائم في أحد أركانها مكتب رياسة التحرير ... وما كاد الجمع يتوسط الغرفة ، حتى رفع « رئيس التحرير » رأسه عن أوراقه ، وخطا نحوهم مرحبا ثم التفت الى الغلام ، وقال له :

— اذهب وأعد القهوة على عجل ... وادع لى « خليل أفندى » فى الحال

ولم تمض لحظة ، حتى صاح رئيس التحرير :
— يا « خليل أفندى » ... يا بليد أفندى ... يا حضرة الغبى ... ما هذا التأخير ؟!

ثم وجه حديثه الى الطلبة قائلا :
— لا مؤاخذه يا حضرات الافندية ... ان هذا الرجل لا يشتغل الا اذا طرقت الشتائم سمعه . مضت الآن ساعة وأنا انتظر مقالته ...

ثم استأنف ينادى « خليل أفندى » ناعنا اياه بمختلف النعوت المردولة ...

وبعد فترة ظهر « خليل أفندى » على عتبة الباب ، وقطه يتمسح بين رجليه ، وكان رجلا محطما ، زرى الهيئة ،

يحمل مجموعة من الاوراق تهتز في يده بلا انقطاع ، ووجهه
محتقن بزرقة دكناء ، يزدحم بالتجاعيد البعيدة الغور ،
وعيناه محمرتان بلا اهداب . وكان يسير بخطا متثاقلة .
وبين فترة وأخرى يضطرب كتفاه بحركة عصبية ظاهرة
ولما اقترب من المكتب ، ناول رئيس التحرير أوراقه ،
ووقف جانبا يهز كتفيه ، وأخذ رئيس التحرير المقالة ، وانشأ
يتصفحها بنظرات سراع . ثم رمق « خليل أفندى » بنظرة
شزراء ، ومزق الأوراق ، ورماها في وجهه قائلا :
- مقالة اليوم رديئة جدا ... لا اقبل أن أنشر في جريدتى
أمثال هذه السخائف ... لقد كانت افتتاحية العدد
الاخير أحسن مقالة كتبتها في حياتك !

وما بلغ هذا القول أسماع « سليم » حتى اختلجت
أعضاؤه ... واستكمل « رئيس التحرير » حديثه مع
المحرر قائلا :

- يجب أن تفهم أن دار جريدتى ليست مأوى للمعجزة
ولا مدمنى الخمر ... هيا ... تفضل ... !
فلم يبد أى تأثير على وجه الرجل ، وبقي كتفاه على
حالهما تهتران ... وانحنى على الارض ، يجمع قصاصة
مقالته في تبلد ، ثم خرج وهو يسير بخطواته المتثاقلة ،
واقطه بين رجليه يتمسح فيه ويموء !

وكانت نظرات « سليم » فى أثناء ذلك لا تفارق وجه
المحرر ، ولم يكن يدرى على التحقيق ما الذى يحسه نحوه
فى هذه اللحظة ؟ أهو شعور كره ؟ أم هى عاطفة اشفاق ؟!
ووجد نفسه يقف بغتة ، وينتهى للكلام ... وظل كذلك

وقتا ، وهو يحاول أن ينبس ، فشخصت اليه الابصار ، وجعل صديقه « حسين » يشجعه ويفريه ، ولكن بلا جدوى وجلس « سليم » وقد تخرج وجهه ، وتفصد العرق من جبينه

والتفت « رئيس التحرير » الى الجمع ، وقال :
— لقد أراد الأفندي أن يتكلم ، ولكنه لأمر ما فضل السكوت ... الا أستطيع أن أعلم أى خدمة تريدون أن أقدمها لكم ؟

فوقف « مجدى » وقفة الخطيب ، وتكلم بصوت جهورى طليق :

— سيدى رئيس التحرير ... نحن وفد من طلبة المدارس الثانوية ، جننا نعرض شكواتنا من تشعب البرامج الجديدة ، وازدحامها بالمواد ، مع ضيق الوقت وقلة المؤلفات ...

فنظر الرفاق بعضهم الى بعض مدهوشين ، ولما سمع « سليم » قول زميله « مجدى » غلى الدم فى عروقه ، وانقضى وقت وهو يحمل نفسه على الكلام ، ثم وقف يمسك بمقعد امامه ، ويستند اليه ، فتطلع اليه « حسين » محمسا ، فاندفع فى خطابة مسهبة ، فاذا به يشرح لرئيس التحرير — بمنطق مهوش — صعوبة المواد وقلة الاكفاء من المعلمين الجدد الذين كلفوا تدريس هذه المواد ...

وكان يتكلم محتدا مهددا ، فكأنه يسب ويصخب ، ثم بدا يتلعثم ، واشتد احتقان وجهه ، وتوالى ارتطاف أعضائه ولما رأى « حسين » ما وصلت اليه حالة صديقه ،

جذبه من سترته ، راغبا اليه في السكوت ... فأمسك
« سليم » على الفور عن متابعة الكلام ، وجلس على مقعده
وهو يجفف عرقه ، ويروح وجهه !
وقام « مجدى » والفبطة تشيع في وجهه ، وقال لرئيس
التحرير :

— الآن يمكننا أن نستأذن يا أستاذ ، ولا تؤاخذنا فيما
أضعناه من وقتك الثمين الذى عرضنا فيه مسألتنا ...
نحن شاكرون لك حفاوتك بنا أجزل الشكر ...
وتقدم من « رئيس التحرير » فصافحه ، وما لبث أن
مشى الى الباب ، فحذا حذوه الزملاء ...
وما أن أقلهم الشارع ، حتى انفجر « مجدى » ضاحكا
وهو يقول :

— ما رأيكم أيها السادة في هذه المهزلة ؟ حقا انها لمهزلة
لم يسمح بمثلها الزمان قط !
واقترب « سليم » من « مجدى » ، وأخرج من جيبه
خمسین قرشا ، ثم ناول زميله اياها ، وهو يقول في صوت
أجش مضطرب :

— لقد كسبت الرهان يا « مجدى » ، وما هوذا في يدك
لم ينقص ... فأهنتك !
وترك الرفقة المكان ، عدا « سليم » و « حسين » فقد
مكثا واقفين حيث هما لا يتحركان . والتفت « حسين »
الى صديقه ، وقال :

— حقا لم أستطع أن أفهم شيئا مما جرى ... لماذا
لم تتكلم في الموضوع الذى جئنا من أجله ؟ ... أو لماذا

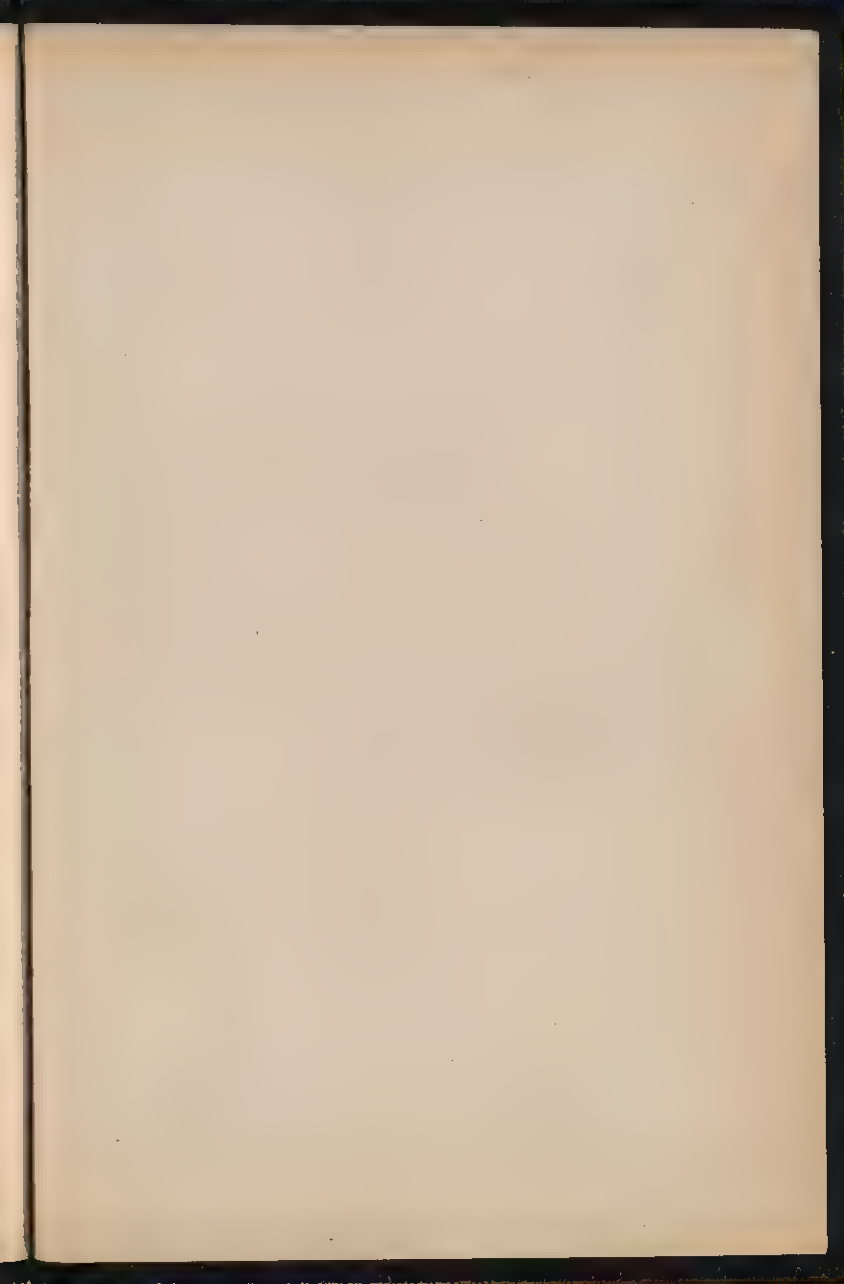
لم تطلب الى أن أفعل ذلك نائبا عنك ؟
فأخذ « سليم » يد صديقه في يده ، وشد عليها ، وهو
يقول :

— أو كنت تظن أنى أناقش ذلك المحرر الحساب ؟ ماذا
كنت تريد منى أن أصنع برجل محطم مهدم كهذا الرجل
وصمت كلاهما بعض الوقت
واندفع « سليم » بغتة ينشج ، مرتعيا على صدر صديقه
كما ينشج الطفل الصغير !



حنين

هذه الارض التي عاش عليها ،
جشمتها الجهد والمشقة ، ولكنه لا
يبقى بها بديلا . . . فان «الارض»
نداء يملأ السمع ، ويشغف القلب
. . . انها تنادى صاحبها ، فيلبي
نداءها على الرغم من كل شيء !



كان « السيد افندى كساب » ناظرا لضيعة الشياخات ولد فيها من أب فلاح ونشأ في الحقل منذ نعومة أظفاره ، لا يعرف في الدنيا الا مهنة الفلاحة ، وقد بدأ حياته رئيسا للزراع ، وأظهر براعة فائقة ونشاطا في العمل الذى وكل اليه ، فرقى الى وظيفة خازن ، ثم الى معاون ، فناظر . وهذا اقصى ما يطمح اليه فلاح . وكان أمينا فطنا ، له حافظة من خوارق الطبيعة ، فاستطاع أن يدبر شئون الضيعة كأمر متعلم . ظل طول حياته فلاحا قلبا وقالبا . حسبك أن تجالس بهرة تصفى الى رنين صوته الممتلىء وتنظر الى عينيه البراقتين ليتراءى لك الريف بأسره ، الريف العظيم ، بشمس الوهاجة ، وظلاله الوارفة ، بهوائه اللافح ، ونسيمه الوديع ، بغدراة الهادئة ، وسواقيه النواحة ، بخوار بهائم ، وأغانى فلاحيه . . وكانت له دار متواضعة ليست أكثر اتساعا ولا أرفع شأنًا من دور الفلاحين ، سكنها أبوه من قبل ، ونشأ هو فيها وترعرع ، وشب فيها أولاده ، فلم يشأ أن يغيرها ، وعاش فيها كأنه في قصر رحب

وكان يتقاضى مرتبا لا يزيد على خمسة جنيهات ، فما كان أعظمه من مرتب ! فى أى شىء يصرفه ؟ كل شىء عنده : الجاموسة ترتع لا تكلفه من شىء ، والطيور تضيق بها الدار ، وحديقته الصغيرة التى بجوار التربة تمتد بكل

ما يطلب من نبات طيب لذيذ . وقد مات بعض أطفاله ،
ولحقت بهم زوجته ، فلم يتغير طبعه ، ولم تهن عزيمته .
فهو رجل البشر والعمل . وهذه الأرض المتسعة العظيمة
كان ينظر إليها كأنها أرضه ، وهذه الماشية التي تملأ الحظائر ،
وتغطي المراعى ، كان يعدها ملك يده ، بل انه ليضم لها
حب الآباء للأبناء ! كان يمضى اليوم كله متنقلا فى الحقل
يراقب الفلاحين وهم يحراثون ويزرعون ، وربما تناول
المحراث من أحدهم وجعل يحرث فى اهتمام ، وعينه تلمع ،
وصدره يعلو ويهبط . أو يمسك بالفأس يضرب بها
الأرض فى قوة وعزم ، ثم يرفع رأسه ويتلفت حوله وهو
يقول :

— ماذا رأيتم يا أولاد ؟ لقد كانت أرضا صلبة ، ولكنها
وجدت من هو أصلب منها ! ..

ثم يبادل الفلاحين النكات المرحية ، ويندفع مقهقهها فى
سداجة الأطفال . أما اذا رأى تهاونا من أحد فانه ينقلب
جبارا ينشر الرعب فى القلوب ، وكيف يقبل تهاونا فى
العمل ، والعمل روحه الذى يستمد منه الحياة ؟

واذا ما حان وقت الغداء جاءوا له بالخبز الرحراح (١)
والبصل وخثارة الجبن (٢) أسوة بجمهور الفلاحين ، فيجلس
معه فى حلقة واحدة يأكل ويتحدث كأنه فرد منهم . ولا يكاد
الطعام ينتهى حتى يقوم « كساب افندى » منتصباً يصرخ
بأعلى صوته قائلا :

(١) المرحح (٢) المش

— هيا الى العمل يا اولاد !

ويستأنف الفلاحون شغلهم ، يعملون عمل الجابرة ،
وصوت الرجل يدوى بينهم كأنه الرعد
وعند الغروب يعود « كساب افندى » الى الضيعة
ووجهه يفيض بشرا ورضا ، يجفف عرقه المتصبب من
جبينه بكم رداؤه ، ويذهب من فوره الى حظيرة المواشى .
هناك يجد البهائم متراصة أمام معالفها ورعوسها منحنية
تأكل في شره ، لا تسمع منها غير جرش وقضم وأنفاس
ترددتها بين الحين والحين . يدخل الرجل فاذا برعوس
المواشى قد ارتفعت عن المعالف ، وجعلت تنظر اليه بعيون
مشرقة مرحة وهى ما زالت تلوك في فمها ما بقى فيه
من العلف ، وتمسح بالسنتها أنوفها المصقولة فتزيدها
التماعا ، كأنها تريد أن تظهر أمامه بالمظهر اللائق به .
وبقعة يدوى صوت أحدها في صراخ مسترسل ، وهو ناشر
أذنيه في اهتمام ، ويحد بصره في الرجل . ولا تمضى لحظة
حتى تتجاوب الحظيرة كلها بأصوات هذه البهائم الساذجة
الطيبة القلب ، وقد اندفعت تتصايح في تحمس شديد ،
يحاول كل منها ان يظهر على رفقة ، ويكسب دونها عطف
مولاه .. ويصيح « كساب افندى » بصوته الجهورى :
— ما هذه الضوضاء ؟!

فتسكت البهائم على الأثر ، الا حارا لم يكن بعد قد
اكمل مقطوعته في الترحيب ، فيرميه « كساب » بنظرة
حادة وهو يقول :
— حقا انك حمار !

ويعيد الحمار رأسه الى المelf وهو يهر مغمفما ، وير
 « كساب أفندى » بالبهايم واحدا واحدا ، وهو يلاطف ظهر
 هذا ويداعب رأس ذلك . ويماجن آخر بنكة لا يفهمها
 الا هو ورعيته . . يوزع عطفه بالسوية بينها ، لا يخص
 أحدا منها بامتياز . وإذا أحس أنه زاد في ملاطفته لأحدها
 أسرع مبتعدا عنه وهو يختلس النظر الى البقية ، خشية
 أن يكون قد أثار فيها شيئا من الغيرة !
 وإذا ما عاد الى داره هوى على المصطبة منهوك القوى ،
 وهو مبتسم الثغر . وتأتى له بالطعام « أم الهنا » مربيته
 ومربية أولاده ، خادمتة العجوز الوحيدة . وينطلق
 « كساب أفندى » يقص عليها في أسهاب ما فعله في يومه ،
 ويستفتيها في منازعاته مع الفلاحين ، ويصفى لقضائها في
 رضا وقبول . وبعد أن ينتهى من طعامه يقصد الى الفرن
 فيعتليه متمددا ، ويستغرق برهة في تفكير عميق ، يعرض
 فيه بعض مناظر من ماضى حياته ، وتترأى له الدار وهى
 تزخر بأطفاله وتتجاوب بصيحاتهم ، ثم يراهم وقد كبروا
 حتى صارت البنات عرائس . ثم كيف تزوجن واستقررن
 فى ديار أزواجهن ، وكيف غدا ابنه الوحيد « عبد الغنى »
 طبيبا نابها كبير الاسم ، يعيش فى قصره المنيف « بالقاهرة »
 ثم كيف بقى هو و « أم الهنا » وحيدين فى هذه الدار . .
 ويسمع صوته وهى جالسة على الأرض بالقرب من رأسه ،
 فيطلب منها أن تقص عليه طرائف من قصص طفولته ،
 وتبدأ المرأة تحكى ، و « كساب » يصفى ، والابتسامة
 دائما تتألق على وجهه ، يستقبل بها أحلامه العذبة

غير أن الدنيا تنكرت « لكساب » فجأة ، فحل به مرض عضال ، فنقله ولده الى « القاهرة » وأسكنه معه ، وأحاطه بعنايته ورعايته حتى أبل . وعاش « كساب » في كنف ولده مكرما معزز الجانب مغمورا بمناعم الحياة . ولكنه ظل دائما كما كان ، رجل الريف الصميم بجلبابه وعباءته . ولم يعرف من « القاهرة » كلها الا بعض المساجد وأضرحة أهل البيت يذهب اليها ليتعبد . وكذلك قهوة « الحاج ابراهيم » القريبة من مسكنه حيث يقضى الوقت في ركن منعزل يدخن الطباق في القصبة (١) ، ويستسلم لأحلام هادئة

دخل « كساب » يوما القهوة ، وكان ملتحفا بعباءته القديمة يتقى بها هجمات الرياح الباردة . وقصد الى ركنه المألوف ، فلمحه صبي القهوة ، واتى له على الفور بالقصبة وبالقهوة ، ووضعها امامه بعناية كبيرة ، وامسك « كساب » أفندي « بالقصبة وأدنى مبسمها من فمه في حركة آلية ، وأخذ يدخن وعيناه تنظران نظرا تأثها

وسمع صوت « الحاج ابراهيم » صاحب القهوة وهو يتحدث الى نفسه . وبعد قليل ظهر رأسه الأشيب بلحيته المهندمة ، وأخذ يدور في المكان بعينه الكابيتي اللمعة . وما أن وقع بصره على « كساب » حتى أشرق وجهه بابتسامة خفيفة ، وخرج من مخبئه يسير في تباطؤ كأنه يمشى على أرض ملساء يخشى أن ينزلق . وأقبل عليه وحياء مرحبا به ، فرد عليه « كساب » التحية فاتر

(١) نوع من النارجيلة يستعمل في القهوات البلدية ، ويعرف بالجوزة

اللهجة ، وتناول الرجل كرسيه ، وجلس عليه بجوار صديقه . وبعد أن تمخط وبصق ، التفت اليه وقال وهو يحدق فيه :

— كفى الله الشر ! مالك ؟

فرفع « كساب افندى » حاجبيه الأيمن ثم خفضه ، وجذب نفسا طويلا من القصبه ، ونفخ دخانها على مهل .. وأخيرا قال :

— انا متضايق ! ..

— لماذا ؟

— متضايق والسلام !

وجذب نفسا آخر ، والتفت الى « الحاج ابراهيم » ، وضغط يده قائلا :

— مرت على الآن أربع ليال و « البنهاوى » يتراءى لى فى المنام !

فهمهم « الحاج ابراهيم » وقال :

— البنهاوى ؟!

واتسعت عينا « كساب افندى » وانبعث من حدقتيهما بريق قوى ، وامتلا صوته بحيوية جديدة ، وهو يقول :

— أجل « البنهاوى » يا « حاج ابراهيم » ! لقد تركته عجلا صغيرا ما زال شعر الطفولة عالقا بظهره . وكنت امنى نفسى أن يشب فى كنفى

ونكس « كساب » رأسه ، ولزم الصمت برهة ، ثم رفعه وقال فى صوت أشبه بالهمس كأنه يناجى نفسه :

— أجل « البنهاوى » ... « البنهاوى » الذى حضرت

بنفسى ولادته . أتصدق ؟! لقد قضيت الساعات وأنا فى الزريبة أعنى بأمه . وكان الجو باردا والمطر ينهمر ، ثم تلقيته بىدى : تلقيته قطعة حمراء ملساء كالحرير ، ونظرت اليه فوجدته يحرق فى بعينه البراقتين اللتين تشبهان فصوص الماس .. هذا هو « البنهاوى » الذى كنت أحضر أوقات رضاعه ، وأهيبء له مرقده ، وأقضى وقتا هنيئا أراقبه وهو يقفز فى صحن الدار قفزاته المضحكة .. ومرت فترة صمت ، ثم عاد « كساب » الى الكلام فقال :

— لقد كنت سعيدا فى بلدتى ، فلماذا أتوا بى الى هنا ؟ طالما جاءنى ابنى هناك ، والح على أن إعتزل العمل ، وأن أسكن معه فى « مصر » حيث الراحة والهناء ، فهل سمعنى أتألم من عملى أو أشكو من حياتى ؟ كان يعيب على أن أبقى فى هذه الوظيفة ، التى كان ينعتها بالوضيعة ، وأن أمد بىدى لأخذ مرتبا لا يصح له أن يعطيه سائق سيارته . يا لانكار الجميل ! أنسى أتنى بهذا المرتب الوضع استطعت أن أنفق عليه حتى وصل الى هذا المنصب الذى يحسد عليه ؟! ..

ونكس « كساب افندى » رأسه فى استسلام ، وجعل ينظر الى الارض والحزن باد عليه ، وغمغم قائلا :
— ولكن المرض ، المرض هو الذى غلبنى على أمرى ، هو الذى هزمنى وحطمنى . يا الله ! لم أكن أعرف المرض فى حياتى ! سبعون عاما قضيتها وأنا أهزأ بهذا الدعى الثقيل حتى شـعرت به يهاجمنى على حين غرة ، وجاهدت

ما استطعت أن أجاهد لأتخلص من وطأته ، ولكن لم تجد محاولتي شيئاً . لقد كنت أحس به يأكل من لحمي ، ويشرب من دمي ، وينال من قوتي ، حتى أيقنت أنني هالك . وحضر ابني فوجدني أكاد ألفظ نفسي الأخير ، فحتم نقلني الى « مصر » ، فلم أعارض . لقد كنت في ذلك الحين كالطفل الصغير المسلوب الإرادة . وحملوني الى المحطة والناس من حولي يودعونني ، ويطلبون لى الشفاء .. وكنت التفت حولي في مشقة أملأ عيني من منظر الحقول .. وسمعت بفتة خواراً من بعيد ، فشعرت كأن سكيناً تحز في قلبي . أهو خوار « البنهاوى » يهتف بى ويسأل عني؟! ومسحت دمعتي بكفى ..

... وفتحت عيني يوماً ، فوجدت نفسي على سرير في حجرة فخمة ، وبجانب رأسي امرأة تلبس البياض كأنها عروس كبيرة من عرائس الحلوى في موالد الاولياء .. ومرت الايام ، واستطعت ان أنهض من فراشي ، وجاء ابني يهنئني ويقبلني ..

وعشت في هذه الحجرة الفخمة اياماً أخرى .. يا الله ! لم كل هذا؟! خدماً واتباع ، ونور يخطف البصر ، وموقد كهربى ييث الحرارة في كل مكان و .. و .. ولكنني كنت أنظر حولي كالغريب وأتهد ، ثم أطلق العنان لأفكاري ، أين دارى الريفية؟! أين فرنى أتمدد عليه؟! وأين « أم الهنا » تخدمنى ؟

ثم استطعت أن أفارق الحجرة وأخرج الى الحديقة . لقد كانت فسيحة جميلة التنسيق . ولكن أين هى من

حقلى؟! وهذا البستانى الأبله الذى يقوم على شأن الحديقة ،
لم نستطع ان نتفاهم معا على شىء . فكاننا أجنبيان
لا يعرف كل منا لسان الآخر . كنت أسخر منه كلما
رأيتة ، فالتزم أن يتجنبنى ، حتى التحية لم يعد يبادلنى
اياها !

وترادفت الأيام وأنا لا عمل لى ، أقضى نهارى جالسا
إمام البيت أثناء متعجبا من بطء الزمن . كان يخيل لى
أن اليوم لن ينتهى ، وأننى سأقضى السنين لا غير جلستى .
وكان كثير من الزوار يقبلون على مطرونى وابلا من الاسئلة ،
فاذا لم يحظوا منى برد سمعتهم يتهايمسون : ما أغباه من
بواب !

لا شىء يعوزنى فى هذا المنزل الرحيب ، ولكننى مع ذلك
أحس اننى يعوزنى كل شىء ، فأقضى يومى صامتا أتصفح
همومى !



واستغرق « كساب افندى » فى الصمت ، ثم أدنى
مقعده من مقعد « الحاج ابراهيم » ، وقال فى صوت
خافض ، وهو ينظر اليه نظر الحالم :

— لقد حدث لى أمس حادث غريب ، أريد ان افضى
به اليك ، عليك تستطيع أن تفسره لى : بعد أن تناولت
العشاء قصدت الى حجرتى ، وجلست على المقعد
ذى المسندين ، وكنت تعباً ، فأرحت رأسى على ظهره .
ولكننى لم أطبق جفنى ، أوكد لك أنهما كانا مرفوعين .
ومضى وقت لا أعرف مداه وأنا أعرض فى تخيلتى شتى

المنظر بين قديمة وحديثة . وفيما أنا على هذه الحال سمعت صوتا من بعيد يغنى انشودة ريفية قديمة ، كثيرا ما ترنمت بها في شبابي ، فأصغيت اليها في اقبال ، وشعرت بقلبي يملؤه ذلك النور القديم ، وأحسست دفئا طيبا يشمل جسدي ، وامتلا أنفى برائحة البرسيم الطيبة . . وكان الغناء يعلو ويقترب رويدا ، ولكن من أية جهة ؟ ومن هو الذي ينشد ، أفرد أم جمع ؟ وبعد حين أصبحت الحجرة تتجاوب بتلك الانشودة ، وشعرت بنشوة عظيمة ، ومثل لمخاطري أنني أرى أشباحا تروح وتغدو أمامي ، وأنعمت النظر فيها ، فإذا بهم اصحابي الفلاحون وزوجاتهم ، كلهم في حللهم الجديدة التي يلبسونها في يوم العيد ، كلهم مبتهجون ينظرون الى بعيونهم المكحلة . . ثم رأيتهم يختفون . كانت تطويهم جدران الحجرة ، وأخذ الغناء يتضاءل رويدا رويدا حتى أصبح ضعيفا لا تكاد اذني تعيه ، ثم عم الحجرة الصمت ، وقمت من مقعدي وأنا أناديهم صارخا ملحا . . لقد كنت أشعر أن قلبي يتمزق ، ورأسي يحترق . . وهرول الى ابني ، وعنى بأمرى ، فأرقدني على السرير وأشربني دواء سرى في على أثره فتور ورغبة في النوم . .



في مساء اليوم التالي ، خرج من منزل الطبيب رجل يسير في حذر وتلصص ، يلبس الملابس الريفية ، وهو ملثم الوجه بمطرف من الصوف ، وكانت وجهته محطة السكة الحديدية ، ولما وصل اليها أخذ تذكرة في الدرجة

الثالثة الى بلدته « الشياخات » . وأخذ مكانه في العربة ، وهو يلتفت يمينه ويسرة في شيء من الذعر ، وما كاد القطار يتحرك حتى انفرجت أسارير وجهه . وغمره البشر والاطمئنان ، وغمغم بكلمات حمد وشكر لله

وسار القطار يشق طريقه في الظلام ملولا ، يصعد زفرائه المتقطعة . لقد كان هو وركابه كسالى متعبين ، يغمرهم خمول ثقيل ، ما عدا هذا الرجل الريفى المشرق الوجه ، فقد كان يقظا كثير الحركة ، يعجب لبطء القطار ويستعجله ، وكلما وقف القطار في محطة أطل من النافذة متطلعا ، وجعل يرسل بصره حوله مدققا فاحصا ثم يعود الى ما كان عليه ، وقد أخذ صبره ينفذ . . وأخيرا ظهرت « الشياخات » يلفها ظلام كثيف ، ويرفرف عليها صمت شامل ، فعرفها الرجل دون أن يراها ، عرفها بشعوره كما يعرف الحيوان موطنه بغيريته ، وأحس رجفة تتمشى فيه ، وتطلع من النافذة يريد أن يمزق بنظره الحاد حجاب الليل الأسود الذى يغشى كل شيء . رأى أبراج الحمام القائمة عند مدخل البلدة ، شاهد الجامع المتهالك بعضه على بعض ضعفا وهربا ، وهذه أشجار التوت الخمس الشائخة بفروعها فى الجرن ، تلك التى طالما تفيأ ظلالتها الوارفة واستمرأ ثمرها اللذيذ . . وهب عليه ذلك النسيم الرطب ذو الرائحة الخاصة ، النسيم الذى صحبه فى مدارج حياته كلها ، والذى يستطيع أن يميزه بين ألف نسيم . . وقف القطار ونزل الرجل يقفز منه كأنه ابن عشرين ، وترك المحطة عجلا واتجه فى خطا فسيحة نحو

الضيعة . كان الطريق خاليا الا من بعض الخفراء أخذتهم
سنة من النوم ، وهم مجتمعون أمام خص من أخصاصهم ،
وقبالتهم بقية من نار كانوا يستدفئون بها ، عرفهم الرجل
واحدا واحدا ، ووقف برهة يتأملهم ، وقد ساوره شيء
من الضيق ، وأراد أن يصيح فيهم صيحته في سالف أيامه
ينبههم الى واجبهم . ولكن سرعان ما علت شسفتيه
ابتسامة سانحة ، وتابع سيره الحثيث نحو داره ، حتى
إذا ما وصل اليها عالج الباب حتى فتحه ، ودخل الدار
في سكون وهو يطوف بنظره فيما حوله ، ويشم الهواء
في لذة مسكرة ، وأحس الدفء المنبعث من الفرن ، وتشبع
أنفه برائحة الخبيز ، ولح عباءته القديمة معلقة على الحائط
كأنها ترحب بقدومه ، و « أم الهنا » مكورة على فراشها
بالقرب من الفرن تتنفس تنفسها الهادئ البطيء . كل
شيء كما هو لم يتغير ، كل شيء معد لاستقباله : العباءة
موجودة ، والفرن دافئ ، والأرغفة الرحراة الشهية تملأ
المشنة ، و « أم الهنا » نائمة تنتظر عودته من الحقل ،
أحقا كان في « القاهرة » ؟ أغاب عن وطنه ستة أشهر
كاملة ؟

وتحركت « أم الهنا » في فراشها وفتحت عينيها ، فما
أن وقع بصرها عليه حتى قامت فزعة وهي تقول :
— من ؟ من أنت ؟!

وكادت تخرج من حلقها صرخة استغاثة ، ولكن الرجل
تقدم نحوها ببطء الخطأ ، وهو يقول ضاحكا :
— أنسيته يا « أم الهنا » ؟

ووقفت المرأة تدعك عينيها في دهشة وتردد . ثم اندفعت بكل قوتها نحوه ، وجعلت تقبل يده ، والدمع يطر من عينيها ، وقالت في صوت متهدج :

— سيدى ! سيدى !

وجلس « كساب » على سطح الفرن ، وقعدت المرأة على الارض بالقرب من قدميه ، وسألته قائلة :

— لماذا لم تخبرنا بقدومك ؟

— وهل كنت أعلم أنا بموعد سفري ؟!

واخذ يسألها عن أشياء مما يتصل بالضيعة : عن « البنهاوى » ورفاقه ، عن الارض وما أنتجت من محصول ، عن همة الفلاحين في العمل ..

كان يصفى طويلا ولا يتكلم الا قليلا . وكثر تناؤبه وتمطيه ، وقامت به رغبة في النوم ..

ونهضت « أم الهنا » متسللة الى خارج الدار ، وهى لا تستطيع كتم ذلك السر العظيم في صدرها . ذهبت الى جارتها تزف اليها هذه البشرى

وبعد قليل سمع « كساب » هرجا ومرجا وأصواتا مختلفة ، مصحوبة بأغاريذ النساء . وكان مسندا ظهره الى الحائط وهو في شبه غفوة خفيفة ، ففتح عينيه وابتسم

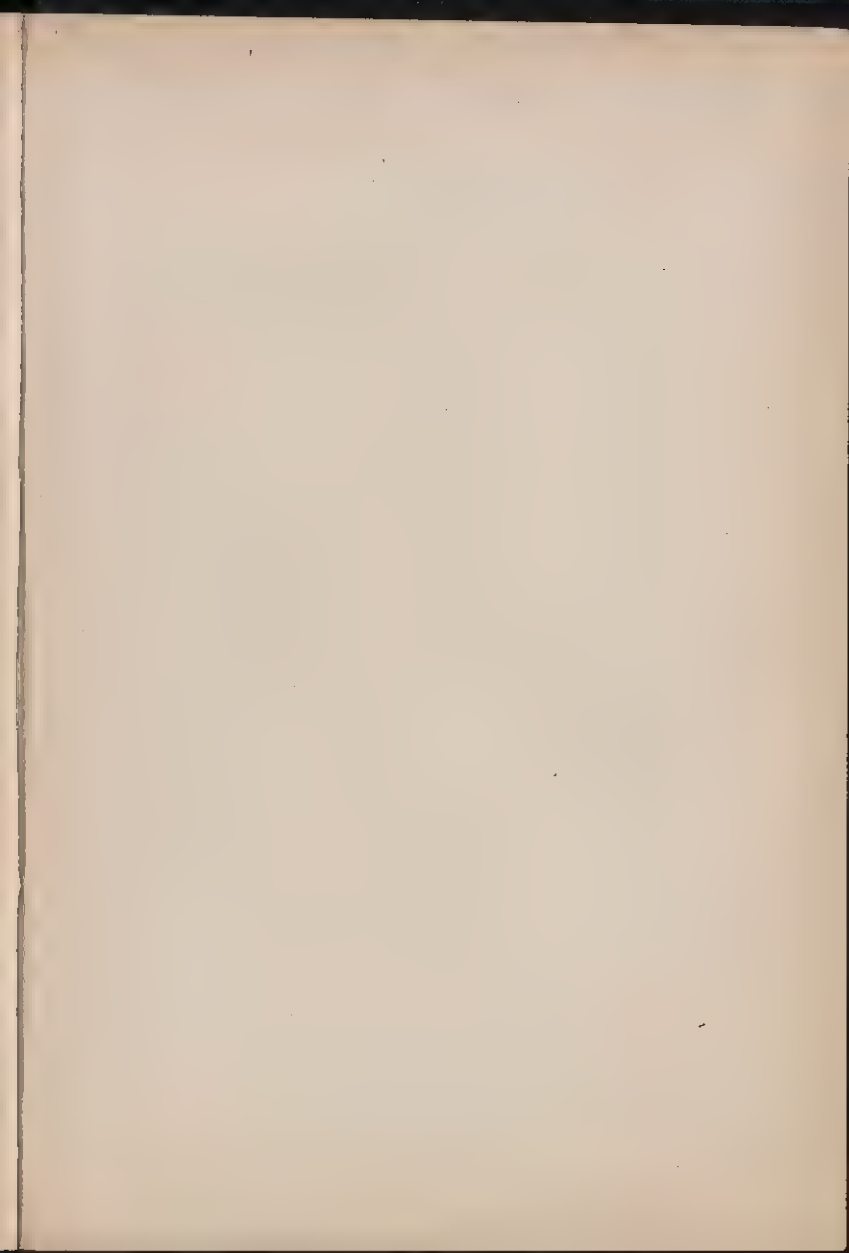
وتدفق الناس من الباب يحيون زعيمهم الكبير ، فقام الى لقائهم ، وبسط لهم ذراعيه يحتضنهم ويحتضنونه ، ويقبلهم ويقبلونه . ثم صاح « بأم الهنا » قائلا : القهوة حالا للضيوف !

وجلسوا جميعا على الارض ، و « كساب » معهم يتبادلون
في اختلاط عبارات الترحيب والايناس
والح على « كساب » التعب وعاد النوم يفزوه في عناد
يا لله ! انه يطبق أجفانه ويسند رأسه الى كتف جاره ..
وشعر بأيد تحمله الى سطح الفرن ، وتمدده عليه
ثم لم يلبث ان انساق به الاحلام كل مساق !! ..



جاء الشتاء

هذه النفس البشرية في أعماقها
حين تهفو إلى الخير ، تعبت بها
الاهواء ، فتأبى إلا أن يكون
احسانها .. على حساب الغير !



الشتاء على الأبواب ...

انه ليشعر الناس بمقدمه المخوف ، وأنه ليقدم دائما في
موكب من ضجة واصطخاب . أليس هو موسم العواصف
والزوابع ، موسم الرعود والبروق ، فكيف ترجو اليه أن
يقبل عليك في سكينه وهدوء ؟

الشتاء على الأبواب ...

لا خيرة للناس في استقباله ، فليس لهارب منه نجاء ،
سيان عنده من هش له ، ورحب به ، ومن تقم عليه ،
وتحرز منه

كانت أسيرة « العنتيل » ممن يمقتون الشتاء ، أبغض
شيء اليها هذا الزائر البارد الطلعة ، الثقيل الوطأة ، هذا
الذي يعلن قدومه في هجمة غاشمة ، لا يأتي البيوت من
أبوابها في تحشم واستحياء ، ولكن يفتحم النوافذ والمسارب
والشقوق في اجتراء ، فيزلزل السماء والارض ، ويقلب
الكون رأسا على عقب

وأسيرة « العنتيل » تأوى الى بيت من تلك البيوت
المهشمة التي عاثت فيها تصاريف الزمان ، ينزوى في
أطراف حي « القلعة » ، كانه جندي اثخنه الجراح فتخلف
عن رفاقه في الميدان ، وبقي وحده يعاني سكرات الموت
وذاث عشية من شهر نوفمبر ، راع الأسيرة أن السقف
من فوقها يضطرب كانه يوشك أن يخر ، وأن الارض من

تحتها تميد كأنها توشك أن تنخسف ، وأن مصاريع النوافذ تتصادم وتتضارب

في هذه الليلة ، علمت الاسرة على يقين أن وافد الشتاء قد حل ، وأنها تستقبل مكاره ذلك الضيف الثقيل ، فعليها أن تتجهز له ، وأن تروض نفسها على مصاحبته ، حتى يرحل عنها بعد أشهر معلومات ...

وهرول « العنتيل » الى صوان الملابس ، فجعل يقلب في محتوياته ، لكي يتفقد معطفه القديم الذي لزمه أشتية متوالية ... حقا تدسست الى هذا المعطف عوامل الرثاثة والبلى ، ولكنه استطاع أن يسبغ الدفء على صاحبه ، وأن يحميه خلال الشتاء من معقبات البرد القارس ... وكفاه !

اطال « العنتيل » بحثه في اركان الصوان وزواياه ، فلم يجد للمعطف من اثر ، فأقبل على زوجه يسألها عنه ، ولكنها أبت أن تنصت له ، اذ كانت بمتاعها هي واولادها في شغل شاغل ، فتابع الرجل سؤاله في الحاح واهتياج . فرفعت الزوجة بصرها اليه مدهوشة تقول :

— أى معطف تسألني عنه ؟ المعطف المهلهل الذي علمت منك غير مرة أنك زاهد فيه لن ترتديه ، وأنت معتزم شراء معطف جديد ؟!

— انى في حاجة اليه ... على به

— الست معتزما شراء معطف جديد ؟

— قولى لى : اين أجد معطفى القديم ؟

— لقد جاءنى أمس الرجل العجوز المسكين ، ساعى

الإدارة الذى يعمل تحت امرتك ، فأشفقت عليه من برد

الشتاء ، فدفعت المعطف اليه ، التماسا لدعوة صالحة منه
وفقر « العنتيل » فاه مذهول النظرات ، وكاد الغضب
يبلغ به حد الثورة ، لولا أن عاجلته الزوجة بقولها :
— أنت رجل عطوف القلب ، ولك عند الفقراء مآثر ،
والألسن تلهج بالثناء عليك ، فهل تبخل على ساع مسكين
بذلك المعطف القديم ينجيه من هلاك محقق ؟!

وأطرق الرجل يفكر هنيهة ... لقد صدقت زوجه في
وصفها اياه بأنه حسن الاحدوثة في الناس ، وأن قلبه فيناض
بالخير والبر ، ولكن ذلك كله لا يبلغ عنده مبلغ التفريط في
معطفه العتيق ، ذلك الرفيق الكريم الذي لا يعوض ...
لا ينكر « العنتيل » أنه تحدث يوما في شأن اعتزامه شراء
معطف جديد أتيق ، يلائم منصبه في رياسة قلم التسجيل
بمصلحة التنظيم . ولكن أين المال الذي ينيله ذلك المطلب
المرموق ؟

وهم بأن يأخذ على الزوجة سوء تصرفها حين وهبت
المعطف ، قبل أن تستأذنه ، فألقى الزوجة تسبق اليه
وهي تقول :

— ألم يؤكد لك رئيسك أنك حاصل على الترقية حتما
هذه الايام ؟ سيتيسر لك المال ، فلا تحمل هما لثمن المعطف
الجديد

وألقى « العنتيل » نفسه يغمغم ولا يبين ...
وفي الصبيحة من غده ، ترك بيته قاصدا مصلحة التنظيم ،
كدأبه كل يوم ، فما كاد يتخطى عتبة الباب حتى تعاورته
الرياح ، فأسرع يتكمش في اهابه ، ويضم حواشي سترته

اليه ، ورفع بنية السترة يحمى عنقه الهزيل المعروق .
ثم جد في السير ، كأنما يبارى هذه الريح الهبوب . وفي
أثناء سيره بنى عزمه على أن يتحدث الى مدير الادارة في
أمر الدرجة المرجوة ، حتى اذا نالها استطاع أن يحصل على
معطف جديد يجابه به جبروت الشتاء ، ويزهو بجذته
ورونقه على الأقران ...

وأقبل على حجرته ، فكان أول من لقيه الساعى العجوز ،
ريبب نعمته ، ذلك الذى تلقى من يد الزوجة هبة المعطف
العزيز ... وتراءى له الساعى وضاح الجبين يرفل في
معطفه ، لا يبالي عصف الهواء ، وطفق يتقافز حول
« العنتيل » مرحبا به ، شاكرا له ، يرفع له يديه بصالح
الدعاء ، فرد « العنتيل » تحية الساعى - أو الداعى -
في لهجة طابعها التحفظ والاستعلاء ، وراح يرمق المعطف
وهو يلف جسم الرجل العجوز ، كأنه درع سابغة تكفل له
الوقاية والامان . ثم انقلع يجلس الى مكتبه ، وهو يسوى
بنيقة سترته ، وجعل ييسط قامته ، ويرفع هامته ، يريد
أن يبدو في مظهر شاب رياضى يتحدى عواذى الأجواء

ولبت بعض ساعة في لمة من اخوانه ، يخوض معهم في
حديث مملول ، حتى علم بمقدم المدير ، فانطلق الى حجرته
يحييه تحية الاصباح في أدب بالغ ، فالفاه يخلع معطفه ،
فابتدره يتلقاه عنه ، وحمله في عناية الى المشجب عن كنب
منه ، ثم انعطف يقول :

- كل عام وأنتم بخير ... لقد بكر الشتاء هذا العام ،
وقد أحسنت صنعا يا سيدى المدير بارتداء المعطف -

فهمهم المدير يقتضب الحديث :

— الحيلة خير
— حقا ان الحيلة رأس الحكمة ، ولكنها ليست ميسورة

لكل راغب

فنظر اليه المدير بمؤخر عينه يقول :

— كيف ؟

— متى استطاع المرء أن يحتاط كان له أن يفعل ، فاذا

لم يقدر ...

وفطن المدير الى أن « العنتيل » يطاوله في الحديث

لحاجة في نفسه ، فزوى حاجبيه ، وقال له :

— كل امرئ يستطيع أن يدبر أمره ، جهد طاقته ، وفي

حدود ملابساته

وانكفا المدير على مكتبه ، يتشاغل بتقليب ما بين يديه

من اوراق ، فتداني منه « العنتيل » يقول في نبرات

ضارعة :

— كيف ندبر أمرنا ونحن على حال من السوء لا نملك

معه شيئا من التدبير ؟

فرماه المدير بالنظر الشرر ، وقال له في ضجر :

— لقد رغبت اليك أمس في انجاز الرسائل المعطلة ،

فانشط لها اليوم

فشرع « العنتيل » يفرك يديه ، وهو يقول :

— عندي كلمة واحدة أحب أن أبلغها سيادتكم

فقال له :

— قلها وأوجز

— الدرجة ... الدرجة التي وعدتني بها هذا أوانها ،

فأنا في ضائقة وعسر ، وهذا هو الشتاء قد أقبل ، وما أشد
احتياجي الى معطف

— ألم يبلفك أن التعليمات تقضى بتأجيل الترقيات ؟
ليس في مكنتي أن أرشحك للدرجة الآن ...

— وهل ينتظرني الشتاء حتى تنتهى فترة التأجيل ؟
لا بد لو من معطف ، وأنت مستطيع أن تتصرف في الامر
بخنكتك ، حتى أنال الدرجة الآن
— مبلغ علمي أنك تملك معطفا

فأشاع « العنتيل » ابتسامة شاحبة على فمه ، وقال :
— انه معطف أكل عليه الدهر وشرب

وراح يتصنع الضحك في نظرف ، وهو يختلس النظر الى
المدير ، ولكن الرجل ازداد من قطوب ، وقال له مخشوشن
الصوت :

— عليك أن تقنع بمعطفك القديم !

— انه مهلهل يا سيدى ، وما يليق بمثلى في مكانه من
رياسة . قلم التسجيل أن يبدو في أسمال ...
فصاح به المدير :

— أنك تنظر الى الدنيا بمنظار عتيق ، فجدد عقليتك ،
واعلم أننا الآن في عصر التقشف والاقتصاد وضغط النفقات
لقد ولى عصر البذخ والتفاخر ... لا اسراف بعد اليوم !
فاصفر وجه « العنتيل » ، وتلعثم لسانه وهو يقول :
— بذخ ... تفاخر ... اسراف ... لاشئ من هذا
كله !

فجلجل صوت المدير بقوله :

- تعود التقشف ... خذ نفسك بضغط النفقات ...
الترقيات مؤجلة ... لا تضع وقتك سدى
وأدبر « العنتيل » عن مكتب المدير يجزر قدميه ، وهذه
الكلمات تطن في أذنيه : التقشف ... ضغط النفقات ...
لا اسراف بعد اليوم !

ولم يكد يخطو في البهو بضع خطوات حتى لاح له شبح
« عم مؤمن » الساعى العجوز ، وهو في معطفه السابغ يخب ،
والابتهاج على محياه يتلألا ، فحدجه بنظرة نكراء ، ثم ازور
بعينه عنه ، وتابع خطوه على وجهه قتام

وحاول « العنتيل » غير مرة أن يشير عند مدير الادارة
حديث الدرجة المنشودة ، عله يحظى بوعد تطمئن به نفسه ،
فلم يجد من المدير الا ترديد نصائحه الصاخبة في شأن
التقشف المطلوب ، والنفقات التى يجب أن تضغط ،
والاسراف الذى انقضى عهده ، منذ اليوم

فاستياأس الرجل ، وتوارى طيف المعطف الجديد من
مخيلته ، حتى لم يبق له اثر ، بل انه لم يعد يطمع في أن
يظفر بمعطف أى معطف ، وأن كان لباساً من سوق
الأسقاط !

ومن أين له بصيص من الأمل ، وهذا مرتبه الضئيل
تبتله مطالب البيت في مطالع الشهر ، ولا يكاد يسد الفاقة
في سائر الايام ، فلا بد معه من الاقتراض ، فلكل شهر دين
يضاف الى دين ، وأن الديون لتبلغ مبلغا يبعث في جسم
الرجل قشعريرة دونها قشعريرة البرد
لا غرو اذن أن ينتهى الامر بالرجل الى قرار حاسم ، ذلك
أن يقضى الشتاء بلا معطف ، وليكن ما يكون !

ولحظ الناس من شأن « العنتيل » أنه قد أصبح على حين بغتة داعية من دعاة التقشف وضغط النفقات ، لا يفتأ يبشر بالدعوة في كل مكان ، تارة يتغنى بها لسانه في طرب ، وتارة يتحمس لها ويخاصم عليها في احتياج ، ولطالما بح صوته وهو يقول :

— الاسراف ... الاسراف ... انه آفة البلد ... انه علة العلل ... علينا أن نناهضه ولا نتهاون به ... لتتخذ من التقشف سنادا ندعم به حياتنا الاقتصادية التي اخلت بها الجهالة والغباوة والحمق ... اياكم والسرف ... وازنوا بين الدخل والخرج ... اضغطوا النفقات !

بمثل هذه الجمل والعبارات ، كان يتحدث الى أقرانه في العمل ، وجلسائه في المشرب ، وأهله في البيت ... فداع أمره وشاع ، وحلا لبعض الظرفاء أن يلقبه « بطل التقشف » فعرف بهذا اللقب ، وتسامع به الناس ، فتناقلته الافواه في تهكم كظيم !

وعلم مدير الادارة بما صار اليه أمر « العنتيل » فرضى عنه ، وأغراه بالمزيد ، اذ كان له في ذلك صارف عن اقلاقه باطلاق الدرجات وصرف العلاوات ... وهذا فضل عظيم ! وتعمق « العنتيل » في دعوة التقشف وضغط المصروفات ، فاذا هي في رأسه فلسفة شاملة يطبع بها آراءه في الحياة ، ونظراته الى الناس ، تراه في مجرى حديثه الدارج الى الرفاق يتطرق الى موضوعات اجتماعية نفسية ، يطبق عليها قواعده الجديدة ، فان تحدث مثلا في « فلسفة العادة » أسهب يقول :

— يسير علينا أن نكتسب الحميد من العادات ، وأن نبرأ
من كل عادة سيئة ممقوتة ، متى كانت لنا ارادة ... ارادة
صلبة ... ارادة من حديد ... هاكم مثلاً ، لا أتصيده
لكم من بعيد ، فاني أنا « المثل » ! ... لقد اعتزمت هذا
العام أن أعود جسمي احتمال ما يأتي به الجو من أهوية
وعواصف ، فمن العار أن يستعبدنا هذا الشتاء ، وأن
يريدنا على ارتداء أكسية نحن عنها في غناء ... لقد تمردت
على البرد ، ورفعت في وجهه راية العصيان ، وأبيت أن
أرتدى معطفاً كما كنت أفعل ، وهأنذا أصرع الشتاء في عزم
ومضاء ... من شاء اكتساب عادة أو انتزاع عادة ، فليكن
سلاحه قوة الإرادة !

وما أن يبلغ الرجل من خطابه هذا المبلغ ، وهو في فورة
من حمية وتحمس ، حتى يشتد به العطاس ، ويحتد عليه
السعال ، فاذا جلساؤه يتبادلون النظرات ، وقد تراصت
على أفواههم بسمات السخرية ، وتسابقت على السنتهم
كلمات التنادر

أما علاقة « العنتيل » بالساعي العجوز « عم مؤمن »
ذلك الذي نال المعطف ونعم به ، فكانت علاقة يشوبها شيء
من الفموض والانقباض ، على الرغم من مظاهر اللفة التي
تبدو للعيان في كثير من الأحيان

إن الساعي ليذكر « للعنتيل » جميل صنعه به ، فهو
يكن له التكريم والاكبار ، ويحرص على خدمته ما وسعه
أن يحرص ، ولكنه لا يملك إلا أن يستريب منه ببعض

تصرفات قاسية لم يكن يعهدها فيما سلف من أيام
ان « العنتيل » يلقاه في هشاشة وبشاشة ، ويمتدح
اخلاصه وولاءه ، بيد أنه ينتهز بعض الفرص ، فيغمزه
غمزات يألم لها أشد الألم ، وهو يكيل له في الحين بعد
الحين ألوانا من النقد والتهكم تثير عليه من حوله ، فيسخرون
منه أو يشمتون به ، أو يصبون عليه جام اللوم والتشريب
ولا ينسى « عم مؤمن » أنه كان يوما متخذًا جلسة راحة
واستجمام ، وقد أخرج علبة لفائف التبغ ، يبغى أن
يدخن واحدة ، فاذا « العنتيل » يهل عليه في جمع من
الرفاق ، وبين يديهم أوراق يريدون عرضها على المدير ،
فاستوقفهم « العنتيل » أمام الساعى العجوز ، فاضطرب
الرجل في جلسته ، فنهض يلم شعثه ، وهم بأن يوارى
علبة اللفائف في جيبه ، فما كان من « العنتيل » إلا أن عاجله
ينزع العلبة من يده ، وهو يصيح في لهجة مريرة ، ظاهرها
مزح ومفاكهة :

— ماشاء الله كان ... ماشاء الله كان ... علبة لفائف
« الجمل » ... اللفائف الفاخرة ... بالحظك العظيم !
فجعل الساعى يلغو ولا يكاد يبين ، ثم حاول أن يتضحك
وهو يقول :

— حقا ما أعظمه من حظ ... ولكن الا تعلم ياسيدي ...
فقاطعه « العنتيل » متعاليا بضحكته العابثة :
— انت تؤثر الدخان الامريكاني ، لأنك ساع امريكاني ...
لا نظير لك ... بكم اشتريت هذه العلبة !

واعتدل « عم مؤمن » في وقفته، وهو يجاهد في مسامرة
هذه المناكفة الثقيلة بقوله :

— ليست هذه يا سيدى علبة اشتريتها ... انها حطام
علبة ... صادفتها ملقاة في زاوية من حجرة المدير ...
لا تحوى الا لفافتين محطمتين مثلى !
فأخذ « العنتيل » بيد الساعى ، وهو يقول :

— لاتحسبنا ننخدع بهذا الكلام... أنت رجل لك عقلية
رجعية سيئة ، فلتقوم عقليتك ، وانى لوجه الله انصح لك .
مالك ولتقاليد السادة المترفين ؟!

ثم طفق يربت ظهره ، وهو يقول :
— ارجع على نفسك بما تنفقه في سبيل التدخين ...
اشتر ما ينفعك ... ذلك خير وأولى

واستأنف « العنتيل » سيره مع الرفاق ، وهم يتنادرون
على الساعى العجوز المسرف الذى يأبى الا أن يتعاطى الفاخر
من الدخان ... وظل الساعى ماثلا في وقفته ، يحدق الى
« العنتيل » ورفاقه بعين تضطرم ، ثم قذف بعلبة اللقائف
في عرض البهو ، وهو يبرطم ويزمجر

ولا ينسى كذلك « عم مؤمن » انه كان مرة يقضم من
شطيرة ضئيلة يسد بها جوعته ، والوقت ضحى ، والحركة
على أشدها في مكاتب الموظفين ، ففجأه « العنتيل » وهو
يأكل ، وحده بنظرة شزراء ، وقال له :

— سبحان الله ... انت دائما لا يفرغ لك طعام ...
ما رأيته الا مشغول الأضراس بشيء تأكله !

فأسرع الساعى يدرأ التهمة عن نفسه بقوله :
— أقسم لك ياسيدى أنى خرجت من الدار دون أن
أصيب فطورى

فلاحقه « العنتيل » محنقا يقول :

— وما حاجتك الى الفطور فى الدار ، وفى مقدورك أن
تخرج لتتناوله فى « جروبي » أو « سميراميس » أو ما شئت
من مطاعم العظماء ؟! ... يا ناس ، جانبوا الجشع ...
أقمعوا شهواتكم ... أين التقشف ؟

فتلاحق الساعة يسمعون حديث « العنتيل » فالتفت
اليهم يقول :

— الدنيا كلها تسير فى منحى ، و « عم مؤمن » ساعى
الإدارة يسير فى منحى وحده !

ومضى منتفشا يترنح فى مشيته ، والساعى يشيعه
بغمغمة نائرة تحتبس بين شدقيه ...

وتكررت أمثال هذا المشهد العصيب ، والساعى العجوز
فى دهشة وحيرة ، يعجب لما يجبهه به « العنتيل » من
مناكدة وعنت ، ويرجو أن يرجع الرجل الى سابق بره به ،
واحسانه اليه

واستمرت الحال على هذا النحو ... كلما تعالت ولولة
الرياح ، واشتدت صولة الشتاء ، ازدادت حماسة « العنتيل »
فى الدعوة الى التقشف وضفط المصروفات ، وتوهجت
بطولته فى النهى عن البذخ والترف ... وتبع ذلك كله
انتهاز كل فرصة للتهجم على « عم مؤمن » واقتفاء عثراته ،

والإنحاء عليه باللوم والتقريع ، واتهامه بأنه مسرف متلاف
وتداعى الناس الى « أسبوع معونة الشتاء » وتنادوا
بالاقبال عليه والبذل له ، واذن بالمسير في طول البلاد
وعرضها « قطار الرحمة » خافلا بالامتعة والاكسية يوزعها
على المعوزين والعجزة ، وتطايرت أخبار مواكب المعونة
تجول في الأحياء ، وتخرق المسالك والدروب ، تجمع من
البررة الاسخياء ما فضل عندهم من أثواب وأشياء ، لترجع
بها على المحرومين والعفاة

وجلجل صوت « العنتيل » في مصلحة التنظيم يحث
الرفاق على التصديق ، مذكرا بحق السائل والمحروم ، مشيدا
بما يلقاه المحسن عند الله من مثوبة وجزاء

وحل اليوم المشهود ، ودخل « موكب المعونة » دار
المصلحة ، ليتلقى عطايا الخرين من ألوان المتاع ، واخذ
الموكب يتنقل بين الحجر والمكاتب ، محوطا بالحشد الزاخر ،
ومن حواليه صياح التهلل والتحمس والترحاب

ومضى الموكب يجتاز البهو الى الحجرة التي تضم
« العنتيل » ورفاقه ، فما أن تدفق الجمع على الحجرة
حتى اعتلى « العنتيل » مقعده ، وانبرى خطيبا يؤيد هذه
الروح التي حدث الى معونة الفقراء على مكابدة الشتاء ،
فقطعت خطبته بالتصفيق الحاد، ونزل عن الكرسي يتبرع
بلفيفة انطوت على طربوش قديم جلبه معه من البيت ليجود
به ، فشكر له القائمون على موكب المعونة ، وفصلوا عن
الحجرة يتلقفون ما يسخو به المتبرعون من هنا وهناك ،

فتبهمهم « العنتيل » الى البهو ، وفيما هو يرجع اذ حانت منه لفظة الى الركن الذى يخلد اليه الساعة عند الفراغ من العمل . وكان على أحد الكراسى شئ يتخايل ، فما أن لمح « العنتيل » حتى جعل ينتبه بنظرات سراع ، ثم أحس بقلبه يخفق ، ويديه ترتجفان ، وفي هذه اللحظة كان الموكب يتأهب لمبارحة المصلحة ، والناس من خلفه حشود ، فألقى « العنتيل » قدميه تدفعان به الى ركن الساعة ، واذا هو يختطف ذلك الشئ الملقى على الكرسي ، ويعجل به الى الموكب ، وهو يتصايح :

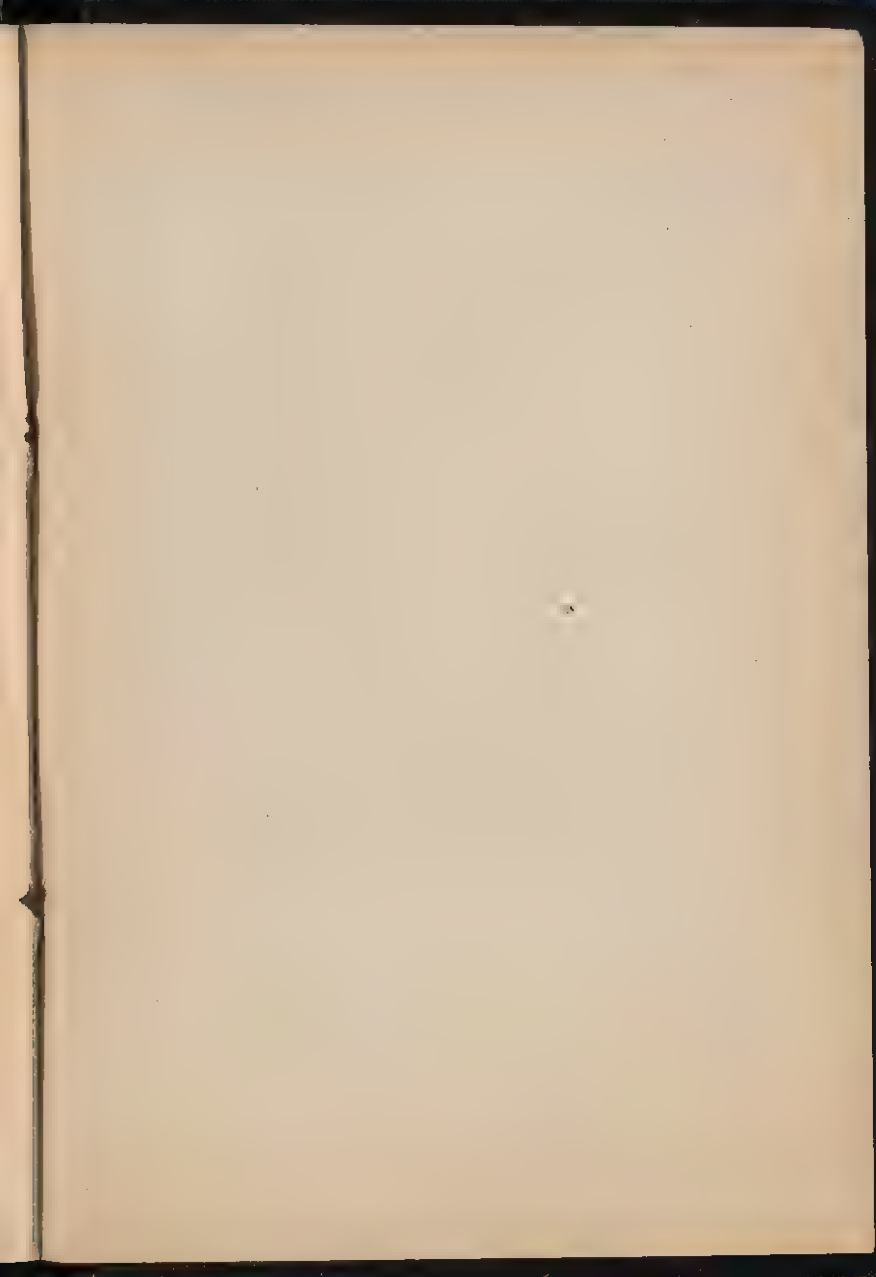
— هذه منحة « عم مؤمن » ساعى الادارة ... لقد أوصى لكم بها ... ومن تطوع خيرا فهو خير له !
ودفع المعطف الى الرئيس القائم على جمع المعونة ، فتلقاه بالحمد والثناء ، واصطخب في الجو هتافات حارة بحياة « عم مؤمن » ساعى الادارة الهام !

وبعد قليل خرج الساعى من حجرة المحفوظات في سرداب المصلحة ، وكان يودعها بعض الملفات ، فلما اقترب من بهو الادارة سمع الهاتف باسمه ، فهرول يستخبر عن سر هذا الهاتف ، فأنهوا اليه الخبر ، فانسدت على عينيه غشاوة من دهشة ، وانبعث في أعقاب الموكب يستنقذ معطفه ، ولكن عز عليه أن يشق الزحام ، فحاول أن يزق بأعلى صوته ، فذابت صرخاته في عباب الضجيج !

وتراجع الساعى الى ركنه في البهو ، والدنيا تدور به ، وصوته يخشق على شفثيه ، وما عثم أن تخاذلت أوصاله ،

فتهاوى على الكرسي ، مغشيا عليه . . . وفي هذه اللحظة
احس الرجل يدين رقيقتين تحيطان به ، وصوتا عطوفا
يتحدث اليه ، فرفع جفنيه قليلا يتبين ، فرأى « العنتيل »
حياله أول من سارع الى نجاته ، والاطمئنان عليه !
وبينما هو على تلك الحال ، كان موكب المعونة يتدفق
في الشارع ، والاصوات تتعالى باسم « عم مؤمن » ساعى
الادارة العظيم ، هاتفة بحياته تمجد فيه بطولة الخير
والاحسان !





فهرس

صفحة

٧	مقدمة المؤلف
١١	ثأرون
٩١	العصفورة
١٠٥	أم سحلول
١٢١	خائب الدهر
١٤٣	يا سادة يا كرام
١٥٣	ساق من خشب
١٦٧	رهان
١٨٧	حنين
٢٠٣	جاء الشتاء

الكتاب القادم

زهرة العمر

تأليف

توفيق الحكيم

يصدر في ٥ فبراير

كتاب « الهلال »

سلسلة كتب شهرية بثمن زهيد

هي خطوة ثقافية كبيرة قامت بها دار الهلال لتيسير القراءة المفيدة للجميع . . ففي الخامس من كل شهر يصدر كتاب قيم لأحد كبار الكتاب في الشرق والغرب ، في اخراج أنيق وطباعة متقنة ، ثمن الكتاب الواحد ٨٠ مليما (ما عدا كتاب زينب ١٠٠ مليم) بخلاف مصاريف البريد المسجل ، وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن الكتب الآتية :

فاندى : القديس الثائر	مبقرية محمد
تأليف اويس فيشر	تأليف عباس محمود العقاد
زعيم الثورة سعد زغلول	ماجلان قاهر البحار
تأليف عباس محمود العقاد	تأليف ستيفان زفايج
الزعيم أحمد عرابى	هرون الرشيد
تأليف عبد الرحمن الرافعى	تأليف المرحوم الدكتور أحمد أمين
بطلة كربلاء (نعدت نسخه)	أبو الشهداء
تأليف الدكتورة بنت الشاطيء	تأليف عباس محمود العقاد
أشعب أمير الطفيليين	جنكيز خان سفاح الشعوب
تأليف توفيق الحكيم	تأليف ف . يان
نفرتين ربة الجمال والتاج	قلب النسر
تأليف صوفى عبد الله	تأليف أوكتاف أوبرى
حديث رمضان	السيد عمر مكرم
تأليف الامام محمد مصطفى المراغى	تأليف محمد فريد أبو حديد

عصا الحكيم في الدنيا والاخرة

تأليف توفيق الحكيم

أبو نواس

تأليف عبد الرحمن صدقي

البؤساء

تأليف فيكتور هيجو

علمتني الحياة

لنخبة من الشرق والغرب

في الطريق

تأليف ابراهيم عبد القادر المازني

مدرسة المفلين

تأليف توفيق الحكيم

لا تقتل نفسك

تأليف بيترشتاينكرون

عصاميون من الشرق والغرب

لنخبة من كبار الكتاب

ذو النورين عثمان بن عفان

تأليف عباس محمود العقاد

محمد الشائر الاعظم

تأليف فتحى رضوان

الارواح المتمردة- الاجنحة المتكسرة

الموسيقى

تأليف جبران خليل جبران

عش مائة عام

تأليف جابلورد هاووزر

عبقريه خاله

تأليف عباس محمود العقاد

الذئب الاغبر مصطفى كمال

تأليف الكاتب ه.س. ارمسترونج

كليوباترة في خلن الخليلى

تأليف محمود تيمور

الاسلام دين الفطرة

تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش

لا تخف

تأليف ادوارد سبنسر كولز

مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية

تأليف عبد الرحمن الرافعى

القائد الاعظم محمد على جناح

تأليف عباس محمود العقاد

زينب

تأليف الدكتور محمد حسين هيكل

مذكرات عرابى (جزء اول)

تأليف الزعيم احمد عرابى

مذكرات عرابى (جزء ثان)

تأليف الزعيم احمد عرابى

عبقريه عمر

تأليف عباس محمود العقاد

أمته بنت وهب

تأليف الدكتورة بنت الشاطئ

فاطمة الزهراء والفاطميون

تأليف عباس محمود العقاد

الحرية العمراء
تأليف حبيب جاماتي

اهل الكهف
تأليف توفيق الحكيم

الله

تأليف عباس محمود العقاد

عش شابا طول حياتك
تأليف فيكتور بوجومولتز

علم الفراسة الحديث
تأليف جرجي زيدان

نساء النبي

تأليف الدكتورة بنت الشاطيء

ويمكنك الحصول على ما ينقص مجموعتك من هذه الكتب من قسم
الاشتراكات بدار الهلال شارع محمد بك عز العرب (المبتديان) بالقاهرة
وشركة الصحافة المصرية بشارع النبي دانيال بالاسكندرية ، ومن شركة
الصحافة المصرية بميدان المحطة بطنطا ، ومن السيد محمود حلمي صاحب
المكتبة المصرية شارع المتنبي ببغداد ، ومن شركة فرج الله للمطبوعات
بشارع بيكو طريق المالكى ببيروت ، ومن المكتب العام لتوزيع المطبوعات
لصاحبه السيد علي نظام ببناية العابد بدمشق ، ومن جميع المكاتب
الشهيرة ، واكتشاك الصحف ما عدا الكتب التي نفدت نسخها كما ترى
في هذا الكشف



رسالة دار الهلال

لدار الهلال غاية تسعى اليها ، كما أن لها
خطة مرسومة تسير عليها . فأما الغاية
فالمساهمة في رفع المستوى الثقافي في مصر
والإقطار العربية . وأما الخطة فالتوفيق بين
قديمنا وحديثنا . والجمع بين محاسن الشرق
ومحاسن الغرب : فلا جمود ولا طفرة بل هو
تمش وئيد في سبيل الرقي الوطني

ودار الهلال تؤدي واجبها بهدوء وعزيمة
معا ، مطمئنة الى ما قد أنتجت ، متطلعة الى
اتقان ما تنتج . لا تدهن فريقا ولا تتملق
كبيرا ، ولا تتساهل قيد شعرة فيما تعتمده
حقا وصوابا

ودار الهلال تؤمن ببقاء العمل الصالح ،
واخفاق ما عداه . وهي لذلك لا تحفل
بالسفساف والصغائر ، بل ترحب بكل فكرة
نزيفة وتعصد كل جهد شريف

وشعارها على الدوام : الى الامام !

وكلاء مجلات دار الهلال

- سوريا ولبنان :** شركة فرج الله للمطبوعات - مركزها الرئيسي بطريق الملكي المتفرع من شارع بيكو في بيروت (تليفون ٧٨ - ١٧) صندوق بريد ١٠١٢ - أو باحدى وكالاتها في الجهات الأخرى . (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهي تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)
- العراق :** السيد محمود حلمي - صاحب المكتبة العصرية - بغداد
- اللاذقية :** السيد نخلة سكاف
- مكة المكرمة :** السيد هاشم بن علي نحاس - ص.ب. ٩٧
- البحرين والخليج :** السيد مؤيد أحمد المؤيد - مكتبة المؤيد - البحرين
- النفارسي :** السيد محمد علي بوقعيقص - بنغازي -
- برقنة :** ص . ب ١٠٤
- البرازيل :** Snr. Jorge Suleinan Yazigi, Rua Varnhagem 30, Caixa Postal 3766, Sao Paulo, Brazil.
- ساحل الذهب :** The Queensway Stores, P.O. Box 400. Accra, Gold Coast, B.W.A.
- نيجيريا :** Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street, P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.
- انجلترا :** مكتب توزيع المطبوعات العربية
Arabic Publications Distribution Bureau
7, Bishopsthorpe Road, Sydenham,
London S.E. 26, England.

316 هذا الكتاب

تحدث الكثيرون عن أدب الثورة ، وطالبوا
الأدباء بأن يكون لهم أدب يلائم هذا الحادث العظيم
الذي غير مجرى التاريخ المصرى
ولقد قال البعض أن أدب الثورة لا يأتى الا
بعد الثورة ، كما حدث فى الثورات التاريخية
الأخرى . وكان الاستاذ محمود تيمور أسبق
القصصيين الى الانتاج الثائر فألف قصة
جديدة هى « ثائرون »

هذه القصة تصور كفاح هذه الفئة الشابة
الصالحة التى عاشت فى العهد المظلم السابق ،
وكانت نفوسها تضطرم بالثورة على ذلك الفساد
الذى كان يجتاح البلاد ، وقد اتاح الله لمصر قادة
الثورة الذين عقدوا العزم على الموت فى سبيل
الحق أو الانتصار على الباطل فأيدهم الله بنصره
والى جانب قصة « ثائرون » احتوى هذا
الكتاب قصصا شائقة أخرى تمثل حياتنا الحاضرة
فى صور مختلطة لما تجاوب فى نفس المؤلف من
شئون الحياة العامة ، ولما أوحاه اليه وعى
الامة فكان من ذلك مجموعة قصصية ممتعة
تضيف ثروة جديدة الى فن القصة الحديث